الأب الياس يعقوب

"ملاك الساحل السوري"

بقلم الأب الياس زحلاوي

2014

الأب الياس يعقوب "ملاك الساحل السوري" بقلم الأب الياس زحلاوي

مرفق DVD VIDEO

« نعم، إني أشكر إلهي: لا أملك شيئاً، لا مالاً في البنك، ولا في جيبي، أو أمانة مع أي شخص.

أشكره لأني وُلدتُ فقيراً، عشتُ الفقر.
وكفقير ذقت مرارة الجوع... والبرد والعزلة،
لذلك أحببتُ الفقر والحرمان والتجرد،
وجدتُ فيه الغنى...

كلّ ما كان يأتيني من مال وهبات، كنت أعتبره ليس لي لكوني الأب الياس، ولكن لأني كاهن... يجب أن يرجع إلى الفقراء والكنيسة.

لذلك أحببتُ أن كما ولدت عريان، أن أعود إليه عريان. لقد حافظتُ على إيماني وأشكره أنه ساعدني.

لا أعرف الخطيئة بل حفظت جسدي ونفسي،
بدون أن ألطّخ ثوب عمادي.

أغفر لكلّ من أساء إليّ...
وأطلبُ المغفرة إذا أسأتُ لأيّ شخص.

أنا الأب، كتبتُ وصيّتي هذه بخط يدي. »

من وصية الأب الياس يعقوب

الأب اليـاس يعقـــوب

(ملاك الساحل السوري)

الأب الياس زحلاوي

الأب الياس يعقوب

(ملاك الساحل السوري)

بقلم

الأب الياس زحلاوي

2014

حقـوق الطبـع محفوظـة للمؤلف

الطبعـة الأولى

2014

ترخيص رقم /112077/ تاريخ 2014/12/9

تصميم الغلاف

الفنان الألماني تواس جيرار هايل

إهـــداء

إلى سورية. . . !

تنبيه

إن هذا الكتاب – الشهادة يضمّ نصوصاً كثيرةً، كتبها أو قالها أناسٌ كثيرون، من مجتمعات وثقافات واختصاصات ونزعات وأديان مختلفة، جَمَعَتهم كلّهم محبّة الأب الياس لهم، ومحبّتهم له.

بالطبع، ما كُتب تركتُه بحرفيّته، وما قيل أيضاً تركتُه بحرفيّته، لا سيّما أنّ ما قيلَ كلّه مصوّر ومسجّل، وسيوزّع التسجيل المصوّر مع كل نسخة من هذا الكتاب.

ومن هذا المسجّل المصوّر، حوارٌ في غاية الأهميّة، دار بيني وبين الأب الياس، صباح 2000/10/13، رأيت أيضاً لزاماً عليّ أن أبسطه في هذا الكتاب، كما وأنّ هذا التسجيل المصوّر سيوزّع حتماً مع كل نسخة من هذا الكتاب.

إلاّ أنّ هناك نصّين كتبهما الأب الياس نفسُه، أحدهما بخط يده، وهو وصيّته، ونص آخر بعنوان "خواطر"، لم أتسلّمه مكتوباً بيد الأب الياس، بل مطبوعاً على الآلة، وهو دون أدنى شك، من وضع الأب الياس، وهو لا يحمل تاريخاً. هذان النصان أنشرهما في هذا الكتاب بحرفيّتهما، إلا أني سمحتُ لنفسي أن أصحّح ما فيهما من أخطاء لغويّة، قد يعود بعضها إلى السرعة – أو ربما إلى حالة من الإرهاق – التي كان يكتب فيها الأب الياس ما كتب. فقد شئتُ لهذه النصوص الرائعة والنادرة بسموّها وصدقها، أن تُقرأ في لغةٍ عربيّةٍ سليمة، ولكن أمينة كل الأمانة.

الأب الياس زحلاوي

في 2012/11/6

ماذا في هذا الكتاب - الشهادة؟

الأب الياس يعقوب كما عرفته

الأب الياس زحلاوي

ليست هي المرة الأولى، التي أجد فيها نفسي عاجزاً عن كتابة أي شيء يتعلّق بصديقي وأخي الأب الياس يعقوب، باستثناء المقال المقتضب الذي كتبتُه لمجلّة "المذود"، إثر وفاته.

ولما كان الأب الياس يعقوب مُلْكاً حقيقيّاً لجميع مَن عرفوه وطرقوا بابَه، وقصدوه في خدمة، رأيتُ من واجبي، منذ اللحظة التي طُلِب إليّ فيها أن أكتب شيئاً عنه، ومن حقّه علينا جميعاً، أن أستكتب بالضرورة أيضاً الكثيرين ممّن عرفوه سنواتٍ طويلةً، وعاشوا معه، سواء في رعيّته في بلدة الخراب، وفي الساحل السوري، من مسيحيّين وسواهم، لأنّه كان بحقّ مُلْكاً للجميع.

وما كنتُ خبرتُ لديه من طاقة روحيّة استثنائيّة، لمستُ بعض نتائجها المدهشة لمساً مباشراً، وعرفتُ بعضاً من تأثيراتها الخارقة ممّن نَعموا بها، منذ سنوات بعيدة أو قريبة، يومَ كان على قيد الحياة، وبعد انتقاله... هذا الأمر أيضاً دفعني لاستكتاب آخرين، كي يأتي هذا الكتاب بمثابة شهادةٍ حيّةٍ ليس إلاّ، لهذا الكاهن الذي كان بحقّ إنساناً وقدّيساً في آن.

ولكم سعيتُ لأعرف شيئاً عن ماضيه: أسرته، وطفولته، ودراسته، خطواته الأولى في دراسة الفلسفة واللاهوت، وكذلك خدماته الكثيرة في حياته الكهنوتية، فلم أظفر بالكثير، حتى كان يوم (10/13) من عام (2000)، استسلم فيه، على غير عادته، لاستعادة بعض ماضيه كلّه، أمامي، فيما كان كلامه كلّه يسجّل، بموافقته، على شريط فيديو.

كل ذلك يؤلّف هذا الكتاب - الشهادة، مرفقاً بنصّين خارقين: الأول، أعطانيه ابن أخيه هاشم، وهو عبارة عن خواطر كان يكتبها في سرّه، والثاني، وصيّته!

بقي عليّ الآن أن أقول شيئاً عنه: متى عرفته، كيف عرفته، ما خبرت لديه من حياة كانت كلّها وقفاً للآخرين، جميع الآخرين، لأنّه، أساساً، شاءها وقفاً لله وحدَه، في عشقٍ حقيقي للسيد المسيح، وثقةٍ مطلقةٍ بالسيّدة العذراء.

عرفتُ الأب الياس يعقوب، ولمّا يصبح بعدُ كاهناً. يومَها، جاء إلى دمشق، بصحبة الأب مسعود مسعود، إذ كان لا يزال شمّاساً يدرس الفلسفة واللاهوت في لبنان. كان ذلك في نطاق لقاءٍ ضمّ عدداً من كهنة ومريدي "جمعيّة البرادو"، في صيف عام (1970).

للوهلة الأولى، صُعِقتُ إذ شاهدته، وتساءلت في سرّي: ما الذي جعل المسؤولين في كنيسة طرطوس المارونيّة، والمسؤولين في معهد الفلسفة واللاهوت في لبنان، يتغاضون حتى عن الشروط الدنيا المعروفة، التي يجب أن تتوفّر في طالب الكهنوت، من سلامة المنظر والشكل؟

إلا أني، خلال الاجتماع عينه، سرعان ما اكتشفت في نظرات هذا الشاب "الدميم والهزيل"، وكلماته، وحتى في نبرة صوته، عالَماً روحيّاً، خارقاً وجذّاباً، أنساني منظرَه الخارجي، وجعلني أنفتح له في أعماق كياني، بشكرٍ غامرٍ للرب.

واشتدّ فرحي يومها، لوجوده معنا في أسرة "البرادو" العربيّة الناشئة، ليقيني، منذ تلك اللحظة، بأنه سيرفدنا، جمعيّةً وأفراداً، بكلّ ما هو إنجيلي، وبكلّ ما هو نقيّ وقويّ وصاعد!

وشكرتُ للرب في أعماقي، وجود مسؤول أعلى في كنيسة طرطوس المارونيّة، كان يومذاك الأب أنطوان طربيه، أُعطيَ من الغنى الروحي والحدس الإنجيلي، ما جعله يتجاوز المظهر المنفِّر في هذا الشاب، إلى ما يضجّ فيه من حضورٍ روحيٍّ صارخ.

وما إن ارفضّ الاجتماع، يومَها، حتى تقدّم مني وحيّاني ببسمةٍ عريضةٍ، وسألني زيارتي في مكتبي في كنيسة سيّدة دمشق.

فاصطحبته بفرح إلى مكتبي، وأمضينا ساعةً من الزمن، تبادلنا خلالها الآراء حول مفهوم الكهنوت والحضور المسيحي في الشرق العربي، في قربى روحيّةٍ وبساطةٍ وعفويّةٍ، فوجدتني أمام قامة كنسيّة قادمة، تتناقض مع حجمه الجسدي الهشّ من جهة، وتتجاوز، في تواضع مذهل، المألوف من رجالات الكنيسة من جهة ثانية.

ومرّت أشهر وسنوات، كانت، خلالها، العلاقة بيننا، تتوطّد، ثقةً وصلاةً، وزياراتٍ، وخدماتٍ متبادلةً، كلّ ذلك في عفويّة مطلقة، لا مجال فيها لأيّ افتعالٍ، بل فيها من التزامن والشفافيّة، ما كان أحياناً كثيرةً يثير دهشتنا نحن الاثنين، ويضاعف فرحَنا، الواحد بالآخر، ويعمّق فرح كلينا بالربّ يسوع...

وجاء يوم، بات فيه كلانا يجد بعض راحته، في قضاء أيام قليلة، وأحياناً ساعاتٍ ليس إلاّ، في لقاء يجمعنا في الخراب، إذ كان السفر يثير لديه آلاماً مبرحة، بسبب أوضاعه الصحيّة، ولا سيما بعد أن زُرع سيخ حديدي من أعلى ظهره إلى أسفله، ذات يوم من عام (1983)، في ألمانيا الغربيّة يومذاك.

وكنّا في هذه اللقاءات، يعترف أحدنا للآخر، ومن ثم كنّا نصلّي معاً، وأحياناً نقيم القدّاس معاً. كما كنّا نتبادل الخبرات الإنسانيّة والروحيّة. وقد أُتيح لي دائماً أن ألتقي الكثيرين ممّن كانوا يقصدونه أو يزورونه، أو ممّن كانوا يتعاونون معه من أبناء رعيّة الخراب المحبّين، أو ممّن كانوا يقصدونه لغرض... أو لخدمة... وما أكثرهم!

ولقد وجدتُه دائماً هو هو مع الجميع، أجل مع الجميع! كان حارّاً وفرحاً دائماً بمقدم أيّ إنسان، أيّاً كانت حالته الصحيّة، ما لم يكن منهكاً بالكليّة. كان يتقن بعفويّة الاستقبال الدافئ، ويتقن انتقاء الكلمة المناسبة. كما كان سخيّاً في تقديم الخدمة المطلوبة منه، ولا يتورّع عن

الاتصال الفوري بأيّ مسؤول، هاتفيّاً، متى اقتنع بضرورة التوسّط لديه. وكان عظيم الإيمان في وعوده، على ضيق ذات يده أحياناً كثيرة، حتى تبيّن لي على نحو قاطع، أنّ السماء باتت تغدق عليه، بقدر وعوده السخيّة أحياناً، وأحياناً أخرى بوفرة مذهلة تفوق حدود وعوده. وعندها كانت بسمته تتّسع، وفرحته تتجلّى، فيجزل العطاء في تخفٍ واتضاعٍ، فيما هو يحضّ الناس على شكر الله، أب الجميع، ومصدر كلّ عطاء!

وهنا، لا بد لي من أن أذكر أنّ "حدث الصوفانية" قد وطّد هذه العلاقة الروحيّة والإنسانيّة بيننا، على نحو مدهش. ففي حين كان بعض الكهنة من "جمعية البرادو"، يشكّكون في صحّة هذا الحدث، هم الذين أُتيح لهم أن يعرفوه من بداياته تقريباً، كان الأب الياس من أشدّ المتحمّسين له، وقد أخذ على عاتقه أن يحدّث عنه أبناء رعيّته في الخراب، وزوّاره الكثيرين، ويحضّهم على "الحجّ" إلى الصوفانيّة في دمشق، ويوزّع صورة "سيّدة الصوفانيّة" على نحو واسع. وعلى علمه بتحفّظ رئيسه الكنسي، المطران أنطوان طربيه، إزاء هذا الحدث، لم يتورّع عن دعوة ميرنا إلى بلدة الخراب، في ما بعد، مرتين، في عشيّتي عيد انتقال السيدة العذراء، يوم 14 آب، من عامي 1992 و1993. والمعروف أنّ الزيت ظهر على يدَي ميرنا في هاتين المناسبتين، وبمرأى من المطران طربيه نفسه.

ولا بدّ لي، قبل أن أطوي الحديث عن علاقة الأب الياس بسيّدة الصوفانية، من أن أذكر حادثة الشفاء المعجز الذي حدث له، إبان زيارته لبيت السيّدة العذراء في الصوفانية في دمشق، يوم 1991/8/1.

وهنا، يطيب لي أن أترك للأب الياس نفسه أن يروي ما حدث له، في شهادة كتبها بتاريخ (1991/9/4)، وأرى من واجبي أن أُلحق بهذه الشهادة، تقريراً طبّيّاً كتبه بهذا الشأن، الدكتور "بسام خياطة" من دمشق، بدون تاريخ. وقد أدرجت شهادة الأب الياس، ملحقةً بتقرير الدكتور "بسام خياطة"، في كتاب الصوفانية الصادر عام (2008) في المجلد (3)، في الصفحات (1451–1455).

1- شهادة الأب الياس يعقوب:

« شهادة حول سيّدة الصُّوفانيَّة.

أنا، الأب الياس مطانيوس يعقوب، من مواليد 1945، من بلدة البساتين التابعة لقضاء بانياس، محافظة طرطوس، كاهن رعية بلدة الخراب، في كنيسة سيّدة البحار،

حدث لي ما يلي:

كنت أقوم في مخيم للشباب في قرية كفرون سعادة، من 21 تموز إلى 29 منه، عندما شعرت بألم حاد في قدمي اليسرى. ولم أعد أستطيع السير. ولم أعد أشعر بأي إحساس حار أو بارد في هذه القدم. وقد ظهر بين أصابع قدمي تلك، فطر ينتشر مع مسامير من اللحم، أحدثت التهاباً وورماً. فراجعت الدكتور عيد عيد في مشتى الحلو، فأعطاني دواء ركّبه بيده، ولكنه لم يجدني نفعاً. وبعد أربعة أيام عدت من المخيم يوم السبت في التاسع والعشرين من تموز.

في اليوم الأحد 30 تموز، لم أستطع الوقوف، فأقام القداس الإلهي بدلاً مني حضرة الأب بولس سليمان، مؤسس أسرة الإخاء السورية للمعاقين. وبعد القداس، مضيت إلى دمشق برفقة الأب بولس سليمان. واستدعى الأب بولس سليمان الدكتور جورج بيلونة، وهو اختصاصي في الطب الفيزيائي. وبعد أن أجرى لي الفحص، وصف لي الرياضة والسباحة، وقال يجب أن تجري عملية في القدم، لنزع المسامير اللحمية، ومعالجة الفطر بصورة عاجلة. وكان الورم قد استفحل في قدمي حتى الكاحل.

في اليوم التالي، الاثنين 1 آب، ذهبت برفقة الأب بولس سليمان لمراجعة إلى عيادة الدكتور بسام خياطة، الاختصاصي بالجراحة العظمية. هنأني لنجاح عملية سابقة كانت أجريت لي في ظهري منذ تسع سنوات في ألمانيا الغربية،

وقال لي لو لم تكن هذه العملية، لكنت تعرضت لشلل كامل. ووصف لي ممارسة السباحة والرياضة. ولما عاين القدم المصابة، قال: هناك فطر مستفحل ومسامير منبتها من العظم، لا يفيدها إلا العمل الجراحي، بحيث تجرد المسامير حتى العظم، مع إزالة الجلد لمعالجة الفطر. ولكن ستحتاج في المشفى إلى شهر ونصف تحت المراقبة، لا تستطيع خلالها السير. ولكن من المستحسن أن يعاينك الدكتور سهيل دياب الاختصاصي بالأمراض الجلدية. وحصلنا على موعد مع الدكتور سهيل دياب على الفور، ومضينا إليه. فوصف لي دواء أتناوله لفترة طويلة، حتى إجراء العمل الجراحي الذي لا بد منه. "ولكن يجب أن يراك الدكتور أنطوان جمال"، هذا ما قاله الدكتور سهيل دياب. وهكذا كان. فكان رأي الدكتور أنطوان جمال مماثلاً لرأي زملائه السابقين.

احترت في أمري. تضايقت نفسياً. لأن مرضي يعيق عملي الرسولي. فطلبت من الأب بولس أن يقودني إلى الصُّوفانيَّة، لأدعو ميرنا لحضور تدشين معبد العذراء الجديد في رعيتي، الذي كان مقرراً في الخامس عشر من آب. فأرسلني إلى الصُّوفانيَّة برفقة إحدى مساعداته، السيدة هاسميك خربوطلي، المدعوة أُمّ فيليب. وبينما أنا في الطريق كنت أتساءل: من هي ميرنا؟. لم أكن قد رأيتها من قبل. فكرت: هل أراها في زي راهبة والمسبحة بيدها؟. هل أراها جاثية في الكنيسة تنتظر الناس، أم تراها في عزلة وزهد كسائر النساك؟. أم هناك أوقات خاصة لمقابلة الناس؟. وهل تراني سأحتاج إلى وساطة للتحدث إليها؟. أم تراني سأرى بيتاً زاهياً بالفرش والزينة؟. دخلت البيت عبر سلم صغير من عشر درجات تقريباً. فوجئت: هناك غرفتان إلى يسار الباحة، وغرفة كبيرة إلى يمينها تصل إليها بدرج من درجتين. في صدر الدار صورة العذراء رفعت على قاعدة رخامية مستديرة. البيت في غاية البساطة والتجرد. الكراسي فيه قديمة. والصوفايات أيضاً قديمة. والبرادي عادية جداً. تذكرت بيت مريم العذراء

في الناصرة. دخلت إلى الصورة فوراً. جلست على درج الصالون. وضعت رأسي بين يدي. صليت بحرارة، كأن هناك شيئاً حدثني. صوت دوي في داخلي. شعرت في القلب سلاماً حل محل التمزق الذي كان يستولي علي. التفت، فإذا أُمّ فيليب ورائي. أشارت بيدها وقالت: هذا زوج ميرنا. كان يرتدي روب دو شامبر أحمر اللون حتى الركبة. تحته بنطلون شورط. ثم سألت: أين هي ميرنا؟ فأسرعت أُمّ فيليب إلى غرفة مقابل الصالون، ودخلت المطبخ وناداها "ابونا الياس يعقوب، صديق الأب الياس زحلاوي، يريد مقابلتك". فأتت ويداها مرطّبتان بالماء. سلّمَتْ وجلسَتْ بالقرب مني في الصالون. تطلعت بعينيها. قرأت نظرها يمتد إلى بعيد. وجه نضر، مشرق يشع منه النور. تحدثك ببساطة دون تكلف، بصوت منخفض. تحس أنك قريب منها. قلت لها: قرأت عنك الكثير. وسمعت الكثير. وزودني الأب الياس زحلاوي بكتب وصور عديدة توزعت في الساحل السوري، وأنا أريد أن نتشرف بزيارتك للساحل لحضور تدشين معبد للعذراء شيدته للساحل السوري تحت اسم "سيدة الخلاص"، برعاية سيادة راعي الأبرشية، المطران أنطوان طربيه، في الخامس عشر من آب. أطرقَتْ ملياً ثم رفعتْ رأسها ونظرت إلى بعيد، ونادت زوجها نقولا. فأقبل وجلس عن يساري، وأصبحتُ أنا في الوسط. وتحادثت معه حول زيارة الساحل. فقال: يجب أن نتصل بالأب الياس زحلاوي، لأننا سوف نغادر في اليوم التالي إلى لبنان. وبعد أن تكلم زوجها مع الأب زحلاوي هاتفياً، وكأن هناك صعوبات، عادت فقالت: إذا كان القداس مسائياً، نحضر وفي اليوم نفسه، نجدّ السير إلى لبنان. وتمّت الموافقة. ذهب زوجها، وأتت امرأة بفنجان من القهوة، وأخذت أُمّ فيليب الفنجان ووضعته أمامي وأمام ميرنا. فقلت لها: يا ميرنا، الزيت المقدس حقّق عدة عجائب في رعيتي. ولم يبق لديّ منه شيء. جسمي اهترأ من العمليات

الجراحية. انظري قدمي، كيف هي. الأطباء قرروا إجراء عملية، بعدها أحتاج أن ألتزم الفراش شهراً ونصف الشهر. وهذا يؤلمني أكثر لأني لن أستطيع أن أخدم النفوس. اعطيني قطعة من القطن المبلل بالزيت المقدس. فقالت: لا أدري إن كان ما يزال لدي زيت. فدخلت غرفتها وعادت وبيدها قطعة من القطن، عليها آثار زيت، لكنها جافة. فقلت: أريد عليها قليلاً من الزيت. فعادت ثانية ومعها قطعة من القطن مغموسة بالزيت. وضعتُها بين أصابع قدمي بمساعدتها، وغلفت قدمي بشاشة، وانتعلت الشحاطة وودعتها ومضيت. وأنا أتابع طريقي لأجد سيارة تكسي تنقلني إلى بائع نظارات وجهتني إليه الدكتورة مها أبو عسلة، هو السيد نصري، ومحله مقابل المشفى الفرنسي في حي القصاع. وكانت أُمّ فيليب ما تزال برفقتي. شعرت وأنا في الطريق، بأن قدمي قد تبللت بالعرق، وكأنها قد وضعت في سطل من الماء. حركت أصابع قدمي، وكنت قبلها أشعر بألم مبرح، لمجرد لمسها بأي شيء. قالت أُمّ فيليب: بالقرب من ميرنا، بيت تنضح فيه بالزيت صورة للعذراء. ذهبت معها وقمت بزيارة لهذا البيت سريعة جداً. ولكني حملت من هذا البيت صورة لسيدة الصُّوفانيَّة. ووجدتني أسير سيراً طبيعياً. استقلّيت السيارة قاصداً محلّ النظارات. شعرت وأنا في السيارة بسخونة في راحة يدي. فوجئت عندما رأيت الزيت ينضح كالعرق من جبين العذراء، ويتصبب على عينيها وأنفها، ويسقط بيدي، حتى امتلأت راحتي، وسال الزيت على ثوبي الكهنوتي. السائق وأُمّ فيليب أصابتهما دهشة جمّدتهما. وأخذ السائق يسير، عينه على راحتي، والأخرى على الطريق. وكان يردد: "لا إله إلا الله". وصلت لمحلات نصري للنظارات، دخلت ويداي مغموستان بالزيت، سلّمت على الرجل الموجود وقال: انتقِ ما تشاء. وعندما نظر الصورة في يدي، استولى عليه الدهش. وضعت الصورة على زجاج الطاولة، وأخذ الزيت يسيل

منها على الزجاج. فاندهش الحاضرون وأقبلوا يتبرّكون منـــها. أخـــذتُ الصورة وعدتُ إلى دير الآباء اللعازريين. رأيت الأب بـــولس ســـليمان وبقربه رجل ضخم، عرّفني به الأب بولس على أنه "المحســـن كلـــود"... وعندما رأى الصورة بيدي صاح: "ياه"... أخبرته بما جرى، فقال: الصورة لكلود. أعطيته إياها على مضض. وبعد أن ذهب السيد كلـــود، قـــال لي الأب بولس: "كلود رجل طيب، ولكن إيمانه ضعيف. وبالرغم من ذلـــك فإنه محسن سخي. انظر. ربما هذه الصورة تكون سبباً لاهتدائه إلى الإيمان. وكان سابقاً قد رفض أن يهبني مبلغاً من المال لدين ترتّب علي. أما في هذه الساعة، فقد لبى طلبي، وأعطاني المبلغ المطلوب".

في اليوم التالي، جمعت حوائجي وعدت إلى رعيتي في بلـــدة الخـــراب. وكان يوم سبت.

يوم الأحد التالي، أخذت دوشاً، وعندما أردت أن أُنشف قدمي، رأيت المسامير قد "تشّت" وتساقطت كالورق، والفطر قد تلاشى. فتحت أصابع قدمي، فوجدتها سالمة وكأنّ شيئاً لم يحدث.

يوم الاثنين، فتّشت عن صورة للصُّوفانيَّة في مكتبي، فلم أجد، مع العلم أني قد وزّعت منها المئات. فاتصلت هاتفياً بـــأُمّ فيليـــب والأب بـــولس سليمان، هما سيأتيان إلى الخراب مع المعاقين، وطلبت منهما صورة لسيدة الصُّوفانيَّة. فقالت أُمّ فيليب: سأذهب إلى ميرنا وأحضر لك مـــا تريـــد. وكنت قد كلّفتها بأن تقدم اعتذاري لها عن موعد التدشين، لأن المعبـــد لم يكن قد تمّ إنجازه، ولا التمثال.

يوم الثلاثاء، أتت أُمّ فيليب مع مخيم المعاقين، ومعهـــا صـــورة ســـيدة الصُّوفانيَّة. أخذتها شاكراً وقبّلت الصورة بشوق. ووضعتها على مكـــتبي. في اليوم الثاني، فتحت الدرج وكأني بالصورة قد وضعت في وعـــاء مـــن الزيت. ناديت الأب بولس سليمان على الفور، ويوسف مارون المعـــروف

بابو لويس، فقالا: ليس بغريب على مريم. ليتمجّد اسم الله. طلبت منهما الصمت وعدم البوح بالسر.

في يوم الأحد، وضعتها ضمن برواظ من الخشب والزجاج. نضح الزيت من الزجاج. نزعت الزجاج من البرواظ. وفي الأحد التالي، إذا بالأب بولس خلال القداس، في عظته، أخذ يتكلم عما حدث لي في دمشق. تأثرت منه. بعد القداس قال لي: لا تحزن. تكلّمت ليتمجّد اسم الله. فأخذ الناس يصعدون إلى غرفتي ليشاهدوا الصورة والزيت. رأيت على الصورة بعض الغبار. صنعت لها صندوقاً من الزجاج. وما زالت في غرفتي وآثار الزيت عليها. وقد تحقّق من ذلك الأب الياس زحلاوي، وسيادة راعي الأبرشية.

في السادس عشر من شهر آب، تمّ تدشين مركز المعاقين في رعيتي، وقد أُطلق عليه اسم "كفرسيتا". قَدِم الدكتور بسام خياطة. سلّم علي بحرارة قرب سيارته أمام الشاطئ. وكان برفقتي السيد جميل حلاق وزوجته، وابن الرعية جميل ضومط، وكيل وقف مار ميخائيل. فسألني عن وضع قدمي. فأجبته: لم أعد أشعر بشيء. وأريته قدمي فتعجب وقال، وهو يهزّ رأسه: غريب. ماذا حدث؟. هل أخذت دواء أو عملت عملية؟. فأجبته: زيت الصُّوفانيَّة أبرأني. وسردت له الحادثة. فهنأني. وقلت له: هل أحتاج لشيء بعد؟. فقال: مطلقاً. أما ساقك فلا علاقة لها بالقدم، وهي تحتاج إلى زمن طويل. ودّعته ومضيت برفقة جميل الحلاق، الذي تبرّع ببناء كنيسة في قرية صغيرة تدعى جليّانا، لكي نبارك الأرض.

أشهد بصدق ما قلت. وقد رويته بأدقّ التفاصيل كما حدث. والرب عالم بصدقي، وهو الشاهد علي. وعليه أوقّع.

الأب الياس يعقوب كاهن رعية بلدة الخراب

تاريخ 4 أيلول 1991 في كنيسة سيدة البحار »

2- تقرير الدكتور "بسام خياطة":

« أنا الموقع أدناه الدكتور بسام خيّاطة، أُصرِّح أنـــني قـــد فحصـــت وعاينت الأب الياس مطانيوس يعقوب بتاريخ (1) آب عام 1991، وكان يشكو من مناقير عظمية بسلاميات القدمين بين الأصابع، أدّت إلى مسامير لحمية (دمامل)، وبالتالي إلى آلام مبرحة بالقدمين أثناء المشي، مع ترافقهـــا بآفة فطرية بين الأصابع بالقدمين.

كنت قد قررت له العمل الجراحي بعد شفاء الفطور، وإذ بي التقي بـــه بكفرسيتا بتاريخ 16/آب/1991، وهو على أحسن حال، وعاينتـــه. قـــد حدث زوال الدمامل والفطور والآلام، دون أي علاج دوائي حتماً.

د. بسام خياطة »

في عودة إلى شخصية الأب الياس يعقوب، أرى لزاماً عليّ أن أقول أني عرفته عشرات السنين مريضاً. وكان، خلال تلك الفترة، كلما ازداد به المرض فتكاً، يزداد هو غنى روحيّاً، وحريّةً إنسانيّةً، وانفتاحاً خدوماً... وقد تجلّى كل ذلك على نحو خاص، بعد ما زُرِع السيخ الحديدي في ظهره. ومنذ ذلك الحين، كان كلّ مَن يراه، يدهش لحركات له من اليدين، أو من الرأس، أو من الجذع، تبدر منه تلقائيّاً، حتى خلال القدّاس الإلهي... إلا أنها لم تكن بأيّ حال، لتحول دون حضوره الكامل، لله في القدّاس والصلوات، وللناس في داره المتواضعة، هذه الدار التي أتقنت دائماً التأليف بين بساطة الفقراء، وسعة قلب الله!

أما هذه الدار، فكانت، خلافاً لكلّ ما عُهِد عنه في المؤسّسات الرسميّة والكنسيّة، مشرعة الباب أمام كلّ إنسان، حتى عندما كان الأب الياس غائباً عنها، في زيارة صلاة لمريض، أو في مسعى لخدمة قاصديه الكثيرين... أو في مراجعة لطبيب، أو في لقاء طويل مع إخوته الكهنة ورئيسه الأعلى، في طرطوس!

ولكم من مرة روى لي، والبسمة تعلو وجهه، أنه عاد، فوجد في داره محتاجاً يترقّب عودته، بل في سريره من يغطّ في نومه، بحيث جلس هو يترقّب استيقاظه، حتى يقدّم له ما يحتاج إليه من مأكل وملبس أو بعض المال!...

وإن أنسَ، لا أنسَ فرحه الدائم بزيارة جيرانه في بيوتهم، لا سيما في عيدي الفطر والأضحى. وقد كانت أولى زياراتي معه، لأحد جيرانه، تلك التي قمنا بها لجاره المختار "أبو نعيم". وقد لمست بينهما مودّة شفّافة وعميقة، انتقلت عدواها إلى جميع أفراد أسرة "أبو نعيم"، وإلى جميع زوّار الأب الياس وأصدقائه!

وبمرور الزمن، نَمَت في أعماقي الحاجة، بل الضرورة، إلى تعريف شبيبة دمشق، أو بالأحرى الشبيبة التي أتعاطى معها، مثل شبيبة جوقة الفرح، وأسرة الرعية الجامعية، وفرسان المحبّة، بهذا النموذج الفريد من الكهنوت، المتمثّل في شخص الأب الياس يعقوب. وأخذت أحدّثهم عنه، فيما كانوا هم يسألوني أحياناً عن سبب غيابي عن دمشق، بين حين وآخر، في بلدة الخراب...

حتى جاء يوم، كثيراً ما حلمت به، حدّثني فيه عدد من أفراد جوقة الفرح، عن رغبتهم في قضاء بضعة أيام راحة وصلاة، عند الأب الياس يعقوب. ففرحت إذ انفتح الطريق بينهم وبين الأب الياس يعقوب!

وهنا، أحبّ أن أذكر ما فعلت، قبل وصولنا مساء إلى دير الخراب، فقد سألت السائق التوقف، وقلت للجميع بالحرف الواحد، وبيدي مكبّر الصوت:

"أنا سعيد بالمجيء بكم ومعكم إلى هذه الكنيسة.

سوف تشاهدون بعد لحظات، أحد أبشع الناس، وهو، كما تعلمون، أخي وصديقي الأب الياس يعقوب.

كلّي ثقة بأنكم ستكتشفون فيه، منذ اللحظات الأولى للقائكم به، وخلال الأيام الثلاثة التي سنمضيها عندَه، وجهاً من أجمل مَن شاهدتم وستشاهدون في حياتكم!"

وهكذا كان، حتى بات الكثيرون يطالبوني، بين حين وآخر، بتنظيم زيارة للأب الياس في الخراب... وجاء يوم باتت فيه جوقة الفرح الكبرى، تنظّم رحلات إلى الساحل، تشارك في ختامها في الصلاة الحاشدة، التي كانت تقام في مزار سيّدة البحار، مساء عيد انتقال السيدة، يوم 15 آب، بحضور الأب الياس يعقوب!

وكان أن جاء، بعد ذلك، دور "أسرة الرعيّة الجامعيّة"، و"أسرة فرسان المحبّة"، فنظّمتا، كل منهما على حدة، العديد من "مخيّمات" الصيف، عند الأب الياس... وكان الجميع دون استثناء، يعودون إلى دمشق، وفي أعماقهم انطباع لا يُمحى عن صورة للأب الياس يعقوب، الهزيل بجسمه، العظيم بإيمانه وحبّه وحضوره!

وهنا، يطيب لي أن أذكر حادثة طريفة، وذات دلالات كثيرة، تحضرني كلما فكرت بما ألمّ بالأب الياس من أمراض مبرحة، ولا سيما إصابته في القلب، تلك التي اضطرت المطران طربيه للمضي به إلى بيروت، حيث شُخِّصت إصابته "القاتلة" في القلب، ثم أُعيد، بعد فترة من الزمن، إلى طرطوس، حيث أُرغم على "الإقامة الجبريّة" في المطرانية، تحت رعاية المطران نفسه، طوال أربعة أسابيع، في راحة مطلقة لم يألفها يوماً في حياته، وما كان ليجد لها مبرّراً، لا سيما وأنه كان يؤكّد لزوّاره الكثيرين، وأنا واحد منهم، أنه لم يكن ليشعر بأي ألم، وأنه لا بدّ له من العودة إلى رعيّته، ليواصل خدمته، لأنّ الناس هناك بحاجة إليه...

ويومها، اضطرّ المطران أنطوان طربيه، على ما فُطر عليه من صلابة، أن يرضخ لرغبة الأب الياس، ويسمح له بالعودة إلى كنيسته وأولاده! وإني لأذكر جيداً ما قال لي المطران طربيه يوم التقيته، بعد فترة وجيزة في حلب، في مكتب زميله المطران يوحنا جانبرت، وقد سألته عن الأب الياس يعقوب، قال: "عنيد، فوضوي، ولكنه قدّيس! سلّمته لله!"

وفي هذه الأثناء بالذات، قدم إلى دمشق، من الولايات المتحدة، طبيب سوري شاب، يدعى الياس ألبير خوّام، كان، في ما مضى، مسؤولاً عن

"فرسان المحبّة". وكان قد أمضى مع الفرسان، قبيل سفره للتخصص، أسبوعاً كاملاً في كنيسة الخراب. وقد احتفظ منه بانطباع عميق عن الأب الياس، جعله كلّما اتصل بي أو كتب لي، يسألني عنه في حبّ ولهفة.

وكانت عطلته في سورية لا تتجاوز عشرة أيام. وقد التقينا غداة عودته، في بيت السيدة العذراء في الصوفانية. فسألني على الفور عن الأب الياس، فدعوته لزيارته. فلم يتردّد. ومضينا معاً، في اليوم التالي، إلى الخراب، في سيارة والده. وكان يقودها شقيقه الأوسط سامر. وقبل وصولنا بقليل، بادرني بالسؤال عن صحة الأب الياس، فقلت له: "لقد وصلنا. سله بنفسك!". وأشير إلى أني ما كنت قد أخبرت الأب الياس عن مجيء الدكتور الياس معي. وكان اللقاء بينهما حاراً جداً. وما زاد في حرارته أنّ الأب الياس نادى الدكتور الياس باسمه، لحظة نزوله من السيارة، مع أنه كان قد مضى على غيابهما الواحد عن الآخر، لا أقل من عشر سنوات!

بالطبع استفسر الدكتور الياس عن صحة الأب الياس. فجاءه الجواب بالحرف الواحد تقريباً! "الأطباء يقولون إن وضعي العام سيئ للغاية، أما أنا، فإني لا أشعر بأي شيء. وأنا أواصل عملي كالسابق، وكأني في صحة ممتازة. أمشي، أصعد الدّرَج، أعظ، أعقد اجتماعات، ولا أشعر بأي انزعاج..." فطلب الدكتور الياس التقارير الطبية المتوفرة، فجاءه الأب الياس بأحدثها، وكلّها من بيروت. فأخذ الدكتور الياس يتفحّصها تقريراً تلو الآخر. وهنا، لا يسعني أن أنسى النظرة الحائرة التي كان الدكتور الياس ينقّلها بين التقارير والتخطيطات، وهو يقلّبها ويعيد التحديق فيها، من جهة، والأب الياس من جهة ثانية... وطالت حيرته! فسأله الأب الياس باسماً: "ما بك؟ أراك محتاراً...". فقال له الدكتور بالحرف الواحد:

« بصراحة، أنا لا أصدّق ما أرى... التقارير التي بيدي، تؤكد بصورة قاطعة، أنك يجب أن تكون في غرفة العناية المشدّدة، وأنا أراك واقفاً أمامي، وتحدثني، وكأنك في صحة ممتازة! سبحان الله! »

وأكبّ عليه يعانقه بتأثّر!

تلك الشهادة إياها، سمعتها أيضاً مرات كثيرة، بعد ذلك، من طبيبين مقيمين في طرطوس، ويمارسان في مشافيها. إنهما الدكتور المخدّر رياض طه، وهو عراقي، والدكتور المختص بجراحة الكلية، بشار الأحمد، وهو سوري. وقد تعرّفت عليهما وعلى أسرتيهما، عند الأب الياس، وجميعهم يحبّونه حتى الإجلال. وقد سألتهما بدورهما أن يكتبا شهادتهما بشأنه، فلم يتردّدا، على تهيّبهما، نتيجةً لشعورهما بعجز الكلمة عن إيفاء الأب الياس حقّه منها...

أعرف أن شهادتي مجروحة. ولكن لا بدّ لي من المتابعة إذ لديّ أيضاً ما أقوله.

كان تأثير الأب الياس يعقوب، على الكبار والصغار، ملفتاً للنظر، ومثيراً للدهشة. أوَلَيس في وجهه وشكله وحركاته، ما من شأنه أن يثير النفور لدى الأطفال؟

الحقيقة أنه كان يملك قدرةً خارقةً على جذب الأطفال، وكأني به يملك أحلى الوجوه! وكان ينتابني فرح روحي غامر، كلما رأيته يبارك طفلاً، لأني كنت على ثقة تامة من استقامة حياته وقداستها.

وذات يوم، أبديت رغبتي لابنة أختي، المدعوّة كوثر، كي تمضي إلى الخراب مع زوجها نزار، وطفليهما باسكال وجود، لقضاء بضعة أيام هناك، لا لشيء إلا ليضع الأب الياس يده عليهم ويباركهم، ويتذكرهم في ما بعد، في صلاته. ولكني كنت أتهيّب اللقاء الأول بينهم، مخافة أن ينفر الطفلان من وجهه وشكله. وكانت ابنة أختي وزوجها على علم بما بيني وبين الأب الياس من محبّة وثقة، وبما يكنّه جميع أهلي، ولا سيما أختي الكبرى نور، من احترام جمّ له. ولما وافقت كوثر مع زوجها على قضاء بضعة أيام في منطقة الخراب، أخذت أعوّد الطفلين على التحدث إليه هاتفياً. وشيئاً فشيئاً نشأت بينه وبين هذه الأسرة الفتية، مودّة كبيرة. وفي شهر آب من عام (2004)، مضوا إلى الخراب مع أسرة صديقة. فأقاموا كلهم في فندق "القيصر"، وكانوا كثيراً ما يزورون الأب الياس... وكنت كلما تحدثت إليهم، هاتفياً، أكتشف بفرح مدى تعلّق الأهل

والطفلين بالأب الياس. وإنّ لفي الصور الكثيرة التي التقطت لهم هناك، خير دليل على تلك المحبّة المتبادلة...

وكان يوم حمّلني فيه الأب الياس حنجوراً من العسل للطفلين باسكال وجود. وعند عودتي إليه، بعد فترة، سألني إن كان الطفلان قد أحبّا العسل. فقلت له: سلهما هاتفيّاً. فاتصل بهما على الفور، ودار بينه وبينهما حوار طريف جداً، فيه من براءة الأطفال وفرحهم، ما غمرني بالسعادة. وإذ بالأب الياس يسأل الطفلة باسكال، إن كانت وجدت العسل حلواً، فجاءه الجواب على الفور: "العسل حلو، بس أنت أحلى!". وكانت باسكال يومها في السابعة من العمر!

هكذا كان الأب الياس مع الكبار والصغار!

أما الشبيبة، فلكم من مرة راقبت تصرّفه معها، إذ كانت تأتيه من مختلف المناطق السورية. فكان هو هو، مع الشبيبة الجامعية أو الثانوية أو الطلاب الإعداديين أو أطفال الصفوف الابتدائية. وكان تعامله بالمجان مع الجميع، فلا دور البتّة للمال في التأثير على قبولهم وإقامتهم. إلا أنه كان يترك لهم الحرية التامة في تقديم ما يريدون أن يقدّموا، في نهاية المخيّم، إن كان لهم ما يقدّمونه. وكان شديد الإصرار على المسؤولين فيهم، حتى على الكاهن المرشد، بضرورة السهر على توفير مناخ روحي هادئ، خالٍ من أي صخب موسيقي مألوف، كي يتيح لهم أن ينهلوا من تواجدهم لديه بجوار الكنيسة والمزار، ما بين البحر والجبل، ما هم حقّاً بحاجة إليه، من صمت وتفكير وصلاة وحوار ومرح هادئ. وما كان يوماً ليبخل عليهم بما كانوا يسألونه من خدمات روحيّة، من إقامة قدّاس أو سماع الاعتراف أو تقديم حديث.

أما مخيّمات "المعاقين"، فكانت تحظى منه بعناية فائقة، فيجنّد في سبيلها أبناء الرعية جميعاً، فتتحوّل دار الرعية بين ليلة وضحاها، إلى ما يشبه خليّة النحل، فتُحمَل إليها من البيوت، أطباق الطعام كلّ يوم، في انتظام وفرح.

وكان، إذا ما ضاقت الأمكنة، على كثرتها ورحابتها، بالمتواجدين لديه، من أطفال وشبيبة ومسؤوليهم، لا يتورّع عن فتح الكنيسة لهم، ولكن بعد أن يكون اتفق على ذلك، مع لجنة الوقف...

وكان فرحه الأكبر في استقباله فئات من الأطفال أو من الشبيبة، يعرف جيّداً أنهم ينتمون إلى طبقة محرومة. وعندها، على عادته، كان يعرف كيف يحشد طاقات أبناء الرعية، من أجل توفير كلّ ما يمكنه توفيره لهم، طوال فترة إقامتهم. وكان أبناء الرعيّة يتنافسون حقّاً في الاستجابة على أكمل وجه. وكان كلّ ذلك يتمّ دون المساس بأي حال، بالجانب الروحي والإنساني، الذي كان يحرص على توفّره لهم، طوال هذه المدة.

وإلى ذلك، كنت ألحظ في دهشة لا حدود لها، ما كان يقتات به الأب الياس، خلال هذه النشاطات المتلاحقة والمتعدّدة. إنه كان يقتات بما يكاد يكون لا شيء! فهو، في أحسن الأحوال، كان يكتفي بصحن من اللبن لا غير، يلقي فيه بضع قطع صغيرة من الخبز ليس إلا... وما كان ليتناول ما في هذا الصحن... إلا مرة واحدة في النهار!...

هذا هو الكاهن والإنسان، الذي أتاح لي الربّ أن أعرفه طيلة سنوات كثيرة. ولقد أمضيت خلالها أياماً طويلة عنده، وكأني بي مع أخ لي، ولا سيما بعد أن أُصبت بعيني اليمنى. فكان بذلك الكاهن الوحيد الذي كنت أحيطه علماً بكلّ ما يحدث لي. وكان وحده أوّل المسارعين إليّ إلى دمشق، إذا ما دعوته، على ما كان ينتابه من آلام لا تطاق، من جراء ركوبه السيارات لمسافات طويلة. وكنت أشعر، كلّما قدمت إلى الخراب، وحيداً أو مع أختي نور، أنّ المحبة الرائعة التي كان يخصّني ويخصّ أختي بها، كانت تنتقل عدواها، يوماً بعد يوم، إلى الكثيرين من أبناء رعيته. وكانت قمّة فرحي أن أشترك معه يوم الأحد أو يوم عيد ما، في إقامة القدّاس. ولكم كنت أتأثر بعظاته، وبالطريقة المُحبّة والجريئة، التي كان يخاطب بها الناس، إذ ألحظ الكثيرين يحدّقون فيه، مثلما يحدّق المؤمن في إيقونةٍ حيّة!

ولكم بَذلتُ من جهود، كي أستدرجه لمعرفة شيء من مراحل حياته

السابقة. وكنتُ أظفر منه بنُتَف لا تغني، وأحياناً بأحداث مدهشة، يسرّ إليّ بها، عندما كانت تنتابه حالة مميّزة من الاسترخاء الروحي. وإنه ليسعدني أن أورد بعضاً منها، إذ هي تكشف في آن واحد، عمّا كان يتمتّع به من حسّ إنساني خارق، ومن ثقةٍ بالله لا حدّ لها...

من هذه الأحداث، أنه كان ذات مساء ماضياً وحده في سيارة تكسي إلى طرطوس، في مهمة ما. فما أن انطلق التكسي به من مركزه، حتى رأى فلاحاً يسير مع زوجته وأطفالهما الأربعة في الطريق، تحت المطر... فتجاوزهم التكسي قليلاً، ثم طلب الأب الياس من السائق العودة إلى الوراء. ونزل تحت المطر يسأل الفلاح عن حاله وحال مَن معه. فعلم أنه طُرِد للتو من أرض فلان... حيث كان يعمل مع أسرته منذ سنوات، ودونما أي تعويض. وهم لا يدرون ما يعملون، في حين أنهم يريدون الوصول إلى حمص، حيث لهم بعض الأهل!... فما كان من الأب الياس إلا أن أصعدهم معه في السيارة، وطلب من السائق التوجّه بهم إلى حمص، حيث أنزلهم عند أقربائهم. ثم نقد الرجل بعض المال، وعاد على الفور إلى الخراب... ومضت سنوات طويلة على تلك الحادثة...

وذات يوم، إذ كان الأب الياس في حمص، واقفاً يرقب سيارة يستقلّها إلى طرطوس فالخراب، شعر بيد تُربّت بلطف على كتفه. فالتفت، فشاهد رجلاً يبسم له، ثم ينحني فجأةً ويقبّل يده بتأثّر كبير، وهو يقول له: "أبونا، هل تتذكرني؟". ثم قال له بصوت متهدّج: "يا أبونا، رح ذكّرك! هل تتذكر، منذ سنوات طويلة، فلاحاً كان سائراً مع زوجته وأطفاله الأربعة، في مساء ماطر، وهم خارجون من الخراب، فأصعدتهم في سيارة تكسي معك، وأوصلتهم إلى حمص؟... هذا الفلاح، يا أبونا، هو أنا"! ثم رجا الأب الياس أن يمضي معه إلى منزله، حيث عرّفه على أسرته، وقد بات الأطفال رجالاً. بالطبع حاروا في تكريمه... ثم طلب الأب من أحد أبنائه أن يعود بالأب الياس، في سيارته، إلى الخراب!

من هذه الأحداث أيضاً، قصة صيد عجيب حقاً.

ذات يوم، حلّ فجأة على الأب الياس، ضيوف كثر وقت الغداء. فدعاهم، على عادته، لتناول الطعام عنده. وقصد على الفور أحد الصيادين من أبناء الرعية، يسأله كمية كبيرة من السمك. فجاءه الجواب صريحاً: "البحر مضطرب، وقد فشلنا في اصطياد أي شيء اليوم". فأصرّ الأب الياس، وهو مطمئن إلى استجابة الصياد له. ثم حدّد له موقعاً في البحر، وقال له بكل ثقة: "امضِ إلى هناك، فتجد الكمية التي نحتاج إليها". فمضى الصياد بمركبه إلى حيث الموقع المحدّد. وعندها كانت المفاجأة الكبرى: فاقت كمية السمك كثيراً ما كانوا بحاجة إليه!

أروي أخيراً حادثة مزار السيدة العذراء، الذي كان الأب الياس يريد إقامته في كامل الأرض التابعة للكنيسة، وقد نوى أن يرفع فيه تمثالاً كبيراً للسيدة العذراء، بجوار الدير الذي كان قد بناه لاستقبال الشبيبة. وكان الكثيرون يشيرون عليه - وأنا منهم! - باستبدال هذا المزار الكبير، بمغارة صغيرة تُشاد بجوار الكنيسة، كي يتاح له أن يستثمر الأرض الواسعة، في ما يعود على الرعية والكنيسة بريع وفير! وأصرّ الأب الياس على إقامة المزار على كامل الأرض. فأشار عليه أحد المهندسين بضرورة البحث عن كتلة صخرية كبيرة، يقام عليها تمثال كبير للسيدة العذراء، لأنه كان يريد لجميع المسافرين على الطريق العام أن يروه. وجرى التنقيب في كامل مساحة الأرض، فكان أن عُثِر على كتلة صخرية ضخمة في المكان إياه الذي كان مهندس المزار قد حدّده مكاناً أوحد، ملائماً لإقامة التمثال... وهكذا كان. ثم سُوّيت الأرض، وزُرِعت الأشجار فيها، وبُني مزار رحب ذو أعمدة كثيرة، ويتوسطه تمثال عظيم للسيدة العذراء، صنعه نحات سوري. إلا أنّ هذا التمثال كان يشكو شيئاً من الخلل في توازن نسب الجسد، وقسوةً غير عادية في ملامح الوجه. ولكم رجوت الأب الياس أن يسعى لإعادة شيء من الطراوة والطيبة إلى هذا التمثال! وكان أن سعى جاهداً، حتى وُفِّق أخيراً، قبيل موته بأشهر

قليلة، بنحّات بولوني زاره ذات يوم مع زوجته، وأقام لديه فترة، أتاحت له أن يعيد إلى التمثال الشيء الكثير من طراوة العذراء وحنانها...

هذا التمثال، كما هو اليوم، وكما كان بالأمس، كم وكم من الناس أتوا ليصلّوا، بل ليركعوا أمامه، ويضيئوا الشموع! ولكم من مرة، إذ كنت عنده، شاهدت السيارات تدخل أرض الكنيسة، فينزل منها الناس، ليلاً ونهاراً، ليصلّوا، ثم ليتابعوا الطريق!

إلا أنّ الكثيرين منهم كانوا يصرّون على الصلاة في مزار السيدة العذراء، برفقة الأب الياس... وما كان هو ليرفض طلباً، في ابتسامته المعهودة. ثمّ إنه كثيراً ما كان يرافق الزوار حتى باب المزار الخارجي، ويظل يلوّح بيده الطيّبة، المتعبة، حتى تغيب السيارة في البعيد.

أُنجز المزار عام (1983)، وكان قد قام من خلفه إلى الشرق، بناء رحب بطابقين، يضم أولهما قاعة واسعة، أُلحقت بها ثلاث غرف رحبة، لاستقبال أفواج الشبيبة والأطفال، خلال لقاءات الصيف. كما أُقيمت خلفها الخدمات الصحية اللازمة.

ومن المعروف عن الأب الياس أنه انتهج المجانية المطلقة في جميع الخدمات، الكنسية منها وسواها. وهذا أمر ليس من السهل انتهاجه في الكنيسة. فووجه بمقاومة كنسيّة وشعبيّة، بادئ الأمر، لأنّ العدد الأكبر من المؤمنين استهجن مثل هذا الموقف، ذلك أنّ "الحسنة" باتت أمراً مألوفاً من زمان بعيد، بل محبّباً، إذ هي تريح المؤمنين نفسيّاً من عبء المشاركة في مسؤولياتهم المادية حيال كهنتهم وأساقفتهم!

إلا أنّ إصرار الأب الياس كان الأقوى. وقد ظلّ وفيّاً له بمفرده حتى لحظة وفاته. وكنت على يقين، من خلال خبرتي الشخصيّة، أنّ مثل هذا السلوك يهبه من الحريّة والجرأة في التعامل مع الجميع، ما لا يتمتّع بمثلهما مسؤول كنسي أو كاهن!

وإني لأجزم بأنّ هذا السلوك بالذات، كان يجعل المال هو الذي يركض وراء الأب الياس، فيأتي لخدمته، في توقيت مدهش، ومن أبواب

كثيرة. ولكم كان يتقن استخدامه! ولقد تبيّن لي، بمرور الوقت، أنه، على ظاهر الفوضى التي كان يُتَّهم بها، كان صاحب برنامج إصلاحي وعمراني وزراعي، مدهش حقّاً.

وإنّ المتتبّع لأعمال الأب الياس، يلحظ أنه بدأ أوّلاً بإصلاح كنيسة الرعيّة وتزيينها. ثم انتقل إلى بناء مزار "مار هبيان" على البحر وتزيينه. ثم اقتنى أرضاً واسعة خلف مزار "مار هبيان"، وأقام فيها بيوتاً بلاستيكيّة، واستثمرها في زراعة البندورة، أسوة بسائر المزارعين في المنطقة، ونجح. وكان أن حاول استعادة مخفر الساحل الذي بجوار مزار "مار هبيان"، بوصفه أرضاً للوقف، وكاد أن ينجح...

ثم تبيّن ضرورة بناء كنيسة في بلدة الجمّيز، على بعد سبعة كيلومترات إلى الشمال من كنيسة الخراب. ومضى في المشروع، فقامت الكنيسة، وقام بخدمتها على أتمّ وجه. ثم أَلحقَ بها بناءً كبيراً يصلح سكناً للكاهن العتيد، ومقرّاً رحباً لمختلف نشاطات الرعيّة الجديدة...

إلاّ أنّ أهم ما أنجز في بلدة الخراب، كان، كما يبدو لي، البناء الكبير الذي أقامه بجوار الغرفة الصغيرة، التي كانت لسنوات طويلة، مقرّ سكنه الوحيد، يوم كانت قائمة، لأكثر من عشرين سنة خلت، وسط حرش كثيف يحيط بها من كلّ جانب، وهي تفتقر بالكليّة إلى الماء والكهرباء والأثاث والسرير والمرحاض والحمام، بحيث كان، ليلاً، كثيراً ما يحمل فراشه ويؤوي به إلى الكنيسة، ليمضي الليل فيها... ولا بدّ لي هنا من ذكر بعض ما دمّر صحته، وهو ضرورة جلبه الماء من نقطة ماء كانت تقع على بعد مائتي متر من هذا الكوخ الصغير، فكان يحمل سطلي الماء على عارضة خشبية يضعها على كتفيه النحيلتين، فانتهى به الأمر إلى إصابة عموده الفقري، بانحراف كلّي، كاد أن يقضي عليه، لولا أنّ كاهناً ألمانياً صديقاً رئف به، وحمله معه إلى ألمانيا، حيث أجريت له ست عمليّات جراحيّة، استغرقت أشهراً بكاملها، وقد عاد بعدها، وفي ظهره سيخ حديدي، كان بمثابة صليب لصيق بظهره!

لكم يصعب على المرء اليوم، وهو يرى ما هو قائم في الخراب، من بناء كبير، ومزار واسع، أن يتصوّر الحرش الكثيف الذي عاش الأب الياس في قلبه، سنوات طويلة، في ظروف حياتيّة يستحيل على المرء تصوّرها.

أما الأموال الطائلة، الضروريّة لكلّ ذلك، فقد كانت تأتيه منصاعةً، في توقيت مدهش، ومن مصادر مختلفة لم يكن له في الغالب، علمٌ بها. وكان يتقن إنفاقها بفضل نخبةٍ اختارها من أبناء رعيّته، فكانوا بحقّ يتعاونون معه، في أريحيّة وصدقٍ وشفافيّة، أشهد لهم بها، إذ كان أحياناً يدعوني، بعد استئذانهم، لحضور بعض اجتماعاتهم معه.

ومَن عرف عزّة نفس الأب الياس، يدرك أنه لم يكن من السهل عليه، أن يروي بعضاً من ظروف حياته السابقة، إمّا تستّراً منه على واقع كنسي مؤلم، لا يريد سرده ولا تذكّره، وإما تغييباً منه لحياة من التضحية الخفيّة، والإماتة البطوليّة الصامتة، اقتداءً بمعلّمه الأكبر يسوع، وشفيعه خوري "آرس" الفرنسي (le Curé d'Ars).

وكان من المعروف لدى القاصي والداني، أنّ الأب الياس ضنين جداً بذكر ماضيه، لا لشيء إلاّ لأنّه كان يعيش كلّ لحظة في حضرة من أحبّه ومنحه حياته كلّها، وفي تطلّعٍ لَهوفٍ إلى المثول بين يديه، لحظة يستدعيه، دون عبءٍ من مال أو طمع أو ندم على شيء!...

ولكم حاولت في جلسات حميميّة، أن أستدرجه للكشف عن هذا الماضي، إذ كنت دائماً متلهّفاً لمعرفة البيئة العائليّة والاجتماعيّة التي كوّنت هذا الإنسان الفذّ. وأخيراً وُفِّقت ذات يوم، إلى إقناعه بسردٍ مصوّرٍ بالفيديو لجوانب من سيرته، على أن أحتفظ به لي وحدي... وكان لي ما طلبت. فسجّلت له حديثاً قارب الساعة والربع، على شريط فيديو، لم أطلع عليه أحداً من الناس حتى يوم وفاته. وقد تبيّن لي يومها، أكثر من أي يوم مضى، أنّ الأب الياس لم يكن مُلكاً لذاته، فكيف لي، بعد غيابه، ألاّ أجعله مُلكاً للآخرين؟ واتّضح لي على الفور واجبٌ ملحّ، وهو

أن كلّ ما لدي ممّا له علاقة بالأب الياس، يجب أن يكون في متناول جميع مَن عرفوه، أباً وكاهناً وصديقاً لهم، وجميع مَن سيعرفونه فيما بعد، أباً روحيّاً وشفيعاً لهم ولسورية كلّها.

ولذا قرّرت أن يكون محتوى هذا التسجيل الفريد والوحيد، بمثابة القلب من هذا الكتاب - الشهادة، على أن يوزّع التسجيل المصوّر ذاته، مع كل نسخة من هذا الكتاب، كي يتسنّى لكلّ إنسان أن يشاهد بالصوت والصورة، ما يرويه الأب الياس نفسُه عن نفسِه، وكيفيّة روايته له...

ولا بدّ لي من الإقرار بأنّ هذا التسجيل كان مقرّراً له، كما كنتُ اتّفقتُ مع الأب الياس، بعد جهد جهيد، أن يكون المحطة الأولى من محطّات لاحقة، يكشف فيها الأب الياس نفسُه عن نفسِه، أو عن بعض نفسِه. ذلك بأنّ في حياته، جوانب أخرى غنيّة، لم أُشر إليها حتى الآن. فمَن عرفَه، يعرف حرصه الدائم على تأسيس الطفولة والشبيبة على قاعدةٍ متينةٍ وعمليّة من الإيمان الفاعل، عبر اجتماعاتٍ دوريّة، معظمها أسبوعي، ونشاطاتٍ مختلفةٍ، تتخلّلها صلواتٌ جماعيّة، وتأمّلات إنجيليّة، وعبر الرحلات ومخيّمات الصيف. وكان يشرف بنفسه على كلّ هذه النشاطات، بمساعدة نشطَة ومتفانية ممّن كانوا يعيشون معه خلال شهر الصيف، في بيت الرعيّة، من شبّان يدرسون، في لبنان، الفلسفة واللاهوت، استعداداً للكهنوت. وكان كلّ ذلك يتمّ بموافقة وتشجيع من رئيسه الأعلى، المطران أنطوان طربيه أوّلاً، ثمّ المطران مسعود مسعود، أملاً منهما في أن يكتسب طلاب الكهنوت هؤلاء، من الأب الياس، بعضاً من إيمانه وتجرّده وتفانيه. ورأيت من واجبي بالتالي، أن أسأل جميع هؤلاء، وقد تسنّى لي أن أتعرّف عليهم فرداً فرداً، أن يكتبوا شهاداتهم أيضاً، كي أضمّها إلى هذا الكتاب - الشهادة.

ثمّة نشاط آخر، كان الأب الياس ضنيناً بإعلام حتى معارفه المقرّبين عنه. إنه ذاك الذي كان يخصّ به العائلات المحتاجة، لا من أبناء رعيّته وحسب، بل أيضاً وخصوصاً من أبناء قرى أخرى كثيرة، دون تمييزٍ البتّة

بين فئة وأخرى. فكان يجمع كلّ ما كان يُتاح له جمعه، من ثياب وأحذية وأغذية، ويحملها بنفسه وبمساعدة العديد من الراهبات، ويوزّعها على هذه العائلات. وقد بلغ خبر هذه الفعاليّة الإنسانيّة، بعض التجار في حلب، فباتوا يرسلون إليه بين حين وآخر، كمّيات وافرةً من الألبسة الجديدة، من داخليّة وخارجيّة، تاركين له بالطبع أمر توزيعها...

هل هذا كلّ شيء؟

بالتأكيد لا. فهناك الكثير أيضاً ممّا يجب ذكرُه. إلا أني أترك روايته للشهود الكثيرين الذين سألتُهم كتابةَ شهاداتِهم.

ولكن هناك جوانب أخرى، أريد الإشارة إليها باقتضاب.

الجانب الأول، بالغ الأهمية، وقد تجلّى في ما قدّم الأب الياس، من مساعدة حاسمة لمن هو رسول المعاقين في سورية، الأب بولس سليمان، يوم أراد إنشاء منتجع "كفرسيتا"، الذي بات اليوم محطّة هامّة، لا في حياة الساحل السوري وحسب، بل أيضاً في حياة الكثيرين من أبناء سورية جميعاً، على اختلاف أعمارهم وانتماءاتهم الاجتماعيّة والثقافيّة والدينيّة. وإنّ البحث في هذا الموضوع ليحتاج إلى مؤلَّفٍ مستقلّ. غير أني أكتفي اليوم بذكر العبارة التي نقلها إليّ صديقي الأب بولس سليمان بنفسه، والتي سمعها من أحد أهمّ المسؤولين في الساحل السوري، يوم مضى الأب الياس بالأب بولس إليه، ليبسط أمامه هذا المشروع المسمّى اليوم "كفرسيتا". فقد أصغى هذا المسؤول طويلاً، إلى الأب الياس أوّلاً، ثمّ إلى الأب بولس، ثم اكتفى بالقول للأب بولس:

"شوف يا أبونا، لو كنتَ أتيتني بأي واسطة أخرى غير الأب الياس، لكنت رفضت هذا المشروع لأسباب كثيرة. أما وقد أتيتني مع الإنسان الوحيد الذي لا أستطيع أن أرفض له أيّ طلب، فلك ما تريد!"

الجانب الثاني، جانب دقيق، ولكن لا يجوز لأحد كتمانه. أعني به

التناوب الدائم في تواجد بعض من أنسباء الأب الياس، معه في سكنه القائم بجوار الكنيسة، خلال سنوات طويلة حتى وفاته المفاجئة، وأخصّ بالذكر منهم، ابنة أخيه ليديا، وابن أخيه هاشم، شقيق ليديا. ولئن كان لي أن أشبّه كلاً منهما بشيء، فليس لي إلا أن أقول دون تردّد، إنهما كانا بمثابة ملاكين حارسين له. فقد كان كلّ منهما يلازمه ليلاً ونهاراً، حيث كان يجب أن يلازمه، كما كان يغيب في محبّة واتّضاع، حيث كان يجب أن يغيب. من ذلك مثلاً أنّ كلاً منهما كان متوقّد الحضور والمحبّة والملاحظة، إذ كان يأتي لزيارته الكثيرون، بموعد وبغير موعد. كما كان كلّ منهما يقوم بتحضير مائدة الطعام على أكمل وجه، وشيّ السمك وإعداد الدجاج، عندما كان الأب الياس يبسط مائدة المحبّة والطعام، للعديد العديد من الأصدقاء القادمين، ظهراً أو مساءً. ولكم من مائدة جمعتني عنده مع أصدقاء له، باتوا بفضله أصدقاء غالين عليّ. ولكم أسعدني أن ألمس لديهم ما يكنّون له من محبّة خالصة وثقة، في حياته وبعد غيابه.

وهناك أخيراً جانب لا بدّ لي من التوقّف عنده، وهو الجانب الثقافي في حياة الأب الياس.

لقد كان يملك مكتبةً غنيّةً، لا سيما في ميدان التاريخ الكنسي والعربي. وكان مطالعاً جاداً وحافظاً. وقد تبيّن لي أنه آلى على نفسه أن يثير مع بعض زوّاره، مواضيع تاريخيّة هامّة، كان يبغي من خلالها تأجيج فضولهم المعرفي، لا سيما بشأن تاريخ الساحل السوري. ولذلك، فإنّ جميع اهتماماته وأشغاله، لم تحُلْ دون وضعه كتابين تناول فيهما تأصّل الحضارة المسيحية في الساحل السوري، الأوّل منهما بعنوان (مرقية - عكاز الساحل - تاريخ الخراب) عام (1999)، والثاني بعنوان (تاريخ المدن الساحلية السورية المسيحية) عام (1999).

كما أنه وضع مؤلّفين آخرين في الشأن الكنسي. أولهما كتيّب بعنوان

(الرسولان الأمينان – بطرس الباني والياس داغر) عام (1999)، وقد سرد فيه سيرة هذين الكاهن والشماس، الاستثنائيّين، وهما من بلدته، بلدة "البساتين"، حيث عاشا وخدما، فتركا فيها ذكراً عابقاً إلى اليوم بالقداسة. وأما الكتاب الأخير فقد صدر عام (2000)، وهو بعنوان "وجه الأسقف في الكنيسة المارونية، المطران انطوان طربيه". وقد خصّ به هذا الأسقف، أنطوان طربيه، وعدّد فيه مآثره في نطاق الخدمة الكنسية والوطنية، وإنجازاته الكثيرة في نطاق التربية والتعليم والمجتمع. والجدير بالذكر أنّ المطران أنطوان طربيه آثر أن يمضي ثلاث سنوات كاملة بعد استقالته، وقد أصيب بالسرطان، وقبل انتقاله إلى بيروت حيث عولج فيها حتى وفاته، في كنف الأب الياس يعقوب، وفي رعايته الشخصية، وذلك في الدار الخاصة التي كان قد أقامها خلف مزار السيدة العذراء.

وهنا، أرى لزاماً علي أن أشير إلى موقف نبيل جدّاً، بدر من الأب الياس، لم يفاجئني، ولكنه قد يفاجئ الكثيرين. ذلك أنّ شقيق المطران أنطوان طربيه، واسمه (فريد)، وهو مقيم في لبنان، قد خصّ في وصيته، قبيل وفاته، الأب الياس يعقوب، بمبلغ (300.000) ل. س. تقديراً له على خدماته لشقيقه المطران طربيه في فترة تقاعده ومرضه. وقد كلّف شقيقه المطران أنطوان طربيه بتسليم هذا المبلغ للأب الياس، يداً بيد. فما كان من الأب الياس إلا أن رفض هذا المبلغ، بكبر وإصرار، تاركاً إياه في تصرف المطران نفسه!

وجاء يوم غاب فيه الأب الياس يعقوب بدوره.

غيابه هذا، كنت دائماً أخشاه.

ولقد حدث فجأةً، صباح يوم الأربعاء، 14 كانون الأول عام 2005، بعد أن كنّا تواعدنا هاتفيّاً، بقضاء بضعة أيّام عنده، بدءاً من يوم الإثنين 19 كانون الأول.

يومها طار قلبي من صدري، ألماً وحزناً. ولكني لم أستطع أن أمضي

لتوّي إلى الخراب، بسبب أولى أمسيات الميلاد، التي كانت جوقة الفرح ستُحييها في اليوم نفسه، في دار الأوبرا بدمشق.

في اليوم التالي، كنت منذ التاسعة صباحاً في الخراب.

كان نعش الأب الياس قد أُخرج لحظتها من البرّاد، حيث كان قد قضى أكثر من عشر ساعات. ورفع الغطاء المكسوّ بالجليد. فتقدمت منه ولمست خدّه، قبل أن أقبّله وأقبّل يديه. كان خدّه طريّاً ودافئاً، وكانت يداه دافئتين وطريّتين.

لم أستطع أن أقول شيئاً. كنت أشبه بالميت، حزناً على فقده.

توافد الناس بكثرة عجيبة. وكان الوجوم والحزن يخيّمان على الجميع. غاب ملاك الساحل السوري! وكان الكثيرون يقدّمون لي التعازي بتأثّر واضح، لعلمهم بما كان بيننا من محبّة وثقة وفرح!

وفي ختام الصلاة، حُمِل النعش على الأيدي، وكان مكشوفاً، وطافوا به وسط الآلاف الواجمة والباكية، من الذين تجمّعوا في ساحة المزار وعلى جنباتها، فيما كان الكثيرون يحاولون باكين لمس جثمان أبيهم، الذي حملهم في حبّ خارق، سنوات طويلة، في صلاته وقلبه وعقله. ثم أُنزل النعش في الأرض، تماماً تحت موقع تمثال السيدة العذراء، ليواصل بذلك، حتى بعد غيابه، تواجده "تحت رجليها"، ويترجم بذلك ما عاشه حقّاً طوال عمره، وما خلّده القول العربي الرائع: "الجنّة تحت أقدام الأمهات!".

ويا لها من أمّ!

وكان ذلك المثوى أغلى أمانيه!

وعندها، عندها فقط، تقدّم مني ابن أخيه هاشم، رفيق عمره الرائع، وارتمى على صدري يجهش بالبكاء... ثمّ تمالك نفسَه بصعوبة، وأخرج من جيب سترته الداخلي، مغلّفاً أبيض، ملصقاً، يحمل ترويسة "كنيسة سيدة البحار المارونية - بيت العناية الإلهية - طرطوس - الخراب"، وقد كُتب عليه بخط الأب الياس يعقوب المعروف، بحروف كبيرة:

« وصيّة أخيرة

إلى حضرة أخي الياس زحلاوي المحترم »

ماذا في هذه الوصيّة؟

إنها الأب الياس يعقوب، وقد رسم إيقونته فيها، من حيث لا يريد ولا يدري، للأجيال القادمة، في كلمات قليلة، جاءت على بساطتها، قمّةً في الصدق والسمو، ودعوةً حارقةً لكلّ مؤمن.

يقول فيها، وهي بتاريخ 2005/5/4:

« وصيّة أخيرة

إلى حضرة أخي الياس زحلاوي المحترم

إلى أخي وصديقي الحبيب الياس زحلاوي، يا مَن كان رفيق مسيرتي منذ ثلاثين وثلاث سنين وكان لي ميناء أرسو فيه عندما كان يغشى على روحي في شدّة، وكان تعزية وعضداً. أحمّلك رسالتي هذه إلى البرادو، إلى معلمي انطوان شفريه، الذي على ضوء سيرة حياته كملت رسالتي الكهنوتية، وعلى ما كانت عليه طفولتي وشبابي، عشت فيها مسيرتي الكهنوتية.

نعم، إني أشكر إلهي: لا أملك شيئاً، لا مالاً في البنك، ولا في جيبي، أو أمانة مع أي شخص.

اشكره لأني ولدت فقيراً، عشت الفقر. وكفقير ذقت مرارة الجوع كفقير والبرد والعزلة، لذلك أحببت الفقر والحرمان والتجرد وجدت فيه الغنى. كل ما كان يأتيني من مال وهبات، كنت اعتبره ليس لي، لكوني الأب الياس، ولكن لأني كاهن يجب أن يرجع إلى الفقراء والكنيسة.

ولا أعرف كيف كان يأتي، ومن أين يغدق عليَّ النعم لأن أقوم بمشاريع الكنيسة.

لا أملك شيئاً إلا مكتبتي الخاصة أتركها وأقدمها للرعية، وأطلب من ضمير الكاهن الذي يخلفني أن يحافظ عليها، والكؤوس منها عند وكيل الوقف حمود كاملة والباقي في المكتبة أتركها للكنيسة.

أشكر إلهي على ما أحاطني به من نعم، وهيأ لي أشخاصاً في مسيرة حياتي.

أولاً: المطران انطون طربيه الذي رعاني منذ طفولتي، وعلّمني على حسابه الخاص. وكان لي مثال التجرد والفقر والعطاء المجاني، والذي أوصى أخاه فريد فيّ عند مرضي وشيخوختي، لأنه يعرف أني لا أملك شيئاً ولا مَن يساعدني.

أشكر الآباء اليسوعيين الذين تعرفت عليهم: مسامیري، وفرنسيس فندرلخت، أخاً وصديقاً، ودياب. تعلمت من هذه الرهبنة أن الكاهن رجل صلاة، كيف يعيش الإنجيل، ورسول... لأن هذه الرهبنة صلاة وعيش الإنجيل وكرازة شاملة لكل إنسان.

لذلك أحببت أن كما ولدت عريان أن أعود إليه عريان. لقد حافظت على إيماني وأشكره أنه ساعدني. لا أعرف الخطيئة بل حفظت جسدي ونفسي بدون أن ألطخ ثوب عمادي.

أطلب أن تصلي رعيتي من أجلي ومن أجل أصدقائي الياس وهشام ابن أخي وبسام وعقاب.

أغفر لكل من أساء إليّ وأطلب المغفرة إذا أسأت لأي شخص.

أشكر أخيراً الأب جهاد ناصيف الذي رافقني في مرضي في ألمانيا وكان لي أخاً وصديقاً.

أنا الأب كتبت وصيتي هذه بخط يدي.

في 2005/5/4 الأب الياس يعقوب »

في ذلك المساء، عدت إلى دمشق، أحمل على صدري وصيّة "أخي" الأب الياس، وفي قلبي حزن بحجم الكون!

وفي المساء عينه، عاد الاضطراب إلى عيني اليمنى المنطفئة، تلك التي كان الأطباء يجهدون، منذ شهر تموز، في إنقاذ مظهرها الخارجي فقط. وتسارع اختلال الضغط فيها، وتفاقمت الالتهابات يوماً بعد يوم. فبات من الضروري استئصالها، إنقاذاً للعين اليسرى. واستُئصلت في بيروت في الرابع من شهر كانون الثاني من عام 2006.

وبعد عشرين يوماً، أُقيم قداس الأربعين في بلدة الخراب، وحضره حشدٌ عظيم، وأُلقيَت كلمات وقصائد إحياءً لذكراه، فيما هو بدا لي حاضراً أكثر من أيّ وقت مضى.

وكان حقّاً حاضراً بقوّة مدهشة في محبّة محبّيه الكثيرين، وكأني به ليس فقط لم يبارح الخراب، بل عاد إليها بزخم جديد!

وعاهدت نفسي يومها على كتابة شهادتي عنه، على أن أستشهد فيها أيضاً الكثيرين ممّن عرفوه وأحبّوه.

ويومها سمعت أيضاً الكثيرين يلهجون بذكر أشفية، قديمة وحديثة له. ولما كنتُ على معرفةٍ بالعديد منها، وكلّها حقيقيّة، قرّرت أيضاً رصدها، مرفقةً، إن أمكن، بالشهادات الطبيّة الخاصة بها.

وما إن بدأتُ بعد فترة من الزمن، أجري الاتصالات بهذا الشأن، مع بعض الأصدقاء المشتركين، ومنهم على نحو خاص رزق بطرس معوّض، المعروف بأبو عقاب، وبرفقة المصور الشاب كنان عقل، حتى تبين لنا وجهٌ جديد من وجوه حضور الأب الياس بعد غيابه، وهو عدد الأشفية التي حدثت على قبره أو بشفاعته، وكلّها أشفية لا يُستهان بها، عدداً وقيمةً. وقد حرصت مع "أبو عقاب" وكنان، على تسجيل وتصوير جميع هذه الحالات بالفيديو وبصوت أصحابها. كما أني جمعتُ معهما التقارير الطبيّة، مرفقةً بالتسجيل الحي، صوتاً وصورةً، مع أصحابها، كي يُصار إلى نشرها كلّها في هذا الكتاب – الشهادة.

هل هذا كلّ شيء؟

دعوني أتوقّع، بل أجزم بأنّ "أبونا الياس" سيفاجئنا وسيفاجئ سورية كلّها، بكثافة حضورٍ له فيها جديد، في زماننا هذا الصعب، هو الذي أحبّها حبّه لله ولكلّ إنسان.

الأب الياس زحلاوي

حريصا في 2012/11/1

شهادات مكتوبة غير مؤرّخة

1) **المطران حميد موراني**

ثمة شهادة استثنائية من إنسان استثنائي. إنه المطران حميد موراني.

كان قد عَرَف الأب الياس يعقوب، في مدرسة "كرم سدّة" بلبنان، يوم كان بعد طالب فلسفة ولاهوت، قبل عقود من الزمن. وهو الذي كان قد دَرَس الفلسفة في ألمانيا لسنوات طويلة خلت، ثم أخذ يدرّسها في الجامعات اللبنانية، ويكتب الكثير بشأنها، حتى اختير أسقفاً للكنيسة المارونية في دمشق عام 1989، حيث عُرِف بنزاهته وتجرّده وتواضعه ومحبّته.

وقد فاجأ الجميع باستقالته المبكّرة عام 1999، ليعود إلى نشاطه الكنسي والفكري.

وعلى ما كان يعاني بعد ذلك من أمراض كثيرة ومضنية، فقد ظلّ يتابع تطور الأحداث في الشرق العربي، في انفتاح ذهني وإنساني مدهش، وقد ترك مؤلفاتٍ في غاية الأهمية من حيث دور الكنيسة في الإعداد لمستقبل عربي ناهض.

ولكم كنت أسعد شخصياً بلقائه، ولو لساعات قليلة بين حين وآخر، سواء في بلدته المهيرة، المجاورة للكفرون، أو في بيت أهله في بيروت.

وإني لأذكر جيداً ما اعتراه من تأثر وفرح، عندما أخبرته أني أعدّ كتاباً عن الأب الياس يعقوب، وأني أسأله شهادته بشأنه، ولو بكلمات قليلة. أجل، عندها أشرق وجهه، وتألقت عيناه، ثم صمت وأطرق قليلاً، وكأني به يستعيد ذكرى بعيدة... قريبة. ثم نظر إلي محدّقاً، وقال:

« الأب الياس يعقوب

بيتصلّى عديالو

علامة القداسة على وجهو

قبلة أنظار المحيط الموجود فيه

ليس أي تذمّر وشكوى منه، بل إعجاب وفرح فيه

عرفته كتلميذ في "كرم سدّة" أيام المطران انطون عبد، مطران طرابلس خلال وجوده في "كرم سدّة". كان مبين فيه شيء خاص، كـــان مركـــز استقطاب... »

2) **الدكتور رياض طه**

« اتصل بي الأب "الياس زحلاوي" طالباً مني شهادتي بالأب "الياس يعقوب" أغلقت الخط وقلت أمام الأولاد ماذا أكتب عن الأب "الياس" إنه موسوعة وإنه رجل الله على الأرض.

فجاءتني ابنتي الصغيرة "فخور" والتي عاصرت بدورها الأب "الياس يعقوب" بهذه الشهادة:

" تخونني كلماتي عندما أتحدث عن رجل مثل الأب الياس يعقوب، لذا سأدع مشاعري تتكلم عنه.

لم ولن أجد أبداً مثل الأب الياس في كرمه وحبّه واستقباله لجميع الناس في كنيسته المتواضعة بصدره الرحب.

كان كله قلب وخير ممثل لتعليم السيد المسيح عليه السلام، لم أجده يوماً عاجزاً عن تقديم المساعدة لأيّ كان بغض النظر عن ديانته أو معتقده، لم يهتم بالتفاصيل اهتم فقط بفعل الخير الذي كان محور حياته وجوهر رسالته في الحياة.

- أبونا "الياس" صديق مقرب للعائلة ووجودي بقربه كان جميل فكأنني بين أفراد عائلتي.

استطاع أن يتعامل مع جميع الناس من كافة الأعمار بدون حواجز، كان بسيطاً في حياته، لطيفاً في حديثه، محبّاً في تعامله.

منحه رب العالمين قوة كبيرة تمثلت في محبة الناس له وطاقة إيجابية تجسدت في ديره وكنيسته، وجوده كان نعمة لجميع من عاشره والأب الروحي لعدد كبير من الناس من خلال نصائحه وأعماله التي حاول من خلالها إحلال نوعاً من السلم والاحترام المتبادل بين الناس.

أسعده دائماً وجود الأولاد حوله وأحبّهم كأولاد وكان للجميع الحرية عنده. لم أتحمل رؤيته ضعيفاً حاولت أن أبعد عن رأسي احتمال عدم رؤيته بعد الآن، لم يستسلم بسهولة أراد الحياة بكل قوة أراد العيش في سبيل الله واستمرار العطاء، لكن الموت كان أقوى فكان كالشعلة التي انطفأت في الظلام. لن ننسى أبداً إنسانيّته ومحبّته لعائلتنا ووجوده إلى جانبنا في جميع الأوقات، وفاته كانت خسارة مؤلمة والشيء الوحيد الذي يعزينا هو يقيننا أنه في مكان أفضل الآن.

"أبونا الياس" كان نوراً يبث علمه ومحبّته لكل الناس ويساعد كل الفقراء والمحتاجين من حوله دون انتظار المقابل. رحل لكن ذكراه ستبقى محفورة في قلوبنا إلى الأبد، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته".

أما أنا فقد تعرفت على الأب الياس في الثمانينات عن طريق أخي وصديقي الأستاذ جمال يوسف، كنت متمرّداً مزاجياً سريع الانفعال بسبب الغربة والأوضاع في العراق، وكنت عندما تضيق بي الدنيا أذهب إلى أبونا الياس في الخراب وأبدأ بالحديث عن نفسي ومشاكلي الخاصة ولا أعرف كيف يتحول موضوعي إلى موضوع صغير أمام ما يحمله هذا الرجل من مخزون حياتي كبير ويجعلني أرتفع بإحساسي إلى الكون إلى النجوم وانتهي بقناعة أنّ موضوعي صغير جداً لا يستحق المعاناة.

هكذا استمرت العلاقة وكلما صادفتني مشكلة أقول لنفسي لا يهم هناك أبونا "الياس".

كنت أطمئن إليه لا بل تطمئن روحي عنده، كان يأخذني إلى الكنيسة ويصلي لي كي أهدأ فتحولت إلى إنسان كوني، حتى عندما زارتني أمي من النجف طلبت رؤية الأب الياس لأنها استغربت التغيير الكبير على سلوكي، كنت اسميه "الملجأ".

رحلت عني يا صديقي إلى السماء وأنا متأكد مقامك الآن أوسع وأرحب من الدنيا بأسرها. أفتقدك وأعيش على ذكراك.

المحب دائماً د. رياض طه »

3) **الدكتور بشار الأحمد**

« **ما المرء إلا سيرةٌ فاحرص على ذكرٍ جميلٍ في الأنام حميدِ**

بهذه المعاني السامية والحكمة الباهرة أتذكر الإنسان الكبير الأب الياس يعقوب رحمه الله.

يكبر الإنسان ويرقى بعلمه وعمله، وهذا ما رفعه عندي، لقد كان مستمسكاً بالشريعة الإلهية، ملتزماً بتعاليم السيد المسيح عليه السلام، متشبعاً بالإيمان والعرفان، مقترباً بنسكه وصفاته إلى مصاف الحكماء، وارتقى مدارج الإيمان بما امتاز به من حسن الخُلق والطبع الهادئ، والنفس السمحة والعطاء الدائم دون كلل أو ملل.

معرفتي به وصداقتي معه تعزَّزت بما لمست لديه من صفاء ومودة للناس ومعايشة أهل محيطه على اختلاف انتمائهم الطائفي والسكني.

كان العطاء سمة من سماته، للبائس والمسكين عنده بشاشة الاستقبال ويد العون والكلمة الطيبة المواسية.

لقد ترجم معتقده ويقينه عملاً صادقاً في المجتمع فكان الإنسان بحق، مارس الدور الفاعل في حياة الناس وكان لهم صديقاً وأخاً وأباً.

إن استمعت إلى حديثه عَشِقْتَ معانيه، مضافة إلى بساطةٍ في حياته، لا يعرف وقتاً للراحة حيث وهب الناس علمه وماله فكأن الشاعر عناه بقوله:

وما الدِّين إلاّ تركك الشرَّ والأذى ودفعك بالمعروف عن خلِّك الردى
وما المال إلا أن تُسِرّ ببذله صديقاً وفياً أو تَصُدَّ به العِدى

فكان غفر الله له رجلاً من رجال الله على الأرض ودَّعناهُ باللوعة والحسرة وتمرّ ذكراه علينا بعطر السمعة والسيرة، فهنيئاً له في دنياه وأُخراه وعطَّر الله ثراه، وأدخله مقعد صدقٍ بين الصالحين والمؤمنين.

طرطوس 2010/3/2 د. بشار أحمد »

4) السيد هاشم مطانيوس يعقوب

« هل أنسى (أبو الفقراء)؟

عشرون عاماً مرت وأنا برفقة عمّي الكاهن الأب الياس يعقوب، تركت بيت أبي ولازمته، فأحبني حباً صادقاً لا مثيل له "أحبني حتى النهاية".

هذا الكاهن الاستثنائي سُمّيَ (أبو الفقراء)، ودعي قدّيساً من الناس جميعاً مسيحيّين وغير مسيحيّين، لأنه كان ينتزع المال من الشخص الغني ليسدّ حاجة الفقير والمريض المطروح على أسرّة المشافي فدعاه البعض بعد موته "شفيع العمليات الجراحيّة".

مظهره

قصير القامة - نحيل الجسم - أسمر اللون - الثآليل الصغيرة الحجم والكبيرة تغطي جسمه بكامله حتى وجهه فكان عندما يحلق ذقنه يخرج دم غزير، وعندما ينام على ظهره يذرف الدم من الثآليل بكثافة ويصاحب ذلك ألم مبرح.

أصابه احتشاء قلبي منذ ثلاثين عاماً ولازمه حتى وفاته فكان يظهر في صورة الإيكوغراف (أنا شاهدتها مراراً) أنّ قلبه متوقّف عن العمل ويعمل منه الربع فقط.

عام (1980) خضع لعمل جراحي في دولة ألمانية الغربية (قبل توحيد ألمانيا) فكانت النتيجة تركيب سيخ من البلاتين من مستوى أكتافه إلى عظم العصعص في الأسفل وهذا السيخ كان يلتقط فقرات العمود الفقري واحدة واحدة دون استثناء بأربع ملاقط حديدية لأنه كان مهدد جسمه بانحلال العظم والشلل الكلي، هذا السيخ جعل ظهره منتصباً دائماً غير مرن وغير قابل للدوران، فالناظر له كان يرى لوحاً خشبياً صامتاً قاسياً.

وسبّب له هذا مشاكل عديدة منها:

- الألم المتواصل ليلاً نهاراً...

- مشكلة في خلع ثيابه ولبسها...

- مشكلة في قضاء حاجاته البسيطة...

- مشكلة في الجلوس والوقوف والمشي والنوم...

وكل هذا زاد على ألمه ألماً.

أثناء العمل الجراحي لُبس بطبقة من الجص (الجبسين لجبر الكسور) من رقبته حتى ركبه لباس يشبه فستان المرأة لمدة ثمانية أشهر كاملة ومنع من أية حركة خلالها.

كان يتعرض لأورام القدمين باستمرار من جراء ذلك (الاحتشاء القلبي والعمل الجراحي). ولكي يتخلص من هذا الألم كان يخفض كتف ويرفع آخر حتى أخذ هذا الشكل (كتف منخفض وكتف مرتفع)، شكلاً ثابتاً ودائماً وبات كثير من أصحاب الكلام اللاذع يسخرون منه.

هذا موجز عن ألمه الجسدي المبرح الذي حمله طويلاً ولم يفارقه لا ليلاً ولا نهاراً.

ونستطيع أن نضيف عليه الصلبان التي كان يطلبها ويحملها ليخفف الخطايا عن الكثيرين وكمثال: "كسور أضلاع من حادث سيارة وكسور يد"، ولكن الجميل في هذا لم يشتكِ يوماً ولم يئن منها ولم يطلب لنفسه الشفاء بل كان يبتسم أمام الناس فرحاً ويختلي في غرفته مُعذباً، وكلما شاهد مُتألماً هفّ قلبه نحوه لنجدته.

- ملاحظة: كان يشتكي إليَّ عن ألمه المتواصل يومياً ويقول لي: "لا تخبر أحداً بذلك هذا يبقى بيني وبينك".

حياته اليومية

كان يستيقظ في الصباح الباكر حوالي الساعة الثالثة فجراً فيصلّي ويقاسي عذاباته المبرحة في الفراش ويتذكر المرضى والخاطئين والمحتاجين وفي الساعة السادسة كان يدخل الحمام ليستحم ثم يهبط للطابق السفلي إلى الصالون حيث أكون قد أعددت القهوة بنفسي لي وله.

وعندما كان يلقي الصباح عليَّ كنت أشعر بنعمة وقوة خارقتين تقتحمان جسدي فأفرح به ويفرح بي.

وفي الساعة السابعة صباحاً يتناول الهاتف ويكون نصيب أول مكالمة تليفونية لصديقه وأخيه الذي لم يفارقه طيلة حياته فكان ألمه من ألمه وفرحه من فرحه وهو (الأب الفاضل الياس زحلاوي بدمشق) الذي كان إذا لم يتصل به يوماً لا يحسب هذا اليوم من أيامه فكان يقول لي: "إني تعب نفسياً كثيراً، أحمل هموماً ومشاكل كثيرة، فالبارحة اضطُهِدتُ من قبل أحد الأشخاص كثيراً فأنا بحاجة إلى أخي الأب الياس زحلاوي ليخفف عني وأضع بين يديه اعترافي". فكان يتمسك ويلح كثيراً على أخيه الكاهن ليأتي إلى الخراب (رعيته) ويقضي عنده بضعة أيام، وإذا أتى تجد البسمة والفرحة على محيّاه لا تراهما من قبل وكانتا تغادراه عندما يغادره عائداً إلى دمشق.

وحوالي الساعة الثامنة صباحاً وما بعد، يبدأ القرع على باب الدير زائر قادم وآخر ذاهب، وعند منتصف النهار كان يتناول غداءه، الذي نادراً جداً ما تناوله بمفرده إذ ترى عنده الضيوف على الغذاء وكذلك على العشاء، وإذا لم يكن عنده أحداً كان يستعمل الهاتف ويدعو الناس إلى طعامه، ولا أذكر أني تناولت الطعام معه منفرداً دون وجود أحد إلا ربما صباحاً وفي الأيام العاصفة.

ولكونه مريضاً ولا يستطيع النوم طويلاً في الليل طلب منه دكتور القلبية لكي لا يجهد قلبه أن ينام القيلولة عند الظهر ولو لساعة واحدة فقط، ولكثرة الزائرين ووجود الأقرباء أحياناً كان يخجل أو يأبى أن يستأذن من الحاضرين فكنت أقوم بهذا بنفسي وأحل مكانه في استقبال الزوار وأجبره على القيام إلى غرفته لكي يستريح.

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر كان ينهض مستحماً وينزل إلى الفناء السفلي ويجدني قد حضرت القهوة له فنجلس وحيدين ونشرب

القهوة ونقص أعمال النهار، وفي هذا الوقت كانت الضحكة تظهر على شفتيه، وبعدها يتذكر بالمعاقين والمرضى والموجوعين والمسجونين جميعاً والذين لم يتقدموا إلى سر الإعتراف فيقوم باتصالاته مرة لتأمين المال للمحتاج إلى عمل حراجي ومستعجل ومرة للاطمئنان عن صحة مريض ومرّة لحل مشكلة في عائلة أو بين عائلتين.

وما هي إلا ساعة وينقل جلوسه في الصيف إلى فناء الكنيسة (بين الكنيسة ومعبد العذراء في سيدة البحار بالخراب) ويبقى هناك حتى الساعة العاشرة ليلاً.

وزوار المعبد المتعاقبون كلٌ يمرُ ويحيّي الأبونا ويجلس برهة من الزمن ويمضي فرحاً لضيافته، ولكون الكنيسة والمعبد على الطريق العام الممتد من طرطوس إلى بانياس ولكون المنطقة يؤمها سواح كثيرون كان يجذب الناس إليه بكثرة وقوة وكنت أسمع من الناس عبارة: "الحقيقة... هذا الكاهن هو البسمة والتأهيل والترحيب والحياة ومن بعده هذا المكان يبقى حجراً ومن يرحب بنا آنئذ"، وكنت أقول لهم: "إن الله لا يترك كنيسته لا تخافوا سيأتي كاهن بعده وسيكون مثله".

وبعد الساعة الثامنة مساءً كنا نتناول العشاء سوية ومثل العادة مع آخرين، زائرون جدد.

وفي الساعة التاسعة والنصف كنت أهيئ له القرابين ونشترك بالذبيحة الإلهية وبعدها أكون قد جهزت له الشراب الساخن (زهورات طبيعية) وحضرت غرفته وسريره جيداً لينام ففي الساعة العاشرة والنصف وما بعد كان يذهب لغرفته للنوم والصلاة أيضاً ليستيقظ باكراً في يوم جديد.

معرفته بالأب الياس زحلاوي

أخبرني يوماً كنا جالسين نشرب القهوة:

أنه سيم كاهناً في 1971/8/1 وأول شخص منحه المعمودية هو ابن اخيه هاشم (أنا) الذي ولد في 1971/8/15، ثم كان معاوناً للمثلث الرحمة

المطران أنطوان طربيه في ضهر صفرا حيث كان كاهناً آنذاك، بعد فترة قصيرة قصد دمشق لزيارة بعض الأشخاص ومنهم المرحوم المونسنيور خليل رستم وكان كاهناً آنذاك أيضاً، وفي دمشق التقى آنذاك بالأب الفاضل الياس زحلاوي حيث دعاه إلى مكان إقامته، فقال لي: "عندما وقعت عيوني على وجهه شعرت بارتياح كبير، وعندما جلسنا سوية أخبرني عن جمعية البرادو والكهنة الذين يندرون فيها الفقر والعفة والطاعة ودعاني لألقي نظرة إلى هذه الجمعية... فأحببت الفكرة... وعندما دخلت مهجعه لقيت أنه يسكن غرفة واحدة فيها سرير وطاولة ومكتب وبجانبها حمام صغير متواضع تفوح منه رائحة الطهارة الكهنوتية، قصدت مكتبه وبدأت أفتش بين الكتب ولفت انتباهي أن معظمها باللغة الفرنسية ولكوني لا أجيد هذه اللغة بدأت أبحث عن الكتب باللغة العربية، وشاءت العناية الإلهية أن أمسك بكتاب للخوري (خوري آرس) فقرأت فيه قليلاً... فأحببته، فسألت الأب الياس زحلاوي عنه فأشاد فيه، فسألته أأستطيع شراء هذا الكتاب؟ فأجاب: عندنا هنا لا نتعامل بالمال، فالمال ربٌ مزيفٌ ساقطٌ لا وجود له عندي، يمكنك أن تأخذه هديّة من أخيك وألف مبروك عليك".

فقال: "يا عمي، كان جوابه صاعقة برقت في قلبي... لأني قد وجدت ضالتي وهي (كاهن مثلي بعيد قلبه عن ملذات الدنيا زاهد بالمادة... سامي وشفاف بالروح)، فقلت لنفسي: ها قد منحك الرب عطية لا مثيل لها وهدية ثمينة طيلة حياتك وبئراً لا يجف ماءه وهو الأب الفاضل الياس زحلاوي".

(وبعد ذلك أصبح الأب الياس زحلاوي مثلاً أعلى وأخاً رفيقاً وصديقاً وفياً أودعت أسراري في حوزته ووجدت فيه الرجل الثائر على الخطيئة وغيرة بيت الرب تأكله).

كنت ألمس من عمّي الأب الياس يعقوب التصريح عمّا في قلبه تجاه

الأب الياس زحلاوي فكانوا هما الاثنين من ذات الموقف تجاه رجال الكنيسة ورجال الدنيا ومصاعب الحياة وحياة الكاهن المتألمة والحب الصادق والتكريم الكامل لأمنا مريم العذراء.

فكان كل صباح يتصل الأب الياس يعقوب بأخيه، وكان أخوه يتصل به في اليوم مرات عديدة إذا ما سمع أنه مريض أو متعب خاصة، وكان يقطع المسافة القائمة بين دمشق والخراب حوالي أربع ساعات سفر ليصل إليه ويخفف آلامه، فكلما وقع عمّي الكاهن في محنة أو ضيقة وجد ملاذاً له أخيه الأب الياس زحلاوي الفاضل، وإذا شعر أن أخيه قادم إليه من دمشق كان يقول لي: "يا عمّي... الله يرضى عليك... اليوم خيي جاي لازم تهتم فيه أكتر منّي وتعمل من قيمته لأنه بالنسبة لي أغلى شيء في هذه الدنيا وأنت تعرف ذلك". وكان يفرح أكثر عندما يأتي الأب الفاضل الياس زحلاوي إليه وبرفقته أحد أقربائه.

عندما كان يريد مساعدة إنسان مادياً ولا يملك هذه المساعدة كان يطلبها فقط من أخيه الأب الياس زحلاوي دون سواه، وحسب معرفتي الشخصية لم يكن الأب الياس زحلاوي يرد له طلباً يوماً ولو صنع المستحيل، وعندما كان يرسل محتاجاً إلى دمشق في غاية ما، كان يقول له: "إذهب إلى الأب الياس زحلاوي وقل له أنا من قبل أخيك الأب الياس يعقوب"، فكان صاحب الطلب ينال ما يشتهي.

كان الأب الياس زحلاوي بالنسبة إلى عمّي الأب الياس يعقوب طبيباً روحياً نفسياً يتفهم معاناته وشدائده وعذاباته، وكانت الأمور التي كان يخفيها عني كوني علمانياً يطرحها في مسمع الأب الياس زحلاوي، سألته مرة: "ما هو الأب الياس زحلاوي بنظرك؟"، فأجاب: "أخ وصديق غالٍ".

معرفته بالأصدقاء والأصحاب

كان أهل الرعية الأجلاء والمحبين الذين كانوا يقصدونه يومياً وينتظرون بفارغ الصبر أن يطلب منهم ولو طلباً بسيطاً إظهاراً منهم

لعمق المحبة وعظمتها التي يكنونها له في قلوبهم وكان منهم:

- السيد رزق معوض (أبو عقاب)
- السيد خليل معوض
- السيد الياس مارون كامله
- السيد نصر عبود (رحمه الله)
- السيد رامي خولي
- السيد الياس دومط
- السيد بسام غميّض وأخوته

وأرجو المعذرة لعدم ذكر الجميع

وإذا استثنينا هؤلاء من أهل الرعية نجد أنه كان على اتصال دائم ويومي مع السيدين جمال يوسف وطلال يوسف، وكان الأستاذ جمال يوسف قد عرّفه على الدكتور رياض علي طه من طرطوس الذي أتخذه أخاً له حقيقياً (سآتي على ذكره بالتفصيل) وغيرهم كثيرون جداً جداً.

1- الأستاذ جمال يوسف: كانت علاقته بالأستاذ جمال يوسف كقريب له واعتبره واحداً من العائلة (هو وأخوته السيد جلال يوسف والسيد طلال يوسف).

2- السيد رزق معوّض: كانت علاقته بالسيد رزق معوّض علاقة أخ وعائلة فكان السيد رزق معوّض (أبو عقاب) اليد اليمنى للكاهن في الرعية وكان يعتمد عليه كثيراً في كثير من المشاكل والمسائل العامة، ولكون السيد أبو عقاب يتحلّى بالصدق والشهامة والسمعة الطيبة ومعروف بهذا بين أفراد الرعية كافة كان الأب الياس يعقوب يرسله ويخصصه لبعض القضايا التي تحتاج إلى سرية كاملة. فأخلص السيد رزق معوّض له كل الإخلاص مشكوراً، ولما رأى الأب الياس يعقوب هذه العائلة الكريمة والفاضلة أصبح صياداً ماهراً حيث اصطاد ابنها الكبير (عقاب) ليكون كاهناً على مذبح الرب.

3- السيد خليل معوّض: كان الأب الياس يعقوب يحترمه كثيراً ويجلّه ويرحب به، ولكونه تميّز بالصدق والإخلاص وعمل الخير استعان فيه الأب الياس يعقوب كثيراً، منها لأعمال الرعية والكنيسة ومنها أعمال خيرية سرية أنا أعرفها شخصياً أفضّل عدم ذكرها، وكان الأب الياس يعقوب يبعده عن الواجهة أمام الناس حيث كان السيد خليل لا يحب الظهور والتباهي بذلك ولكن أنا لا أستطيع إلا أن أكتب صادقاً.

4- الدكتور رياض علي طه: اتخذ من هذا الطبيب صديق حميم فكانت خدمات هذا الطبيب للفقير والمحتاج والمرسل من قبل الأب الياس يعقوب لا توصف، وكان هذا الطبيب يهتم بالمريض كثيراً ومجاناً. وحينما يرى الأب الياس يعقوب أن هناك أمر خارج عن اختصاص هذا الطبيب كان يرسله إلى أطباء أصدقائه ليقوموا به، وكان الدكتور رياض يقول لهم: "هذا المريض من قبل الأبونا الياس يعقوب لا نستطيع أن نخالفه في الرأي فهو حبيبنا وصديقنا والحقيقة هو رجل الله الحقيقي، وإذا لم نستجب لرغبته أخشى أن يرسل الله لنا عقاباً لا نريده"، فكان هذا الكلام يستميل قلوب أصدقائه الأطباء لإجراء عملية جراحية أو فحص لإنسان فقير. وكان الأب الياس يعقوب إذا لم يسمع عنه وعن ابنه علي أخبارهم يومياً يقول لي: "اتصل به وحرّكه وادعه ليأتي اليوم إلى العشاء وإذا رفض قل له: (بأمر الطاعة من الخوري الياس يعقوب)"، وأحياناً يكون الدكتور رياض خارجاً متأخر من المشفى حوالي العاشرة مساءً وهو موعد نوم الأب الياس يعقوب فكان الأب الياس يؤجل نومه ويتحمل التعب والسهر ليأتي الدكتور رياض طه إليه، ولذلك فقد قام الدكتور رياض محبة به بشراء شاليه على البحر مقابل كنيسة سيدة البحار في الخراب ليكون قريباً من الخوري الياس يعقوب وليأتي إليه ويتبادل الروحانيات معه ويسهر

عنده ويقضي فترة من الزمن بقربه، فكان يقول لي الدكتور رياض طه: "إن عمّك لا يميز الناس بدرجاتهم الاجتماعية ولا بأصحاب الأموال بل بالعكس إن حبيب قلبه هو الإنساني الذي يساعد الفقير والمحتاج".

5- علاقته بالأب فرنسيس فان درلخت اليسوعي: كون هذا الراهب اليسوعي الهولندي الأصل دكتور في التحليل النفسي وكرّس حياته لخدمة شباب سوريا كافة وكان رئيس لدير اليسوعيين بحمص، فقد أقام الأب الياس يعقوب معه أشد العلاقة والصداقة وكانت بينهما أمتن العلاقات حيث فتح الأب الياس يعقوب ديره مجاناً لهذا الراهب، فكل تجمعاته الشبابية التي كان يأتي بها إلى الساحل تكون المحطة البدائية أو النهائية في دير العناية الإلهية في الخراب، وأحياناً يقضون أياماً طويلة وكل ذلك دون دفع رسوم أو أي مقابل، فالراهب الأب فرنسيس استطاع أن يكسب محبة الأب الياس يعقوب كثيراً، فحفظ الود والصداقة وأصبح ملجأه وطبيبه النفسي من وقت لآخر، حتى أنه ساهم بالتبرعات المادية لبناء القاعة والدير وكنيسة الجمّيز (كنيسة مار ميخائيل) ودير الراهبات في كنيسة الجمّيز ودير مار قبريانوس على البحر ولم يُقصِّر يوماً عن مساعدة يستطيع أن يقدمها للأب الياس يعقوب، ولأن الأب الياس يعقوب يحب الكاهن والراهب والراهبة الناكرون لذواتهم والمتقشفون في حياتهم أحب هذا الراهب لتمتعه بهذه الصفات وأحب الرهبنة اليسوعية كلها من خلاله، بما فيهم الأب رامي الياس والأب سامي حلاق.

ففي أحد المرات أراد الأب الياس يعقوب تحرير سند الكنيسة المحتجز لدى المصرف الزراعي من أجل مبلغ (600000 ل.س) فقام بطلب العون من السيد خليل معوّض والأب فرنسيس فان درلخت وكانت النتيجة تحرير سند الملكية للكنيسة من المصرف الزراعي وامتلاك أرض مار قبريانوس على شاطئ البحر.

6- علاقته بالأب سامي حلاق اليسوعي: كان يحبه كثيراً عندما وجده رجل علم وفكر ومن عائلة ضليعة بدراسة الأدب والتاريخ وصاحبة إيمان عميق، ولكونه كان راهب في الدير برفقة الأب فرنسيس اتخذه الأب الياس يعقوب صديق وأخ حتى كان يتصل به في الأسبوع مرّات عديدة ويدعوه لجلب الشباب من حمص إلى الخراب. وكثيراً ما أسأله: "لماذا تستقبل جميع هذه الأمم مجاناً وتتحمل كل أعباء الضيافة ويسلبون وقتك؟"، فكان يجيب: "كل هذا في سبيل نشر الإنجيل قليل جداً، يجب أن أصنع أكثر من ذلك، لماذا بنيت هذا الدير الكبير؟ أليس من أجل البشر؟ إذا فرغ من البشر عاد حجراً صامتاً لا قيمة له".

7- علاقته بالدكتور خليل بريقع: تزوج هذا الدكتور من رعية الخراب وعندما تعرّف على الخوري الياس يعقوب تبادلا المحبة والصداقة حتى أصبح طبيب عائلتنا المجاني وطبيب مجاني لكل قادم من عند الأب الياس يعقوب وأظهر وفاءً للأب الياس يعقوب كثيراً، وعندما تم بناء معبد العذراء قام الدكتور خليل بريقع بتقدمة تمثال من حجر الرخام إليه، وكان عمي الكاهن لا يتكلف بالاتصال به من أجل أي مريض أو فقير لأنه كان يعلم ما هو مدى محبته له.

الحقيقة كثيرون هم أصحابه وله في دمشق منهم الألوف من شباب معلولا وصيدنايا خصوصاً ومعظمهم تعرّف عليهم من خلال الأب الياس زحلاوي وسأذكر البعض القليل منهم: سهيل مخ - سمير تادرس - غسان الرمحين - ميشيل حلاق - سمير أزرق وغيرهم كثيرون بما فيهم الآباء اللعازرين وخصوصاً الأب بول سليمان.

عزيزي القارئ، قد تكون أنت من أحد أصدقائه الذي سقط سهواً ذكرك في هذه المذكرات فأرجو المعذرة لأني كتبت هذا وأنا في إفريقيا أراجع ذكرياتي.

ألمه وآماله

1- ألمه الجسدي:

ذكرت سابقاً أنه يحمل سيخ معدني في عموده الفقري وكان يعاني من مرض قلبي (احتشاء في القلب)، وجسمه مليء بالثآليل المختلفة الأحجام، وهذا الكاهن كان فناناً في حمل الألم والصبر عليه، اعتبر أن ألمه هو الصليب المفروض أن يحمله من أجل الخاطئين، إذا كان نائماً على ظهره بدأ يتألم من الثآليل وينزف دماً حتى كاد لا يخلو صباح من تلوث سريره وثيابه الداخلية في منطقة الظهر من الدم القاني.

وإذا أراد أن ينام على أحد جانبيه فلا يستطيع لكون ظهره أصبح لوحاً خشبياً جامداً وهذا مستحيل بالنسبة إليه وذلك بسبب سيخ الحديد المزروع في ظهره، وكذلك النوم على البطن يعني شلل كامل بالنسبة له وموت حقيقي، فكان إذا أطال النوم على الظهر عانى من آلام الثآليل والسيخ المعدني، وإذا جلس طويلاً تبدأ فقرات العمود الفقري بالانضغاط على بعضها ولكونها مثبتة بالسيخ المعدني كان الألم لا يوصف، وإذا مشى كان الاحتشاء القلبي في انتظاره، وهكذا قضى الأب الياس يعقوب خمس وعشرون عاماً لا يعرف جلوساً ولا نوماً ولا مشياً ولا راحة دون ألم، فكان عندما يأكل يتألم.

عزيزي القارئ:

إذا كان هناك أمر ما لرجل أو امرأة خاطئين أو كانت هناك مشكلة صعب حلها، تراه يختلي بنفسه ويطلب صليباً جديداً من الألم.

فالبعض كان يظن انه معقّد نفسياً أو مجنوناً وأنا سمعتها مرّات من بعض الناس، ولكني أشهد أنه ما كادت تمضي أيام أو ساعات حتى يحدث له شيء مؤلم وبعدها تبدأ المشكلة بالحل (كان هذا يا عزيزي أكثر الأشياء التي ترهبني وتثبت إيماني أنا الخاطئ).

- اسمع يا عزيزي:

استيقظ مرة في الصباح الباكر حيث كنت سبقته وأعددت القهوة فقال لي: "اسمع يا أبو الياس" فقلت: "نعم هات ما عندك تا نشوف"، فتبسم قليلاً وقال: "يا صاحب الوجه الحلو سأقول لك شيئاً أبقيه معك، اليوم في الليل قال لي الشيطان: وفي هذا الأسبوع سأنال منك لأنك عذبتني طيلة الشهر".(مع العلم كان قد حل مشاكل كثيرة في هذا الشهر وكان يجلس فرحاً لحلها). فقلت له: "كيف رأيته؟ وبأي مظهر؟"، لم يجيبني على هذا السؤال وأكمل قائلاً: "غداً عندي مخيم للشباب اليافعين في مشتى عازار (قرية من وادي النصارى) أسأل العذراء مريم أن تلجم الشيطان عن هؤلاء الشباب اليافعين فقط أما أنا فلا مشكلة، واليوم سأقيم الذبيحة سراً على هذه الأمنية، لا تخبر أحداً بما أخبرتك به"، وفعلاً كان ذلك.

كنت موظفاً جديداً في شركة الوهيب للنقل في طرطوس، لم أستطع أخذ إجازة لأذهب معه إلى المخيم، وفي اليوم التالي ذهبوا جميعاً إلى المخيم.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام من أيام المخيم، أخذ الشباب إلى منطقة المشتى سيراً على الأقدام، وعندما تعبوا وأرادوا ركوب السيارة صعد هو أولاً في الأمام بجانب السائق وركض البعض وركبوا السرفيس (ميكروباص صغير) فأنزلهم بعنف وقال لهم: "اذهبوا إلى سيارة أخرى"، وطلب من الأب بسام نعمة (كان شماساً في ذلك الوقت وكان قد عينه رئيس المخيم) أن ينزلهم إلى سيارة أخرى فهو يريد الركوب لوحده في هذه السيارة، فكان ذلك، وما هي إلا لحظات بعد أن سارت السيارة فيه اصطدمت بسيارة أخرى وصرخ الأب الياس يعقوب: "يا عذرا دخيلك احمي الركاب"، فقد أبى أن يطلب لنفسه شيئاً، وأخذت السيارة تنقلب على الطريق النازل (نزول) رأساً على عقب لعدة مرات فكانت النتيجة أصيب بعض الركاب بالجروح أما هو فقد كُسِرَ له أربعة أضلاع من الجانب الأيمن وواحد من الجانب الأيسر وانكسرت يده اليمنى قريباً من المعصم، ولم يشأ أن ينهي المخيم فتابع به ولكنه اختصر يوماً واحداً أو يومين وكان يخدمه هناك الأب بسام نعمة مشكوراً.

أتى إلى ديره في الخراب والآلام المبرحة في جسده النحيل فكان لا ينام لا ليلاً ولا نهاراً واستمر يستقبل الزائرين لمدة تعدت الشهرين وقضى في الآلام أكثر من خمسة شهور، فقال لي منفرداً على حدى: "أرأيت هذا الشيطان ماذا فعل بي ولكنه لا سلطان له ولا يستطيع أن يفعل أكثر من ذلك الله يخزيه، كان يحاول أن يدخل رعيتي من الباب الواسع وصنع ما وعدني به" فقلت: "يا عمي... أتحسُ بوجود هذا الخبيث؟"، فقال: "بشكل يومي، ولكن لا تخبر أحداً".

عزيزي القارئ: هذا فصل صغير من الألم الذي عاناه.

- حادثة أخرى:

في أحد الأيام كان الأب الياس يعقوب متعباً جداً وكنا في شهر نيسان على ما أذكر، أتى الليل وسهرنا كالعادة ولم يكن في الدير سوانا وبلغ أشد لحظات التعب وقال لي: "الله يساعدني على هذه الليلة قم حضر القرابين لنقيم ذبيحة وبعدها سأخلد للنوم" وكان ذلك.

حوالي الساعة التاسعة دخل غرفته بعد القداس لينام، فقال "الله يوفقك لا تتركني طلطل عليّي"، فقلت له: "لا تخف إني بجانبك دائماً" فقضيت الليل كل عشر دقائق تقريباً أصعد إلى الطابق العلوي وأتسلل إلى غرفته مخافة أن أوقظه فكنت أفتح الباب وأراقبه كيف يتنفس، هل يتنفس صحيح؟... الخ، ثم أعود أدراجي، وكنت كلما فتحت الباب وأظنه أنه نائم كان يكلمني، وحوالي الساعة الواحدة والنصف ليلاً وعندما دخلت إليه رأيته جالساً في السرير ويداه تسنداه من الخلف وهو يتصبب عرقاً غزيراً كأنه يقف تحت المطر وقطرات من دم كانت تعبر وجهه من خلال الثآليل. فسألته: "ما بك؟ هل أصابك مكروه؟" فأجابني بصوت خافض هامس متقطع: "طلعت روحي أكيد" فقلت له: "سأجلب لك دكتور" فقال: "في هذه الساعة من الليل أين ستجد طبيباً" فنزلت راكضاً إلى الطابق السفلي واتصلت بالسيد حاتم دوّارة حيث أتى إليّ

مسرعاً، وذهبنا لإحضار الدكتور كابي عزيزة فلم نجده عدنا وذهبنا إلى منطقة البرج فأحضرنا الدكتورة نزهة المقعبري وهي اختصاصية في القلب أيضاً، فأتت وقامت بتخطيط كهربائي للقلب له، وكانت النتيجة هزة قلبية عنيفة، فقالت لي: "إنه بحاجة إلى إبرة إسعافية أولاً" فرفض الأب الياس يعقوب أن يأخذ تلك الإبرة، فقالت له الدكتورة: "خذ هذه الحبوب إذاً" فرفض مجدداً وقال: "على الرب والعذراء مريم" فقالت لي الدكتورة: "لماذا أتيتم بي إذاً، أنه لا يريد أن أفعل له شيئاً". فشكرتها بعد الاعتذار ودفع الأتعاب لها وطلبت من السيد حاتم أن يعيدها للمنزل فكان ذلك، وجلبت كرسي من بعدها ووضعتها بجانب سريره وجلست بجانب هذا الرجل العظيم، تارة أقيس له الضغط وتارة آخذ له حرارته وتارةً أحدثه وأسليه وأحكي له قصص الضيعة القديمة المسلية.

بقينا على هذه الحالة حتى الساعة السادسة صباحاً حيث تنفس الصعداء وبدا على وجهه الارتياح نوعاً ما، فقلت له: "أتريد أن تنام قليلاً؟" فقال: "سأحاول إني منهك وأنهكتك معي" فقلت: "لا تخف إنها شغلة فارغة" وطلبت منه أن يبدل ملابسه الداخلية حيث بدلها ثلاث مرات خلال الليل، وفي اليوم الثاني قال لي: "شكراً يا أبو الياس الحبيب ليلتان من العمر سجلتهم في ذاكرتي، قبل البارحة لم أشأ أن أزعجك من نومك فأما البارحة كانت قاسية جداً عليّ" فقلت: "أكان الشيطان يجربك فيها؟" أجاب: "وهل يفارقني ذلك الخبيث؟ ولكني صدقاً لن أدعه يرتاح مني"

عزيزي القارئ:

هذه ليلة من مئات الليالي مثلها، ياما قد تركت باب غرفته مفتوحاً لأتسلل إليها دون أن أوقظه وأراقبه وهو نائم وأحياناً للصباح، وكان إذا حدث له ذلك يمتد طيلة الأسبوع أحياناً وكان من الغرابة تمجيد الله دائماً على شفتيه: "نشكر الله - يتمجد اسمه - أشكر العذراء أمي... الخ".

حادثة أخرى:

أتى من مدينة طرطوس مرة وكان قد اقتلع إظفر قدمه الكبير بعد معاناة منه حوالي خمس عشرة يوماً وكان برفقته الدكتور كابي عزيزة المحترم، كنت أنا وأختي لطيفة في دير الخراب نقيم عنده آنذاك، فقال لنا الدكتور: "بعد نصف ساعة سيصرخ متألماً ومتوجعاً أرجو أن تتصلوا بي فور حدوث ذلك لأعطيه أي شيء مسكن لا يضر بالقلب". بعد حوالي الثلث ساعة من رحيله اتصل وهو يتفقد حال الأب الياس يعقوب فسأل: "هل صرخ أو تألم فقلنا له لا وكرر ذلك بعد ساعة فكان نفس الجواب وبعد ساعة ونصف وبعد ساعتين وبعد ثلاث ساعات كان يتصل فينال نفس الجواب، فأتى بعدها بنفسه إلينا ودخل إلى الأب الياس يعقوب وقال: "دعني أبدّل الضمادات عن الجرح". فعندما رفع الضماد شاهدنا جرحاً يذهب عميقاً إلى العظم ورأينا العظم فسألت عمي قائلاً: "هل تشعر بألم؟" أجاب: "لا" فدهشنا جميعاً، وقال لنا الدكتور كابي: "هذا غير معقول، وهذا الإنسان غير طبيعي، ولو كان طبيعياً لكانت طرطوس تسمع صراخه الآن، فالحمد لله".

2- آلامه في الفراق:

كان ينسلخ عن الأقرباء كثيراً ويبتعد عنهم وخصوصاً أهله (أي إخوته) ليشعر بألم الفراق الإرادي الذي كان يختاره لنفسه تلبية لنداء الرب يسوع (اترك كل شيء واتبعني)، وكان يجمع الحشود من حوله من مقيمين عنده كأحد أقربائه ومن إكليريكيين ومن شبيبة ومن مخيمات وخصوصاً المعاقين، فأحياناً كان يأكل ويشرب وينام عنده في الدير أكثر من خمس عشر شخصاً من ضمنهم أنا.

فحين كنت أسأله: "لماذا تحمل هذا العبء؟" كان يجيب: سأتحمل كل شيء حباً للمسيح"، والحقيقة أنا كشاب علماني كنت أتضايق وأتألم أحياناً من الضوضاء والفوضى التي كانت عنده، وأنظر إليه كنت أجده

فرحاً ومبتهجاً ومسروراً رغم آلامه المرة، وأذكر أيضاً بآلامه الليلية التي لم تكن تفارقه أبداً ولم يكن يشكي همه لأحد حولها.

3- آلامه في الطعام:

كان يمد الولائم مرات في الصباح ومرات ظهراً وعلى العشاء ويا للهول لا يأكل منها سوى لقمات صغيرة معدودة أو كان يتظاهر (يتحجج) بمرض قلبه ويأكل اللبن فقط وينظر إلى المأكولات الفاخرة ولا يتذوقها ويقول لنفسه كما صرّح لي مرة: "يا نفسي انظري واشتهي وتألمي ولا تنالي شيئاً منها"، فكان كل ما يأتيه يذهب لأصحاب يمرون عنده أو لفقير محتاج، كان يترك بديره الباب مفتوحاً حتى إذا مرَّ رجل جائع يستطيع أن يأكل أو متعب يستطيع أن يرتاح أو عابر سبيل يلقى حاجته، ترك هاتفه مفتوحاً لعامة الشعب حتى مزارعي الجوار وزوار البحر وعابري السبيل وأبناء الرعية والقريب والغريب وتأتيه الفاتورة باهظة الثمن، وكانوا أعضاء لجنة الوقف وأهل الرعية في الخراب (سيدة البحار) يتفهمون هذا لأنهم عرفوا هذا الكاهن الفاضل الجليل.

كان يترك طعامه في البراد ليصيبه العفن وينظر إليه ثم يلقيه خارجاً وكثيراً ما أكل بطاطا مسلوقة وعفنة وذلك ليزيد إماتته مقتدياً بالقديس خوري آرس.

من كان ينظر إلى موائده وعزائمه كان يظن أنه غني وأنه صاحب دخل مادي كبير وكان البعض يرميه بألفاظ حادة حول هذا الموضوع فكان يقول لي: "لو كانوا يعلمون الحقيقة لتفاجئوا كثيراً، دعهم وظنونهم".

كرمه

بلغ درجة من الكرم لا توصف أبداً، فقد بدا واهب لكل شيء مجاناً، حتى أنه كان يهب ذاته بدون تلكؤ أو تباطؤ.

كان يقيم القداديس مجاناً والأعراس والعمادات والجنازات وكلها مجاناً حتى أنه كان يقدم الصينية في العيد والتي هي من حقه إلى

الوقف، وصينية رش الماء أيضاً، فكان يقول لي: "مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا" - "أنا لا أتاجر بالأسرار" - "أنا أقبل الفلس من يد إنسان كحسنة فقط لأني خادم والخادم يستحق معيشته".

كان إذا أتاه ضيف ولو عابر سبيل كان يقوم بواجبه كاملاً ولو اضطر إلى الاستدانة من الدكان، كان يتمسك وبإلحاح وبقوة بالضيف ويبقيه على مائدته مهما كان نوع الطعام.

كان الصيادون في الخراب (أمثال: أبو يعقوب - مخائيل لحود) يقدمون له السمك أحياناً فيقول لي: "يا أبو الياس خذ هذا وضعه في البراد استعداداً لضيوف قادمين". وكان كلما مرّ ضيف أشعل النار (الجمر) وأقوم بشوي الفروج والسمك واللحمة له، وكنت أرى وجه هذا الكاهن الاستثنائي في قمة السعادة كلما أتاه ضيف إلى مائدته، وكان يفرح أكثر عندما يضيفه شخص فقير أو معاق لأنه يعرف بأنه سيطعمه مجاناً دون أن ينتظر منه الرد، وأعود وأذكر بأن أغلى ضيف وأثمن وأقرب الضيوف إليه هو أخيه الأب الياس زحلاوي، لأنه عندما يأتيه كانت الفرحة في قلبه لا توصف ولا حدود لها، كان يفعل كل شيء لأجله وهو سعيد جداً.

لقد وهب الميراث من أهله وأهل خاله المرحوم الياس طربيه مناصفةً إلى أخواته منذ بداية رسالته الكهنوتية وتنازل لهم مجاناً عن كل ملك حتى أصبح لا يربطه بالأرض شيء، فقال لهم (لأخوته) قوله المأثور: "ها إن الخوري الياس يعقوب صار فقيراً لا يملك شيء فلا تطلبوا منه شيء سوى بركة الرب ومحبته ورحمته".

كان يحب أن يعطي مقاوميه أكثر من أصدقائه، وعندما يتعرض لاضطهاد ما كانت كلمات الشكر لله تخرج من فمه بفرح وابتهاج، كان محطة استراحة للمارين من قرب الدير أقرباء كانوا أم غرباء، فكان لا يفرق بين شخص وآخر إلا بالتقوى.

عزيزي القارئ:

إذا قدّم لك شيئاً كنت تشعر بأن هذا الشيء يقدمه من صميمه بدون رياء وبكل محبة، وهذا ما ساعده على اجتذاب المحبين من كافة الاتجاهات.

ثقافته

لم يتابع الأب الياس يعقوب علومه المدرسية فانتقل إلى "كرم سدّة" في لبنان لدراسة اللاهوت بالعربية، ولكن بعد سيامته كاهناً كان يقضي وقت فراغه كله بالصلاة وقراءة الكتب اللاهوتية والأدبية والتاريخية حتى صار مُلماً بالتاريخ أكثر من أستاذ في التاريخ. كان يشتري الكتب بشكل متواصل ويدفع أثمان باهظة ثمن الكتب وكان يهب الكتاب لمن يود القراءة وكثيراً من الكتب غادرت مكتبته ولم تعد، حتى قمت ذات يوم بتصنيف مكتبته وترتيبها وتبويبها فظهر معي عدد الكتب فيها ما يفوق ألفان ومائة كتاب.

في السنوات العشرة الأخيرة من حياته قام بتأليف وطبع أربعة كتب هي:

1- **كتاب عكاز الساحل - تاريخ الخراب**
2- **كتاب الرسولان الأمينان (بطرس الباني + الياس داغر)**
3- **سيادة المطران أنطوان طربيه - حياته وأعماله**
4- **تاريخ المدن السورية الساحلية**

كان إذا قام بتحضير وعظة لا تسمع منه كلاماً جميلاً، أما إذا تلا وعظة ارتجالية بدون تحضير كنت تسمع منه كلاماً فلسفياً لاهوتياً عميقاً لم تسمعه من قبل، والأكثر من ذلك عندما كان يتكلم عن العذراء مريم الكلية القداسة كان يبرع في وعظته ويعظ بكلام فريد مميز لا مثيل له.

لقد صرف معظم أوقاته في مكتبه، تارة يكتب وتارةً يقرأ وتارة يحضِّر مواضيع روحية ووعظات... الخ

قام بمحاربة البدع والهرطقات التي كانت تحاول الدخول إلى رعيته،

حاربها بكل روية وحكمة ولم يرد أن يغلق عينيه أو يتجاهلها، فقد تلقى مقاومة كبيرة جداً إلا أنه كان بصلاته وعلمه أقوى منها.

وكذلك: عندما قدم أناس من جبلة واستأجروا محلاً في رعيته على طريق الأتوستراد وفتحوا مركزاً للرقص والزنى قام بشن حرب ضروس ولم يوفر جهد لإغلاقه، ولم يستطع إغلاقه إلا بالصلاة والتساعيات والإماتات التي قام بها، وكان يقدم الصلوات على هذه النية وخلال عام من الزمن استجاب الرب لطلبته وأغلق المكان وقبل انتهاء مدة العقد والإيجار بسنوات.

كان يهتم بنقل العلم والثقافة والإيمان إلى أولاد رعيته كثيراً وكان يتمنى أن ينالوا أرفع الشهادات والمناصب، وكلما كان أحدهم يحصل على شهادة كان يفخر به أمام الناس كافتخار الأب بابنه.

أعماله البنائية

بنى كنيسة الجمّيز (كنيسة مار مخائيل) وبجانبها دير للراهبات حيث قدم الأرض السيد مارون ضومط، وقام بترميم وصيانة مار قبريانوس على البحر، وقام باستملاكه للأوقاف المسيحية، كما قام بشراء قطعة أرض بجانبه (جانب مار قبريانوس) بمساحة ستة دونمات وعمل منها مشروع زراعي يدرّ دخلاً للكنيسة.

قام ببناء معبد للعذراء مريم في رعية سيدة البحار في الخراب وقام ببناء ديراً كبيراً بطابقين على مراحل ومدّة زمنية طويلة حيث قضى مدة خدمته كلها ولم يكف عن البناء يوماً واحداً.

قام بمساعدة الآباء اللعازريين لشراء أرض كفرسيتا في الخراب وخصوصاً الأب بولص سليمان وقدم له كل التسهيلات من شراء أرض وحديد واسمنت وتامين عمال ومواد بناء... الخ

ساهم وعمل على بناء وترميم المقبرة في الخراب التي اعتبرها بيت الإنسان الأخير، وفي البساتين مسقط رأسه عندما كان راعياً عليها ساهم بشق طريق للجبل وبناء بيت للوقف (دير مار الياس) بطابقين

مع ساحة بمدرج تتبع له، كما ساهم في استملاك أرض للوقف زرعت زيتون تعطي مردوداً مادياً لوقف البساتين، كما استملك أرض أخرى حتى تكون مقبرة في البساتين، كما ساهم بترميم كنيسة السيدة في البساتين مع الساحة أمامها، ورغم ذلك كله اهتم في بناء الإنسان أكثر من البناء المادي فكان يقول لي دائماً: "أريد بناء البشر وليس الحجر".

تضحياته في سبيل البشارة

عندما كان يشفي شخص أو يجبر أحداً على الاعتراف والمناولة تراه فرحاً وتغمره فرحة لا توصف وكان بوقتها ينسى آلامه وجراحه ولا يهتم بها. وكان الأب الياس يعقوب إذا سمع أن اثنان من رعيته متخاصمان لا يوفر وسيلة أو جهد للتدخل والمصالحة وكان كثيراً ما ينال الطعنات والضربات نتيجة لذلك، وكلما تمت المصالحة بين أحدهم تراه فرحاً والدنيا تبدو صغيرة لا تسعه، وإذا استعصت عليه مسألة كان يختلي لنفسه بالصلوات والإماتات ويعيش فترة من الزمن حياة نسكية ويقول لي أحياناً: "يجب على السماء أن تتدخل أولاً لتتم مشيئة الرب يسوع". كان يعطي التعليم المسيحي جُلَّ اهتمامه وكان يشعر أنه مقصر ويعود منزعج فيقوم بالعطاء أكثر وهكذا.

كان يستأجر سيارة على حسابه الشخصي ليجمع الأطفال والأولاد وحتى الشباب لينشر بشارة الإنجيل يحقق الكرازة الرسولية المناسبة، فتجده من بعدها مرتاح وفرح. وكان إذا سمع بمريض يذهب إليه بدون أن ينتظر أحداً من أهل المريض ليبلغه الخبر.

كان في الشتاء يصلي لأجل رعيته وحماية مزروعاتهم وفي كل يوم كان يتصل هاتفياً بأماكن متفرقة من الرعية ليجمع أخبارهم عن الزراعة وأرزاقهم وخصوصاً بعد كل مطر وهواء عاصف، وكنت أراه يفتح الإنجيل ويضعه في الدير على الطاولة ويشعل شمعة ويقيم أحياناً قداس الذبيحة الإلهية لأجل حماية الأرزاق والمنازل والقضاء على

أعمال الشرير، فكان يكرس صور العذراء مريم سيدة الصوفانية ويوزعها مع المياه المقدسة ويطلب من الناس أن يضعوها على أبواب بيوتهم البلاستيكية لحمايتها وحماية مزروعاتهم.

وفي موعد الغطاس كان يرش البيوت بالمياه المباركة ويبارك بطريقه المزروعات والأرزاق، وقام بوضع تمثال للعذراء مريم في دير مار قبريانوس بجانب البحر وسمّاه سيدة المزروعات، وطلب من العذراء بصلاته أن تحمي المنطقة بأبنائها ومزروعاتها من الشرير وقواته.

وفي أيام نهاية ولاية المطران أنطون طربيه على كرسي الأبرشية، قام الأب الياس يعقوب (كونه نسيبه ولا أحد من أقربائه في سوريا) ببناء طابق مخصص للأسقف وطلب من المطران أنطون طربيه أن يقيم فيه بعد نهاية ولايته وبدأ يخدمه.

وكم من الليالي استيقظ منتصف الليل وبعد منتصف الليل وقبيل الفجر وعند الفجر ليخدم المطران أنطون طربيه فيساعده في اللباس وترتيب أغراضه الشخصية وفي تمام السرية، وكان يسهر بجانبه يسامره ويعطيه الأمل والدعم المعنوي ويسلّيه، وكان يطلب مني أحياناً وخصوصاً في المساء أن آخذ المتة التي كنت أشربها بمفردي إلى الطابق العلوي لأشربها بجانب المطران لأسليه وأكلمه وكل هذا ليجعل المطران أنطون طربيه ينسى كل آلامه المبرحة التي كان يعانيها بآخر حياته.

بقي المطران أنطون طربيه ثلاث سنوات في الدير مع الأب الياس يعقوب وهو يتألم بصمت ولا يشكي ألمه لأحد سوى للأب الياس يعقوب الذي كان أخاً محباً ومعيناً قوياً ورفيقاً دائماً له لم يتركه نهائياً...

كان يستيقظ الأب الياس يعقوب أحياناً في الساعة الثانية صباحاً وأحياناً في الثالثة وأحياناً في الرابعة... وهكذا، وكلما سمع المطران يسعل سعالاً حاداً في الليل كان يقوم ويذهب إليه ويطمئن على حاله، وكان يشكر من سائق المطران السيد حميد الحايك ويقول لي: "الله يهبه كل صحة

على صدقه في الخدمة وأمانته في العمل". كان يرفض حضور الحفلات والعزائم والولائم إلا لأجل غاية البشارة، فعندما يضطر إلى حضور حفل أكليل كان يذهب يبارك وخلال ربع ساعة يستأذن ويعود إلى ديره وكان يرفض الولائم ويقول لي: "إن البعض إذا أطعم الكاهن أو أعطاه يمكن أن يظن في قرارة نفسه انه امتلكه هو وحده وهذا ما لا أريده".

كان حب العطاء يشكل الجزء الأكبر من شخصه وكيانه فكان يعطي بلا حساب ومجاناً دون أن ينتظر الرد بالمقابل حتى وُصف من قبل البعض (مجنون في العطاء). فالفقير كان يشغل باله كثيراً، والمحتاج كان يؤلمه أيضاً، فكان يصب كل اهتماماته على إطعام الفقير وسد حاجة المحتاج، فاستقطب لهذا المجال من جميع الأديان والطوائف الناس ونال احترام الجميع.

في أحد المرات أتى إليه كاهنٌ يسأله: "أبونا الياس... إن رعيتي صعبة جداً ولا أعرف كيف استطيع أن أجعل من قلوبهم القاسية قلوب لينة"، فأجابه: "أسألك أولاً يا أبونا، هل أحسست بمشاعر أفراد رعيتك؟ هل تألمت يوماً مع آلامهم؟ هل تألمت وصليت لأجل أحدهم لم يتقدم إلى سر الاعتراف؟ هل تألمت وصليت وتقشّفت في سبيل نقص في الحضور للتعليم المسيحي؟ هل تجوع في سبيل أحدهم أو تحرم نفسك النوم يوماً؟ إذا فعلت هذا تستطيع فعل ما تريد في رعيتك، لأن الكاهن الفاضل يستطيع أن يجذب إليه الناس بقوة".

سألته يوماً عن الشمامسة الذين يتدربون عنده، فقلت له: "يا عمي إن هؤلاء يتعلمون منك الكثير، وهم طيبون بالطبع، فهل يتعلمون منك حياتك الشخصية الخاصة؟"، فقال لي: "دعهم يراقبون بأنفسهم... وعندما يصبحون كهنة ويقودون الرعايا ويتلقون الصعوبات والمشاكل ويواجهونها ليس أمامهم حل سوى العودة إلى حياة الخوري الياس يعقوب ليستطيعوا أن يتجاوزوا المحن والتجارب، أو يعيشوا مرفوضين ومنبوذين في رعاياهم".

حوادث ذات أهمية ومغزى

كنت أنام في الغرفة المجاورة لغرفته في الطابق العلوي من الدير، وعندما كل صباح كنت أدخل لغرفته لترتيبها وتنظيفها فكنت أشم رائحة كريهة نتنة وكأنّها حيوان ميت وأقوم بالبحث عن هذا الحيوان دون فائدة، وعندما كنت أسأله كان يبتسم ويضحك ويستخف بالموضوع، وبقيت على هذا المنوال شهر كامل، وذات يوم رأيته قبل نومه يبارك ويقسّم على المياه ثم يرش سريره بها فتختفي الرائحة، فاقتحمت غرفته ودخلت وقلت له: "لقد رأيتك وعرفت سر الرائحة الكريهة العفنة"، فأجاب: "الله يخزيه يا عمي لا يقدر عليّ ولكنه يأتي ليزعجني برائحته الوسخة مثله".

وبعد فترة من الزمن أتت السيدة بربارة عنقا من الخريبات وهي أرملة لتخدمه بأجر شهري فكانت تسألني عن الرائحة فكنت أتجاهل الموضوع بنكتة وابتسامة وأهرب من الجواب وكانت تسأل الأب الياس يعقوب أيضاً فكان يهرب من الجواب أيضاً.

وذات يوم قال لبربارة لكثرة ما كانت بحالة غضب من هذه الرائحة: "تعالي لأريك ما هذا" صعد إلى غرفته وأخذ كوباً من الماء وعلى مرأى من عيني بربارة عنقا وقال: "اذهب أيها الشيطان إلى المكان المتسخ مثلك واترك غرفتي الطاهرة ليسوع المسيح"، فنظرت بربارة إلى كرسي التواليت فبدأت مياهه بالارتفاع والتخبط (حركة تشبه الغليان للماء) حتى وصلت المياه في المجرور إلى المستوى الأعلى لكرسي التواليت دون أن ينكب أو يندلق نقطة ماء واحدة منه إلى الأرض في الحمام واختفت الرائحة من الغرفة فوراً علماً بأن الحمام داخلي افرنجي، فقام الأب الياس يعقوب برش كرسي التواليت بالمياه المقدسة قائلاً: "أخرج من المجرور فوراً بقوة العذراء مريم والرب يسوع إلى مكان يناسبك"، وفجأة عادت المياه إلى مستواها المنخفض في كرسي التواليت كما كانت سابقاً،

فكانت بربارة مرتعبة وصوتها يملأ أرجاء الدير، فقال الأب الياس يعقوب: "لا تخافي يا بربارة إنه يزعجني بشكل يومي وأنا أطرده باسم يسوع، هذا تافه لا سلطان له لأنه خبيث وضعيف وغشاش".

كم من المرات كنت أسمع في الطابق العلوي حيث ينام (طبش) أبواب بعنف شديد وذلك حوالي الساعة الواحدة ليلاً وما بعد، ولم يخطر ببالي ما هو هذا... وكنت أحياناً أسرع إليه فأجده في سريره، وفي اليوم التالي يقول لي: "ما نمت البارحة ولا ساعة الله يخزيه"، فعندما كررت السؤال عليه لم يجبني وإنما دفع إلي بكتاب (الخوري آرس) فعرفت منه أن الشيطان يأتيه ويزعجه في نومه، وهكذا كان يومياً فوق ألمه يتألم من قلة النوم.

سأذكر الحوادث التي كان يطرد الشيطان بها وشاهدتها بأم عيني:

1- طرد الشيطان من غرفة السيدة مريم أم السيد انطون خليفة وذلك في أواخر حياتها حيث كان يأتيها بشكل أطفال صغار يزعجوها، وأذكر أن الشيطان ضرب عمي الخوري الياس يعقوب على ظهره لدى دخوله غرفتها في البساتين ومن ثم رأت هذه السيدة الأطفال يهربون من النافذة.

2- طرد الشيطان من غرفة نوم السيدة أم نديم كاملة أثناء سنواتها الأخيرة حيث كان يأتيها إلى الغرفة على شكل عائلات ويسكنون معها ويخبزون بقربها.

3- طرد الشيطان من غرفة نومه وذلك بشكل يومي حيث كان يأتيه بشكل رائحة عفنة كأنها جيفة، كان يطرده برش الماء المقدس في الغرفة قبل أن ينام ليلاً.

4- طرد الشيطان من شاب ممسوس من اللاذقية واسمه (حكمت) وقد سجلت أسماء الشياطين من فمه مباشرة.

5- طرد النمل والحشرات من منزل أبي، السيد قيصر يعقوب في البساتين

6- كان يمنح الهدوء والسكينة للأطفال الذين كانوا يصرخون ويتخبّطون فزعاً في الليل ولا ينامون وذلك بمجرد أن يضع يده عليهم ويباركهم.

- وفي حادثة أخرى:

كنت قادماً من عملي في شركة الوهيب في طرطوس حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر، فوجدت أختي ليديا والأب بسام نعمة (كان إكليريكياً آنذاك) فقالوا لي: "لقد شاهدنا أفعى طويلة يزيد طولها على عشرة أمتار"، فذهبنا إلى جوار الكنيسة حيث شاهداها فلم نجد شيئاً، فقمنا بالبحث عنها ولم نجد شيئاً، تركت الأب بسام نعمة وأختي في الخارج ودخلت إلى الدير فشاهدت عمي الأب الياس يعقوب يضحك فقال لي: "أجلس يا أبو الياس لا يوجد أفعى... هذا الشيطان أني شاهدته بأم عيني، ولكن لا تخبر أحداً، الله يخزيه جاء بهذا الشكل حتى يرهبنا". »

5) الشماس عقاب (الياس) رزق معوض

« قصتي مع كاهني والعناية الإلهية

أنا شاب ريفي من منطقة تدعى الخراب، قرية زراعية تابعة لمحافظة طرطوس. أنتمي إلى عائلة مؤمنة، تعيش مما يرزقها الله من خيرات الأرض، "خبزنا كفاف يومنا أعطنا". هذا الإيمان البسيط في عيشه والعميق في جوهره، استقيناه وتعلمناه من كاهن رعيتنا الخوري الياس يعقوب رحمه الله، واسكنه فسيح جنانه مع الأبرار والصديقين.

بدأت حياتي مع كاهن رعيتي الفاضل الذكر، منذ صغري، فلم أكن أرى أمامي - كما كل أبناء رعيتي - سوى رجل فاضل، لا بل نصف رجل إذا قصدت بكلامي جسده الهزيل المثقل بالآلام والأمراض، ومائة رجل إذا قصدت بكلامي روحه الطاهرة المملوءة بالإيمان والثقة بالعناية الإلهية.

كنت أرى فيه، ولا أزال، رجل بامتياز، هذا الرجل كان يملك نظرة ثاقبة للمستقبل كما الأشخاص، فمنذ صغري كان يقول لي: إني أرى فيك كاهناً، فما رأيك بأن تصبح كاهناً للرب. وطبعاً، لصغر سني كنت أستهزئ بكلامه وأقول في نفسي "ياحرام الأبونا مخرف ع بكير، معقول كون أنا كاهن؟ إذا الشيطان صار كاهن أنا بصير"، ولكن صلاته ونظرته فيَّ لم تخيب، لأني ما لبست أن أتخذت هذا القرار فور اتخاذي للشهادة الثانوية، وهذا ما جرى معي:

كنت أحلم دائماً بأن أصبح رجلاً مشهوراً ومعروفاً على مستوى الرياضة العالمية، فقد كنت أرى نفسي مكللاً بالميداليات والكؤوس المرصعة بالذهب الخالص، لإحرازي بطولات العالم في كرة القدم، وشهادات الدكتوراه في الرياضة، وما إلى ذلك من أحلام طفولية رائعة...

ولكن ما لبست هذه الأحلام بالاندثار والتلاشي، عندما تم رفضي من كلية الرياضة التي كنت قد تقدّمت إليها كخطوة أوليّة في مشروع نجاحي وتألقي.

رغم أن كاهني الجليل كان قد وضع كلّ ثقله من معارفه الأقوياء لدعمي لكي يتمَّ قبولي في كلية الرياضة، التي تسير على الواسطات أو على القوة المالية، وطبعاً تمَّ رفضي، لأن كاهني رجل الله، كان يصلي في قرارات نفسه لله لأن يحقق مشروعه في حياتي.

أمام رفضي بالكليّة، رفضت ذاتي، وأهلي، وكنيستي، حتى الله رفضته وصفته بالظالم وبأنه غير موجود، كنت أعيش أزمة نفسية، وتوتر عصبي جعلني أفكر بالرحيل عن بيتي وعائلتي.

وفي أحد الأيام جاءني أبي يقول لي: "أبونا الياس بدو ياك ضروري وهو بانتظارك"، فقلت له: "أي، بحاول روح" لكن لم يأتي في نيتي قرار الذهاب. وفي تلك الليلة بعد رجوعي المتأخر إلى البيت، رأيت في حلمي بأني أدخل إلى سيدة البحار في الخراب، رغم أني لا أريد الدخول، ولكن قوة ما كانت

تحرك رجليَّ رغماً عني، وعندما وصلت على الكنيسة، رأيت نوراً عظيماً يخرج من المذبح، فلم أقوى على النظر إليه، وهربت، وسرعان ما استيقظت لأجد نفسي اتصبب عرقاً وخوفاً من هذا الحلم. وفي اليوم الثاني أعاد أبي عليَّ نفس الموال قائلاً: "أبونا الياس بدو ياك ضروري، وهو بانتظارك". فقلت له: "أي بحاول روح"، وكعادتي لم أذهب. فعدت لأرى ذات الحلم الذي رأيته قبل يوم، وجدت نفسي أدخل إلى كنيسة الخراب، وأنا لا أريد الدخول ولكن قوة ما كانت تدفعني لأدخل، وما إن وصلت إلى منتصف الكنيسة، حتى ظهر عليَّ نورٌ قويٌ، لم أقوى على الحراك، بل وجدت نفسي جاثياً على ركبتيّ ورأسي يلامس الأرض، وجسدي كله يرتجف خوفاً، فأخذت أشجع نفسي وأفكر في قراراتي بالنظر لأرى ما هو ذاك النور، فرفعت رأسي، رأيت نوراً ساطعاً باهراً لم أقوى على النظر إليه باستمرار، رأيت وسط ذلك النور هيكلاً لسيدة جميلة جداً، عرفت أنها العذراء مريم، ولكني لم أرى وجهها لشدة الضياء، فخفت وهربت كالعادة، واستيقظت لأرى نفسي مبتلاً من رأسي حتى أخمص قدميّ بالعرق، من شدة خوفي. وطبعاً لم أخبر أحداً عن ذلك. وفي اليوم التالي أعاد أبي عليَّ السؤال: "شو ما رحت لعند أبونا الياس، ما قلتلك أنو بدو ياك ضروري وهو ناطرك". وكالعادة أجبته: "سوف أحاول ذلك" ولكنني لم أذهب. وثالثاً سوف تكون لحظة الحسم، حين وجدت نفسي أيضاً وأنا احلم ذات الحلم، وإذ بي أدخل إلى الكنيسة ذاتها، لا أعرف لماذا يجب عليَّ الدخول وأنا لا أريد، لأرى قبل بلوغي منتصف الكنيسة يسوع المسيح، يقف أمام المذبح، وهو يفتح يديه بشكل صليب مع ابتسامة مشرقة كان قد رسمها في وجهه الطاهر، ولشدة روعة هذا المشهد الرائع والمخيف في نفس الوقت، لم أجد في نفسي إلا فكرة الهروب، وكدت اموت من شدة الهلع والخوف، واستيقظت وإذ بي بحالةٍ لا أحسد عليها، وكأن أحدهم قد سكب عليَّ برميلاً من الماء.

أمام ما جرى معي، لم أجرؤ على اتخاذ إلا قرار واحد وهو الذهاب خاضعاً لكلام أبي ملبياً لطلب أبونا الياس يعقوب.

التقيته، وكان هذا اللقاء مهماً جداً فقد طلب مني أن أعيش معه، متحججاً بأنه يريد من يعيش معه ليهتم به، وهو الذي لم يطلب من أحد يوماً هذا الطلب، بل كان يرفض أن يعتني به شخص ما، ولكني لم أعرف ذلك إلا مؤخراً، وامام هذا الطلب وقفت متعجباً وخائفاً، وأخذت بالتفكير في عمق نفسي، ولكني لم أجهد نفسي بالتفكير ملياً، لأن الجواب كان حاضراً جاهزاً للإعلان دون تردّد بالموافقة، خوفاً من الحلم الذي رأيته، وهروباً من الفشل والإحباط الكبيرين الذي أحسسته من جراء رفضي من كليّة الرياضة، وهروباً من أهلي الذين باتوا مصدر إزعاج لي، بسبب إنزعاجي من نفسي، فرفضهم نتيجة رفضي ذاتي.

لكن سرعان ما بدأت أمور حياتي بالتبدل، وكأن شيئاً جديداً أو حياة جديدة بدأت تنتعش وتحيا في داخلي، فبتُ أنام قرير العينين، مطمأن البال، مرتاح الضمير. لاستيقظ على صوت أبونا الياس العذب، داعياً إياي للصلاة، أنهض مسرعاً فأغسل وجهي، البس ثيابي، أستل كتاب الشحيمة "الفرض الماروني" لأصليه مع أبتي الجليل كقسم أول للقداس ثم نتابع صلاتنا بالقداس الإلهي. بعد ذلك نحتسي القهوة، ونتناول وجبة الفطار، ثم ينصرف هو لاستقبال الناس. فيما أنا أذهب للدراسة أو للمطالعة. فقد كان يعلمني اللغة السريانية، كما كنت أقرأ كتباً روحية، أو للقديسين، التي كان يمدني بها أبتي الجليل.

لطالما توافد الناس من كل المناطق يطلبون منه الصلاة على مرضاهم أو للشفاء من داء ما، أو للتوفيق في وظيفة ما، أو رحلة أو سفر... ولم يكن يردُّ أياً منهم صفر اليدين، بل كان يحمّلهم أطيب الصلوات والعطور والزيوت المقدسة، وكان الكثير من الأشخاص يغادرونه فرحين يعودون ليعلنوا له ما جرى معهم، وكيف أن الله وفقهم، أو انعم عليهم بالشفاء أو بالخيرات أو...

كان يقضي معظم وقته بالصلاة والتأمل، فكنت أنظر إليه بين الفينة والأخرى وهو جالس على كرسيه مبتسماً متأملاً، وكأن السماء كلها

حاضرة أمامه، وملائكة السماء تحيط به وتحميه دائماً، لطالما تأملته وهو جالس ممعن في التفكير، ليطرح صمته أسئلة كثيرة في نفسي. منها ما هو سر هذا الرجل؟ فطعامه شيء بسيط، وحالته الصحية أشبه بطائر شبه مذبوح. علامات استفهام كبيرة طرحتها على نفسي قبل أن أطرحها عليه، لم أجد لها جواباً إلا مؤخراً. مكثت عنده أحد عشر شهراً قبل أن أغادر لأذهب إلى لبنان لأتابع مسيرتي الكهنوتية التي كنتُ قد قررتها، لا بل اكتشفتها انطلاقاً من عيشي معه.

ففي الشهر السادس من زمن مكوثي معه، قررت أن أخبره بأنني قررت أن أصبح كاهناً للرب، ولحظة أخباري له بقراري، امتلأ قلبه بالفرح لأن عيناه كانتا قد اغرورقتا بدموع الفرح. وقال لي: "كنت على يقين وإيمان بأنك سوف تتخذ هذا القرار. فسألته لماذا هذه الثقة؟ فأخبرني بقصة كانت قد حصلت معه منذ فترة تتراوح بين الستة أشهر إلى سنة قبل مجيئي للعيش معه. فقال: "في أحد الأيام، وكان يوم أحد، جاءتني امرأة لم أكن أعرفها، قالت إنها من حلب، وإن العذراء قد أرسلتها إليّ لتخبرني رسالة سماوية. فسألتها ماذا تريد العذراء أن تخبرني؟ فقالت لي: "تريد أن تقول لك بأن النوايا التي تصلي من أجلها سوف تستجاب". هنا أخذتني الحيرة والدهشة، فطلبت منها الدخول إلى مكتبي وسألتها للتأكد من كلامها، ما هي النوايا التي أصلي من أجلها؟ فقالت لي: "أنت تصلي من أجل ثلاث نوايا، وتقول لك العذراء بأن اثنين منها سوف تتحقق وواحدة لن تتحقق. فسألتها للتأكد أكثر، ما هي النوايا التي أصلي من أجلها؟ أجابتني: أنت تصلي من أجل المحبة والسلام في رعيتك، وتقول لك العذراء سوف يتحقق هذا الطلب. كما إنك تصلي من أجل الدعوات الكهنوتية، وتقول لك العذراء سوف تتحقق، وسوف تراها بأم عينيك هذه السنة. أما الدعوة الثالثة فلن تتحقق، لأنك تصلي عن نية أحد الكهنة وهو الخوري إبراهيم لكي يخرج من السجن، وهذا لن يحصل لأنه قد توفّي.

أمام هذا الكلام أحسست برعشة كبيرة في جسمي وبخوف لم أشعر به من قبل، أحسست بأني المعني المباشر بالنية الثانية، وهذا هو سبب إيمانه وثقته بأنني سوف آخذ قرار الكهنوت كمسيرة لحياتي. عندما أخبرته بحلمي الذي راودني قبل مجيئي للعيش معه، وبأنه السبب المباشر الذي جعلني أتخذ هذا القرار الصعب، لا خوفاً هذه المرة، بل بكل ثقة وإيمان بطرق الرب وسبله، عندها طلب مني أن يقبلني، فغمرته وركعت عند قدميه، ولأول مرة وهذه ستكون الأخيرة التي أضع رأسي في حضنه. وقال لي من الآن وصاعداً أنت ابني المدلل ولا أريد منك أن تطلب شيئاً من أبيك أو عائلتك، فأنا أباك الآن وعائلتك، فكل شيء تريده لا تتردد في طلبه. لم استطع عندها أن أجيب بأي كلمة، اكتفيت بتقبيل يده ونهضت، لأنني خجلت من النظر إليه، بسبب دموعي التي انهمرت رغماً عني وسالت على خديّ.

عشت معه أجمل اللحظات، لا بل أسعدها. وكنت أختبر معه، كيف أن الله يعتني بالبشر، ويعتني به بشكل خاص، لأنه عرف كيف يسلم ذاته بكليتها له، جلّ جلاله. وكان دائماً يردد أمامي جملة لطالما سمعتها منه، وهذا ما جعلني أحفظها، كان يقول لي: "بحياتك ما تركض ورا المال، لأنو بدو يضل دايماً قدامك سابقك، إذا بتعرف تركض ورا يسوع رح تلاقي المال عم يركض وراك، وهون فعلاً بتكتشف عناية الله فيك المستمرة". وعندها أخبرني بقصة حصلت معه.

قال لي، سوف أخبرك بشيء حصل معي منذ فترة وجيزة. أخبرك به كدليل لما قلته لك بشأن المال لا مفخرة: "في أحد الأيام جاءني رجل مريض وكنت أجلس في هذا المكان الذي نجلس فيه الآن سوية - أي أمام الكنيسة القديمة في سيدة الخراب - يقول لي: أبونا أنا إنسان مريض وبحاجة لعملية جراحية، وبتكلفني 25 ألف ليرة سورية، وما معي منون ولا ليرة، فمددت يدي إلى جيبي ولم يكن معي سوى 500 ليرة

سورية، فقلت له: يا أبني ما معي غيرها، قعود شوي بركي ربنا بيبعت شي حدا بيساعدنا. فجلسنا صامتين، وأمعنت في الصلاة، ولم يمض من الوقت ربع ساعة إلا ودخلت سيارة فيها رجل لم أعرفه، كان أنيق المظهر، تقدم نحوي، مخرجاً من جيبه ظرفاً مختوماً. وقال لي: أبونا كنت مارق من هون وشفت مزار العذراء مريم، وتذكرت إني نادر مبلغ من المال للعذراء، لهيك بدي سلمك ياه، وتصرف فيه على معرفتك وأذكرني بصلاتك، فقلت له: الله يوفقك يا ابني قعود لنشربك شي. فأجابني: "ما بقدر يا أبونا مستعجل، بركي مرّة تانية منقعد ومنتعرف عليك، وذهب فأعطيت الظرف كما هو للرجل وطلبت منه أن يفتحه، ففتحه ووجدنا فيه مبلغاً جيداً، 15 ألف ليرة سورية، فقلت له: "الله بيدبر". وطلبت منه المكوث أيضاً بعض الوقت، لكي يكمل الله ما بدأه، فجلس، وعدت أنا للصلاة مرة ثانية، ولم يمض الكثير من الوقت حتى دخلت سيارة أخرى تحمل نمرة دمشقية حسبته أحد أصدقائي، وإذ به رجل أنيق المظهر لا اعرفه، يبلغ الستين من العمر، رمى علي السلام قائلاً لي: أبونا ما بعرف ليش دخلت لهون بس شفت مزار العذراء، لهيك بدي ياك تقبل هالمبلغ من المال وتصليلي على نية بيي وأمي لأنون ميتين. أخذت منه المبلغ وطلبت منه الجلوس، لكنه أبى ذلك وذهب للصلاة أمام مزار العذراء، ثم مضى وهو يلوح بيده لي، أعطيت المبلغ للرجل المريض وطلبت منه أن يعده، وإذ به 10 آلاف ليرة سورية، فأنذهل الرجل، وقال لي: "أبونا هيدا المبلغ يلي أنا بحاجة إلو، بشكر الله عليك"، فقلت له: "لأنو نيتك صالحة الله بعتلك أشخاص يساعدوك، روح صلي للرب، وصليلون لحتى ربنا يساعدون ويوفقون، ويساعدك بكرة بالعملية".

فقلت له عندها: ربنا يساعدني لحتى أعرف أتمثل فيك". فأجابني: "رُبَ تلميذ فاق معلمه". وأضاف قائلاً: "عندي إحساس كبير إنك رح تكون أحسن مني". فأجبته: "أبونا لا تقول هيك، انشاء الله أوصل لربعك وأنا

راضي". فقال لي: "لا أنا ما بقبل ابني ما يكون أحسن مني". هنا شعرت بمسؤولية كبيرة يحمّلني إياها رجل الله كاهني. لم أقدر على الإجابة بشيء، بل ازداد تأملي به أكثر فأكثر، وكأني أرى أمامي إنجيل مفتوح، لا بل أكثر من أنجيل مفتوح، أنجيل معيوش "لاهوت متنسوت، لاهوت متجسد".

بالإضافة لحياة الصلاة، امتاز كاهني الجليل بحياة الفقر والتجرد، هذه الروحانية الرائعة اكتسبها من روحانية البرادو، الذي أسسها الأب انطون شفريه، متشبهاً بمعلمه الأوحد يسوع المسيح، الذي لم يكن لديه موضع يسند إليه رأسه. فكل شيء كان يملكه أبونا الياس لم يكن له، فما أعطاه الله إياه، كان يهبه للفقراء والمحتاجين. فكثيراً ما سعى لسد فم الجائعين قبل أن يفكر بنفسه، على غرار معلمه يسوع المسيح. فقد سمعنا الكثير من القصص التي تؤكد هذه الحقيقة، وأنه لم يكن يستطيع تناول طعامه البتة، وهو يعلم بأن أحد من معارفه لم يتناول الطعام منذ أيام، هذا هو رجل الله كاهني. وهذه هي حياته بكل بساطة، فكيانه كله كان ولا يزال متحداً اتحاداً كلياً بكيان معلمه. هو الذي لم يكن يميز أو يفرق بين إنسان وإنسان، فالكل سواسية أمامه، رحمه الله وأكسبنا فضيلته وقداسته.

بالإضافة لحياة الصلاة والفقر والتجرد، امتاز أيضاً بكرم الضيافة، هو الذي لم يغلق باب كنيسته وبيته يوماً. بل كان يبقي باب بيت الرعية مفتوحاً على مصراعيه، في حال غيابه كما في حضوره، متحسباً لأي شيء، أو لأي عابر سبيل يقصده، لطالما عاد إلى بيته ليجد أشخاصاً بانتظاره، أحياناً غرباء، وأحياناً أخرى من أبناء رعيته. ولطالما سألوه بادئ ذي بدء "أبونا كيف بتأمن تترك بيت الرعية مفتوح؟" فكان يجيبهم دائماً: "لو كان مغلوق كنتو قعدتو برا بالشمس ونسلقتوا، أو بالشتي وكنتوا بردتوا أو رحتوا وما قابلت هالوجوه الحلوة، بعدين شو في عندي بينسرق، في هالتلفزيون وهالتليفون وهالبراد. إذا إجا حدا

وكان معتازون ياخدون وينبسط فيون، لأنو ما حدا بياخد شي إلا إذا كان بحاجة إلو، وصحتين على قلبو"، فكانوا يذهلون من إجابته.

أمام هذا الإنسان لم يكن باستطاعة احد إلا أن يحبه، فيعيد الكرة بالمجيء ثانياً وثالثاً ومائة.

وفي أحد الأيام جاءه رجل من حلب وكنتُ أنا عنده، دخل وطلب منه أن يجري مكالمة هاتفية إلى حلب، فقال له: "أهلا وسهلا فيك هيدا البيت بيتك والتلفون تلفونك، حكي لمحل ما بدك، وما في داعي لتطلب إذن، لإلك بهالبيت متل ما إلي". فتفاجئ الرجل بجوابه، وبعد أن أجرى مكالمته قال له: "أبونا أنا السيد سليم الرباط من حلب، وأنا جارك هون، عندي شاليه على البحر، وبشتغل تاجر ألبسة، انقطعت، ومني قادر أحكي مع عيلتي بحلب، لهيك قصدتك. أنا بشكرك على استقبالك اللطيف والرائع، وبقلك أبونا أنو أنا مستعد لأي خدمة حضرتك بتطلبها مني". فأجابه: "أهلا وسهلا فيك أيمت ما إجيت، واعتبر هيدا البيت بيتك، وكل ما تجي من حلب تبقى طل علينا لحتى نتعرف عليك أكتر وأكتر". فأجابه: "أكيد أبونا هيدا شرف كبير إلي، وبقلك أول مشوار بدي جيب عيلتي فيها لهون، دغري رح جيبون لعرفون عليك، لأنو ما سبق وشفت هيك معاملة من رجل دين".

فعلاً لم يكن يبالغ في كلامه، فلم يمض أسبوع على غيابه، إلا وظهر هو وعائلته في أحد الأيام عند مغيب الشمس، فترجلوا من سياراتهم الفخمة وتقدموا نحو الخوري الياس يعقوب الذي كان قد طلب مني أن أضع الطعام للعشاء، وصرخ أبونا الياس بصوته الجليل قائلاً: "السيد سليم، شو هالمسا الحلو، أهلا وسهلا". تقدموا منه فعرفه السيد سليم الرباط على عائلته. وطلب منهم الجلوس إلى العشاء معنا قائلاً: "يلا تفضلوا كلو معنا، مع أنو ما في شي من مقامكم، بس عشانا صحيح بسيط بس كتير طيب". فأجابه السيد سليم: "أبونا بصراحة نحنا جايين

لعرّف عيلتي عليك ونعزمك على العشا معنا بالشاليه انت والشماس". فأجابه أبونا الياس: "هلق أنتو عنا والعشا صار جاهز، ما بدا إلا تقربوا وتشاركونا فيه، وبركي بكرا منتعشى عندكون". ومن هنا نشبت علاقة جيدة بين الخوري الياس والسيد سليم الرباط، الذي تبرع بتجميل مقام العذراء سيدة البحار، كما نشهده اليوم. كما تبرع بألبسة جديدة كل سنة للفقراء الذين كان يساعدهم الخوري الياس يعقوب. فكان يبعث له بمئات القطع الجديدة التي كان ينتجها من مصنعه في حلب. وكان قد قال مرة للخوري الياس على مسمع مني: "أبونا بصراحة أنا بحياتي ما تبرعت لكنيسة، وبحياتي ما كنت مفكر اتبرع، بس أنت غيرتلي كل أفكاري بتجردك وبحياتك، عنّا كتير كنائس بحلب وحد بيتي، بس ما فكرت اتبرع لأي كنيسة، لأنو كنت شوف كتير أشياء ما تشجعني". دامت هذه الصداقة قرابة الثلاث سنوات، قبل أن يفارق السيد سليم الحياة منتقلاً إلى رحمته تعالى. فقد كان يعاني من مرض السرطان الذي قضى عليه بسرعة، لم يكن أحد يتوقعها، ولكن في آخر أيام عمره كان قد دخل في الكوما، وعندما استفاق منها لدقائق معدودة طلب من ابنه الاتصال بالخوري الياس يعقوب لكي يذهب لرؤيته، ثم عاد إلى حالته، حيث أكد الأطباء بأنه لن يعود منها ثانية. طبعاً اتصل ابنه بالخوري الياس الذي زاره بعد أسبوع من الاتصال، وعندما وصل قالوا له: "أبونا عزبناك معنا، وجيت عالفاضي، لأن سليم صرلو جمعة بالكوما والأطباء قالوا أنو ما عاد يفيق منها أبداً". فدخل غرفة نومه واقترب من سريره وقال له: "خواجة سليم، أنا الخوري الياس، جيت سلّم عليك". وفجأة انفتحت عيني السيد سليم، لتحدقا بالكاهن القديس، فقال له: "أهلين أبونا، عرفت إنك جاية، لأنو شفتك جاية من بعيد"، هنا انذهل الجميع واصابتهم حالة من الجمود الذي كسره الكاهن الجليل بصوته العذب قائلاً: "عرفت من ولدك أنك منك قادر

تشوفني وتحكيني، بس كنت واثق أنو رح تقدر بس أوصل". فقال السيد سليم: "أبونا صليلي". أجاب الخوري الياس بالتأكيد وطلب من الجميع أن يصلوا معه المسبحة، وعندما بدؤوا بالصلاة، أخذ يتمتم معهم كلماته الأخيرة قبل أن يعود إلى حالة الغيبوبة، وكأنه قد أتم كل شيء واسلم روحه إلى أبيه متمماً واجباته كلها، واضعاً نفسه بين يدي خالقه.

هذا هو الخوري الياس يعقوب، لم يكن يقف في وجهه شيء، لا المرض ولا الفقر ولا العوز، ولا حتى الشياطين. فكل شيء كان يهابه. لأنه كان رجلاً فاضلاً يتقي الله ويهابه، بمخافة جليلة متخشعة، فطالما صارع الشيطان، وطلب نفسه الطاهرة وجسده الهزيل، ولكنه فشل، هذا الكلام ليس مجرد كلام جميل معسول، بل هو حقيقي، وملموس لمس اليد، ففي أحد الأيام جاءته امرأة بابنها المسكون من الشيطان، وهي من مدينة اللاذقية، بعد أن عانت الكثير ولم تعرف سبب مرضه، فقد قصدت العشرات من علماء النفس الذين قالوا لها الكثير إن ابنك ليس مريضاً بنفسه، بل هو بحاجة إلى كاهن لكي يصلي عليه، فراحت تنتقل من كنيسة إلى أخرى، ولكنها لم تجد مطلبها عند أحد، لأن العناية الإلهية ستعمل عملها وترشدها إلى كاهني الجليل. عند التقائها بالخوري الياس، نظر ابنها إليه قائلاً: "يا أبو اللبن حاولت أقضي عليك، بس ما قدرت، يا ويلك مني ما رح أتركك". هنا وقفت أمه منذهلة وقالت للخوري الياس: "يا أبونا ما تعتب عليه هيدا ولد وما بيعرف شو عم يحكي". فأجابها: ما تعتلي هم وصلتي"، وطلب منها الدخول، وأن تشرح له ماذا أصاب ابنها. فروت له قائلة: "وقت لي كان عمرو ست سنين، أنسرق بيتنا، وأنسرقلي مصاري كثير وراحت كل صيغتي، فقالولي جيرانا في شيخ كتير شاطر قصديه وهوي بيقلك مين سرق بيتك، فرحت وأخدت معي هالصبي، وقت يلي شفتو قلتلو قصتي فقلي إذا بدك تعرفي مين سرقك أنا رح فرجيكي السارق بأبنك، وبلش

يقول كلام ما بفهمو، وفجأة وقف وقلي، في شي مصلوب برقبة ابنك، فقلتلو نعم، فطلب مني انزعو من رقبتو، قام نزعتو، ورجع يقول كلام ما كنت عم أفهم منو شي، وفجأة شفت السارق كيف دخل على بيتنا وكيف سرق المصاري والمجوهرات، وعرفتو، ومن بعد ما اعطيتو المصاري ورحت، لهلق وابني منو طبيعي، وبيتصرف تصرفات غريبة عجيبة، حتى عقلو ما كبر ضل متل ما هو وهلق صار عمرو 12 سنة". فقال لها الخوري الياس: "ما تعتلي هم بإذن الرب والعذراء مريم بدو يرجع متل ما كان، بس رجعي لعندي بكرا الصبح وحاولي تكوني على الساعة سبعة"، فقالت له: "بإذن الله بكرا بكون على الساعة سبعة"، ورحلت. كنت أنا في بيت عائلتي فأتصل بي كاهني الجليل قائلاً: "شماس بكرا على الساعة 6 الصبح بتكون عندي ضروري"، فقلت له: "أبونا شو في؟ إذا في شي ضروري بجي هلق"، فقال لي: "لا ما تعتل همّ. بس عايزك بكير".

في اليوم التالي ذهبت إليه باكراً فروى لي ما جرى معه، وقال لي: "بدي ياك تكون معي، وحد هشام لحتى تساعدوني أنا وعم صلي عالصبي"، فجلسنا نحتسي القهوة، ولم نكد ننهي قهوتنا حتى دخلت المرأة مع أبنها الذي نظر إلينا نظرة غريبة من بعيد، وكأنها تعلن بداية معركة ضارية.

دخلنا إلى الكنيسة ونحن نمسك الصبي، الذي كان يرفض الدخول، وبعد جهد جهيد أدخلناه عنوة. طلب الخوري أن نركّعه أمام المذبح، ففعلنا، أخذ الصليب في يده ووضعه فوق رأسه وأخذ يصلي عليه، وبدأ الصبي بالصراخ قائلاً: "أنا ما شبني شي تركوني". واجتهد الخوري الجليل بالصلاة، وهنا قال له: "باسم يسوع المسيح آمرك أن تخبرني من أنت؟" فأجابه الصبي: "نحن كثر". فقال له: "وما عددكم؟". فأجابه: "نحن أربعة"، فقال له ما أسمائكم وما وظيفة كل منكم؟". فأجابه: "تحتيتوطاسوس، بكائوطاسوس، نسوانوطاسوس، تفتحوطاسوس". وشرح

وظيفة كل منهم" الأول يجعله يكسر كل شيء، والثاني يجعله بحالة بكاء دائم، والثالث يجعله يهتاج على كل فتاة أو امرأة يراها، والرابع يجعله في غضب دائم". فاستمر الخوري الجليل بالتقسيم عليه، وبقي قرابة الساعتين، لكن التعب كان قد هدَّ كاهله النحيل، فتوقف وطلب من المرأة أن تأتي بابنها في اليوم الثاني، فذهبت.

أمضى الخوري الياس نهاره كله في التأمل والصلاة منقطعاً عن الطعام، لكن وبعد إلحاح منّا، أكل صحناً من اللبن مع قطعة خبز صغيرة، ثم قال لنا: "بدي أطلع على غرفتي لأرتاح شوي". فجلست أنا وهشام نتبادل أطراف الحديث.

وفي اليوم الثاني، دخلنا إلى الكنيسة وأخذ الخوري الجليل يصلي عليه، وكعادته أخذ الشيطان يستهزئ به قائلاً: "خلاص أنا شفيت". فطلب الخوري الياس من الصبي أن يتلو صلاة الأبانا على مسمعنا، لكنه لم يجب بكلمة واحدة، بل رفع نظره إليه، ناظراً نظرة استهزاء وسخرية، فعاد الخوري الجليل إلى الصلاة، وظل قرابة الساعتين يصلي ويصلي، ولكن دون فائدة، لأن التعب قد استفحل في جسده النحيل، فتوقف وطلب من المرأة العودة للمرة الثالثة قائلاً: "بإذن الله سوف يشفى ابنك غداً". أيضاً أمضى نهاره كله بالصلاة، والتأمل، والصوم، لأن هذا الروح النجس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة، كما علمنا السيد المسيح.

عادت في اليوم الثالث، وكنّا بانتظارها هي وابنها، ودخلنا الكنيسة، وأخذ الخوري الياس يصلي ويصلي، ثم أسقاه ماءً مقدسة، ووضع كأس القربان على رأسه قائلاً: آمرك باسم ربنا يسوع المسيح خالقك، أن تخرج من هذه الجبلة التي خطبت له، وأن تترك لي علامة عند خروجك، وأن تدخل إما في كلب أو هر". ثم ناوله القربان المقدس. وطلب منها الرحيل قائلاً للمرأة: "بإذن العذراء مريم، ما بتطلعوا من الكنيسة إلا وبيشفى ابنك". وفعلاً، ما إن خرجوا وابتعدا عن الكنيسة، إلا وعلا

صراخ الصبي ثم هدأ، فنظرت أمه إليه فرأت في رأسه ما يشبه الفقاعة، فاتصلت بالخوري الياس لتخبره بما حصل. فأجابها: "لقد رحل الشيطان من ابنك، وترك لي العلامة التي طلبتها منه، فاشكري الله، ولا تنسي أن تصلي كل يوم في بيتك مع زوجك وابنك، لأن الشيطان يعود إلى مسكنه القديم، إذا لم يتسلح الإنسان بالصلاة والصوم".

هذا ما تميز به رجل الله الخوري الياس يعقوب، رجل الصلاة والتأمل، رجل الفقر والتجرد، رجل العناية الإلهية، وبفضله نشهد ما نراه من عمران وازدهار في كنيستي الخراب والجميز، هو يحرث والله ينمي، أحبَّ كثيراً فأعطي له الكثير، كما علمنا الكثير الكثير بمثله الصالح، وعيشه الكريم، فكان رجل التنسك بامتياز، عرف كيف يتنسك في قلب العالم، وفي قلب رعيته، فقد كان البعيد القريب في ذات الوقت، عرف كيفية الترفع عن ملذات العالم، بارتفاعه نحو خالقه، كما عرف كيفية التهرب من ملذات العالم، بتقربه من خالقه، فلذته كانت بأن يعمل مشيئة الأب السماوي، في تحقيق مشيئته القدوسة في حياته، لينقلها بدوره إلى أبناء رعيته، وإلى كل من يقصده من سائر فئات الشعب. كان من هذا العالم ولم يكن من هذا العالم، كان يملك غيرة إيليا النبي، وجرأة يوحنا المعمدان في إعلان كلمة الرب وعيشها بحسب روح الفقر الإنجيلية.

أخي القارئ، أعتذر منك سلفاً إن كنتَ تظن أن هذا الكلام مبالغ فيه، فلو أنك عرفت أو اختبرت أو عشت مع الخوري الياس يعقوب، لكنت قلت لي بأن هذا الكلام لا يمكنه أن يوفي هذا الرجل القديس حقه، لذلك فإني على يقين بما أكتب وبما أشهد. فهذا الرجل ليس بخارق أو بمعجزة أو بنادر، بل هو مثلنا تماماً، لكنه تفوق علينا بتسليم الذات، وبإيمانه بعناية الله ومحبته، فلا تظننَّ يوماً بأن هذا الكلام مجرد كلام يقال فقط للأشخاص ساعة موتهم، بل هو حقيقة ساطعة كالشمس، ولا يدركه إلا من عاين وشهد وشهادته تصح، كما قال السيد

المسيح عندما كان يشهد بأنه من الآب أتى وإليه يعود، لأن الشخص الذي عاين هو من يحق له أن يشهد ويعلن.

من هنا اسمحوا لي بأن أتكلم من موقع الابن المحبوب، الذي أحبه الخوري الياس من دون أن يفضلني عن الآخرين. فقد كنت باكورة صلاته، وهذا فخر لي، لذلك قررت أن آخذ اسم الياس في مسيرتي الكهنوتية، بدلاً من اسمي، حصل ذلك عشية نهار الخميس الواقع في الأول من كانون الأول، أي قبل رسامتي الشدياقية الواقعة في الثالث من كانون الأول سنة 2005، اتصلت بي عائلتي من بيت الرعية وبحضور الخوري الياس الذي كلمني معتذراً عن عدم استطاعته في الحضور مع عائلتي إلى لبنان ليحتفل معي برسامتي الشدياقية، قائلاً لي: "كيفك يا شدياقنا، ما بتعرف قديش أنا مبسوط، لأنك ثابت بدعوتك". قلت له: "أبونا هيدا بفضل ربنا وبفضل صلاتك". قال لي: "بس أنا بدي أعتذر منك لأنو مرح فيني أجي على رسامتك، لأنو ما قدرت أمن خوري يقدس محلي نهار الأحد، وانت بتعرف أنو مو معقول أطلع أحضر رسامتك نهار السبت، وما أحضر رسامة طنوس مراد نهار الأحد، لهيك ما تأخذني". قلت له: "أبونا ما تعتل هم أنا ما بآخذك، بس صدقني، منك كتير بحاجة لتكون حاضر بهالوقت حدي، لأنو بتعرف محبتك بقلبي". فقال لي: "بعرف يا شدياق، بس شو بدي أعمل، معليش الله يتممها معك، وأنا ناطرك انشالله على عيد الميلاد، منشان تكون واقف حدي على المذبح وعم تقدس معي ولابس غنبازك، وهيدي هي فرحتي الكبرى، أنو شوفك لابس غنبازك حدي". قلت له عندها: "أبونا بتسمحلي أطلب منك طلب". قال لي: "شو بتطلب اعتبرو مستجاب"، قلت له: "أبونا أنا بدي غيّر أسمي، بتسمحلي أخد منك اسمك الياس". فقال لي: "هيدا شرف كبير إلي، أنو تاخد اسمي، أنت بتعرف أنو كل شي إلي هو إلك، فمعقول أبخل عليك باسمي". كانت فرحتي كبيرة جداً،

وأحسست بأن الكون بأسره لم يعد باستطاعته أن يسعني، لأني كنت انتظر بفارغ الصبر عطلة عيد الميلاد لأرى كاهني الجليل.

بعد أن تدرجت في المراتب الصغرى، وأخذت الشدياقية بـ3 كانون الأول على يد المطران بولس مطر وكان عرابنا حضرة الخوري رئيس الدير عصام أبي خليل، أخذت أعد الأيام يوماً بيوم، لكي أرى كاهني الجليل، وأرى ردة فعله، عندما يراني مرتدياً ثياب الكهنوت، لكن فرحتي لن تدوم طويلاً، وانتظاري كله توقف يوم 14 كانون الأول، أي بعد أحد عشر يوماً من رسامتي، لأن قلب كاهني الجليل قد توقف عن الخفقان، وجاءني خبر وفاته، وأحسست بحياتي كلها قد توقفت، وبان قلبي قد توقف هو بدوره، وروحي قد فارقت جسدي، لترحل إليه، لتكذب هذا الخبر المشؤوم. لكن لا محال مات رجل الله، لا بل فارق بيته بيت العناية الإلهية الأرضي، ليكون في بيت العناية الإلهية السماوي، فارق أحبائه ليكون مع حبيبه الأوحد يسوع المسيح. فارق ابنه المحبوب الياس، ليرحل إلى أبيه الحب المطلق، فارق هذه الحياة بعد أن أطمئن بأن الياس ما زال حاضراً، مات هو ليولد آخر.

ربي ماذا تريد؟ ولماذا حصل هذا؟ هذا ما قلته في تلك الساعة. لماذا الآن؟ ماهي مشيئتك؟ ولماذا أخذته باكراً؟ فأنا بحاجة ماسة إليه... أسئلة أقضّت مضجعي ولم أجد لها جواباً، لأني رفضت فكرة موته، ورفضت أن يكون الله قد أخذه مني، فهو يعرف كم أنا بحاجة إليه، فلماذا يا الهي؟ لماذا مات؟ وبهذه الطريقة مات؟

لبست غنبازي، ووضّبت حقيبتي، وانطلقت مسرعاً كالمجنون إلى سوريا. كان برفقتي رفيقي مارون توما الذي كان منذهلاً مثلي، غير مصدق ما حصل. لكن يا إلهي كم كانت الطريق طويلة، والزمن بعيد الأمد، حتى إني حسبت بأن الكون كله قد توقف، وبتّ أدور في دوامة لا نهاية لها، أحبس أنفاسي، ودموعي، وتفكيري. أحبس روحي التي باتت

تكره جسدي راغبة بالطيران لتسابق الطريق والزمان، لتلتقي كاهني الجليل في مثواه الأخير، لترقص معه في فضاء الملكوت، لترافقه إلى علياء أبِ السموات.

وأخيراً وصلنا، كانت الكنيسة تغص بالمحبين الذين توافدوا من كل صوب وحدب، دخلت الكنيسة من دون أن أسلم على أحد، بما فيهم أهلي، لتقع عينيّ على النعش الصامت، وعلى جثمان كاهني الفاضل الهادئ، فانطلقت دموعي من دون استئذان، وعلا صوت بكائي دون خجل، ولم يكن باستطاعتي الاقتراب منه، ولا الابتعاد عنه، بل وقفت في مكاني مسمراً، انظر إليه ودموعي تنهمر دون كلل أو ملل، وكأن خيط الرجاء قد انقطع كلياً، لأن أعز رجلٍ في العالم قد فارقني من دون استئذان أو دستور. ماذا أفعل يا الهي، هل أخذته كلياً؟ أم إنك أدخلته في سبات وقتي؟... أخذت الأفكار تتقاذفني وترتطم بي كورقة في مهب الرياح، لا أعرف أين ستأخذني، ولا في أي موضع ستسقطني. إلهي ماذا يجري؟ هل رَجُلُكَ قد رحل نهائياً؟ أرجوك لا، دعه ولو للحظة واحدة يستيقظ، ليراني وأنا أرتدي غنبازي الذي لطالما تمنى أن يراني فيه، دعه يراني لينام قرير العينين، وأخذ شعور غريب ينتابني في داخلي، ويحثني على الصلاة قائلاً: "يا يسوع الهي وربي، أنت من بكى عندما عرفت بلعازر حبيب نفسك وقد رقد، فانطلقت مسرعاً لترى المكان الذي وضعوه فيه، وعندما وصلت إلى قبره ارتعشت نفسك، فرفعت عينيك إلى أبيك السماوي وقلت: أشكرك يا أبتي لانك استجبتني، وأنا أعلم أنك دائماً تستجيبني، إنما قلت هذا من أجل الجمع المحدق بي، ليؤمنوا أنك أنتَ أرسلتني (يوحنا 11: 41-42) وصحت بصوت جهوري قائلاً: "يا لعازر هلم أخرج، فخرج لعازر من ساعته وعاد إلى الحياة". ماذا أفعل، هل أفعل ما فعلت؟ ترددت كثيراً، وبقيت أفكر بهذا الشعور لساعات طويلة، لكنَّ إيماني بك وجرأتي المزعزعة حالت دون ذلك، وعدت أبكي كمن لا

رجاء له، منتظراً من رجل الله كاهني القيام بهذه المهمة الصعبة عني، لكن مشيئة الله كانت عكس مشيئتي، لأن إيماني الضعيف والمزعزع بأبوته لم يغير مشيئته القدوسة فيتمجد اسمه، ويؤمن به الكثيرين. لم استطع الوقوف موقف يسوع أمام قبر لعازر. ولا موقف العذراء مريم في عرس قانا، حينما قربت ساعة مجد يسوع بوقوفها موقف المؤمنة بقولها للخدم افعلوا ما يأمركم به، فقد كانت على يقين ثابت وإيمان راسخ بأن ابنها لن يخيب طلبها، فاظهر مجده وآمن به تلاميذه.

راودني شعور مزعج، شعور التلميذ الخائب والجبان، وكعادتي وجدت نفسي انسحب مفضلاً الهروب بدل المواجهة، فجلست بعيداً عنه أتأمله بعينيّ الباكيتين، عندها عادت بي ذاكرتي إلى الوراء ست سنوات لأتذكر فيها حلمي الأول ومواقفي الثلاث، كيف هربت مسرعاً أمام مجد العذراء ومجد يسوع، فأدركت حينها بأني عدت إلى الصفر، عدت من حيث انطلقت، عدت إلى ذات الحالة، وإلى ذات الموقف الجبان، موقف بطرس الخائن الذي أنكر يسوع ثلاث مرات، هو الذي عاش معه ثلاث سنوات، فأجهشت بالبكاء وبكيت بكاءً مراً على نفسي هذه المرة، بدلاً من البكاء على كاهني الجليل.

مكثت كل الوقت في الكنيسة، جالس في مكاني أحدق بعينيّ المنتفختان من البكاء في جثمان كاهني القديس، أصلي وأصلي ولكن إلى متى؟ إلى متى يا رب؟ لا لا تجعله يتوارى تحت التراب، افعل شيئاً يا إلهي افعل شيئاً يا ابتي... أصرخ وأصرخ ولا من يجيب، حتى صدى صراخي ذهب ولم يعد، ماذا يحدث؟ لم كل هذا الجمود؟ أحسست بقلبي قد تجمد، وعروقي قد يبست، ودمي قد توقف عن الجريان في جسمي، ما هذه الصحراء القاحلة؟ موت، لا أحس إلا بالموت يحيط بي، حتى إني تمنيت لو كنت مكانه، وقلت لنفسي: "يا رب خذ عمري وأعطه لأبتي الجليل، أرجوك أعده إليَّ فإني بحاجة ماسة إليه، خذ مني ما تريد من عمري

حتى ولو كل عمري، فقط أعده ولو لسنة واحدة، لشهر أقبل، لجمعة أقبل، ليوم أقبل، لساعة أقبل، للحظة أرجوك يا رب لا تخذلني، أبكي وأبكي ولا ينفعني شيء حتى البكاء، بقيت على هذه الحالة حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، لم يبقى أحد إلا أنا وأبتي الجليل، انظر إليه، أتأمله كعادتي وهو صامت هادئ، لا تشبع عيني من التحديق فيه، لكن تأملي هذه المرة لم يطرح أي سؤال عليَّ، لأن سؤالاً واحداً كنتُ قد طرحته عليه هذه المرة، وهو لماذا تركتني يا أبتي الجليل في هذا الوقت؟ ما زلت طفلاً صغيراً بحاجة إلى رعاية، ما زلت غصناً يافعاً غضاً، بحاجة إلى دراية، مازلت تلميذاً يانعاً في مدرستك بحاجة إلى عناية.

أعرف أنك كنت مستعداً لهذه الساعة، لا بل كنت تنتظرها بفارغ الصبر لتلتقي بالمعشوق الالهي، أعرف أنك لم تكن تطلب شيئاً من هذه الحياة، إلاّ تحقيق رسالتك الكهنوتية بقداسة لتلاقي القدوس ساعة يطلبك، وهذا ما كان يعزيني، فطوبى لك أيها العبد الصالح الأمين، كنت أميناً على القليل فسيجعلك الله أميناً على الكثير، أدخل فرح سيدك، هذا ما تستحقه يا أبتي الجليل، وهذا ما نلته بإذن الله، فصلي من أجلنا في كل وقت، وابقى معي مرشداً من علياء أبي السماوات.

تركته عند الساعة الثانية بعد منتصف الليل، بطلب من أبي، رغم أني كنت قد قررت السهر معه طوال الليل، وذهبت إلى النوم، تعذبت كثيراً تلك الليلة، ولم استطع النوم بسهولة لأن صداعاً رهيباً كان قد أجتاح رأسي، وبقيت طوال الليل بين النائم والمستيقظ، انتظر بشوق طلوع الفجر لأذهب إليه فأسرق اللحظات كلها المتبقية لي في النظر إليه، ذهبت وعدت أنظر إليه وأنظر، حتى إنَّ عيني لم تكلاّ من التحديق فيه، ثم أخرجناه من البراد الذي وضعناه فيه، حوالي الساعة العاشرة مساءً، فوجدنا جسده طرياً، كأنه قد توفي الآن، وهذا ما قاله حضرة الخوري الياس عدس، الذي تفاجئ جداً، عندما لمسه وشده من جلده، الذي عاد إلى مكانه بسهولة،

رغم أن الجليد كان يحيط بكل جوانب التابوت. هذا هو كاهني الجليل، حتى الموت لم ينل من جسده الطاهر، وأنما كما كل الأشخاص الذين كانوا متواجدين، نؤمن بأن جسده ما يزال حتى هذه اللحظة كما هو.

أخذ الناس بالتوافد من كل أنحاء سورية، ولبنان، حتى من الأردن، فكل من يعرف أبتي الجليل أتى، فشيعناه بموكب يليق برجل قديس، ذهبنا به إلى كنيسة الجميز، ثم عدنا به إلى كنيسة الخراب، ليلاقي مثواه الأخير، تحت مزار العذراء القديسة أمه التي أحبها حباً كبيراً، نزولاً تحت رغبته، فهو من طلب أن يبقى معنا في رعيتنا بجسده وروحه الطاهرتين، هو الذي عاش من أجل رعيته ومات من أجلها وفيها وبها.

أبتي نم قرير العينين ومطمئن البال، فرعيتك أصبحت بأمان أكثر، لأنك الآن تخدمها بشكل أكمل وأفضل، هي تذكرك دائماً، وتصلي من أجلك باستمرار، وستبقى في قلوبنا وعلى شفاهنا وشفاه أولادنا من بعدنا، لأن الرجال العظام، يبقى ذكرهم، وإن ماتوا على مر الأجيال والعصور، فكيف ذكرك يا رجل الله؟

ابنك الحبيب الياس معوض »

6) **الخورأسقف جهاد ناصيف**

الأب الصديق والأخ الكبير الياس زحلاوي الفاضل

كانت توصية سماوية عندما قال لي الأب أنيس أبي عاد كاهن رعية القديسة ريتا آنذاك في سن الفيل/ بيروت اثناء الحرب العبثية والتي ابتدأت عام 1975 والمستمرة حتى اليوم بمشرقنا العربي فصولا فصولا. لقد قال لي ما حرفيته: "عندما تذهب يا جهاد إلى دمشق إسأل عن كاهن اسمه الياس زحلاوي "فكانت زيارة مفصلا في حياتي وهذه رسالة صغيرة لك عن صديقنا المشترك "أبونا الياس" بناء على رغبتك:

المقدمة جزء لا يتجزّء من هذه الرسالة.

استوقفني قبر بسيط وغريب من نوعه في غابة متصلة بحديقة مركز القديس كريستوفوروس، ومعنى اسمه كما تعلم حامل المسيح، للكنيسة الانجيلية في ضواحي برلين، حيث كنت أشارك في ندوة مع جمعية "السلام في أوروبا"، عندما تلقيت اتصالا هاتفيا من السيد طوني داوود والذي، بلا مقدمة، قال لي: "يا أبونا جهاد مات عمّي الخوري الياس". بقيت جامدا مكاني غير مصدّق وبعد لحظات فهمت لماذا استوقفني هذا القبر الغريب والوحيد في هذه الغابة. لم يعد هذا القبر غريبا فطلبت من القديس كريستوفوروس أن يحمل هذا الكاهن ويعبر به إلى الضفة الأخرى كما حمل يسوع يوما. ودخلت في حوار مع "أبونا الياس خوري الخراب" أمام هذا القبر... هذا الكاهن الصديق الذي رافقني كل حياتي حتى اثناء دراستي في المانيا حيث استضفته لاجراء احدى مسلسلات عملياته الجراحية الخطيرة في العامود الفقري حيث بقي لأكثر من ستة أشهر في قميص من جبصين مشدود الرأس إلى الأعلى، وكأنه مشنوق جلوسا. الحلقة الحديدية هذه كانت أكليله من هذه الحياة. هذا الأكليل الحديدي كان يلف رأسه عند الجبين ليثبته إلى الأعلى بواسطة أربعة مسامير. بعد انزاله من على هذه "المشنقة" أحضرته إلى غرفتي حيث التقى عندي بالفنان "تواس جيرار هايل" وكانت هذه الصورة التي أرسلها لك طيا لتزيّن بها كتابك عنه.

لا أتذكر كم من الوقت بقيت أمام هذا القبر... لقد كنت عند أبونا الياس الاسبوع الفائت لتوديعه قبل سفري إلى هنا وكان ينوي ارسال "أكلة سمك" إلى دمشق وصاحب البراد الفارغ لا يطعم ضيوفه إلا السمك ويتظاهر هو بالأكل: إنه كاهن رعية سيدة البحار. هذه السيدة التي أغدقت عليه كل النعم السماوية فتحيّر الناس في أمره هل هو قدّيس أم به شيطان؟

لقد سمعت الكثير عن "عجائبه" منها على سبيل الذكر لا

الحصـر: الـدبوس في معـدة الطفـل والبـاص الـذي توقـف بـدون سـبب لأن السـائق رفـض التوقـف لهـذا الكـاهن وبعـد الاعتـذار اسـتطاع السـائق متابعـة السـفر وأعجوبـة السـمك مـع أبـو علـي الصـياد الـذي طلـب منـه ابونـا الياس 23 كيلـو مـن السـمك لأنّ عنـده ضـيوف أطفـال مخـيّم أسـرة الاخـاء فمـا كـان مـن أبـو علـي إلا أن اعتـذر منـه لأن الطقـس في هـذه الأيـام غـير مناسـب للصـيد. إلا أن أبونـا الياس أصـرّ وطلـب منـه رمـي الشـبكة و"علـى الله والعـدرا" وبالفعـل كانـت النتيجـة بـالظبط 23 كيلـو مـن السـمك في الشـبك! هـذه الشـهادة سمعتـها بعـد عـودتي إلى سـورية مـن أبـو علـي نفسـه وكيـف كـان متـأثرا جـدّا لفقـدان هـذا الأب "الـولي". الكـل في الخـراب كـان ابـن رعيتـه يـأتون اليـه بالخضـرة والحليـب والسـوركة عنـدما يعلمـون بـأن عنـده ضـيوف وبـراده فـارغ وأبوابـه مفتوحـة. ولا أنسـى تلـك الحادثـة بعـد وفـاة المثلـث الرحمـات المطـران أنطـون طربيـه وكـان مـن بـين مـا أورثـه إيـاه هـو خزنـة الحديـد إذ طلـب مـني أبونـا الياس أن آخـذها فـورا مـن عنـده وعبثـا حاولـت أن أقنعـه بـأن الخزنـة في بيـت الكـاهن هـي ليسـت للفلـوس فقـط وانمـا لحفـظ الوثـائق الرسميـة وكـان جوابـه: "بـيتي مفتـوح لـيلا ونهـارا للجميـع ولا أريـد أن أجـرّب أحـدا" فأخـذتها ووضـعتها في بيـت الطلبـة التـابع لكنيسة مار ريشا اللاذقية.

مـا يؤسـفني هـو موتـه وهـو حـزين علـى وضـع الابرشـية وكهنتـها وأيضـا علـى محاولـة أحـد ابنـاء رعيتـه بتقسـيم الرعيـة لانشـاء طائفـة جديـدة غريبـة عـن تـراث المنطقـة "وكأنـه تنقصـنا يـا أبونـا جهـاد طوائـف وانقسـامات". الأب الياس وفي كـل اجتماعـات الكهنـة الشـهرية في المطرانيـة بطرطـوس كـان يعـترف عنـدي ومنـه تعلمـت الاعـتراف عـن، وبخطايـا رعـيتي. أبونـا الياس مدرسـة "قنّوبيـة" عتيقـة.

رعيـة سـيدة البحـار هـي علـى سـهل سـاحل مبـارك لكـنّ رعيّتـه كلـها جبـال ووديـان وصـاحب هـذا الجسـد المصـلوب ألمـا أحـب فعـبر مـن هـذه الحيـاة تمامـا كمـا كـان يخلـع جبتـه كـل ليلـة. أبونـا اليـاس كـان الأقّـل علمـا بـين الكهنـة لكنـه الأكثـر ثقافـة ومعرفـة ووعظاتـه الشـهيرة شـاهدة علـى ذلـك لا بـل كتيباتـه ومكتبتـه الكـبيرة هـي خـير شـاهد علـى مـا أقـول. أبونـا اليـاس بالنسـبة لي شخصـيا يجسّـد امكانيـة أن أكـون قديسـا في عـالم اليـوم وأنـا فخـور بانتمـائي لأبرشـية أحد كهنتها هو "أبونا الياس يعقوب خوري الخراب".

الخورأسقف جهاد ناصيف

مار شربل - عمان - الأردن

7) **السيد غسان حنا**

أبونا الياس يعقوب

ابـن شـقيقة المثلـث الرحمـات المطـران أنطـون طربيـه... نحيـل البنيـة... قصيرها... خاله المطران أنطون انتزعه من حالة اجتماعية صعبة... وأصرّ أن ينـال شـهادة البكالوريـا. فطلـب منّـي مسـاعدته في مـادة اللغـة العربيـة فاستجبت بلا تردّد... لكن الخطوة المذهلة التي أقدم عليها سيادته تمثلت في توجيه شخصيته نحـو (سرّ الكهنـوت) دون القسـوة بالـدروس عليـه. وفي زيارتي جامعة الـروح القـدس في الكسـليك ذات مناسـبة... رأيتـه بـين رفاقـه على مقعد الدراسة وتصافحنا بحرارة... وقلت لنفسي: يـا لتـدبير المطـران وصـوت الـروح القـدس فيـه... ولم يمـضِ وقـت طويـل حتـى تم وضـع يـد الأسقف عليه... وعاد الشاب إلى قريتـه وأهلـه وأقربائـه كاهنـاً لا يعـرف مـا تُضمر الأيام له... وهمّه أن يقوم بواجبه في خدمة النفوس.

وقـد واجهتـه الصـعوبات الـتي تواجـه الكهنـة الجـدد مـا بـين أهلـهم وأقربائهم... حين تتداخل ملامح الولد القديم بملامح الكاهن الجديد.

وشـعر المطـران أنطـون بإحراجـه فضـرب الضـربة الثانيـة

الصائبة... إذ نقله إلى بلدة (الخراب) وهي مجموعة عائلات القرى المجاورة استصلحت أراضيها على الساحل وسكنتها... ونمت هذه البلدة الجديدة وكثرت فيها المشاريع السكنية السياحيّة حتى أضحت اليوم على اتساعٍ وحداثةٍ لافتتين... والمهم أنّ (خميرة أبونا الياس يعقوب) قد فعلت فعلها في عجينة أولئك الناس الطامحين المجتهدين الدائرين في فلك أعمالهم نعم... تحوّل هذا الكاهن البسيط... النحيل إلى كهرباء روحيّة صاعقة... ومبخرة تقوية في كل بيت... وغدا أهل الخراب بين يديه في كل صغيرة وكبيرة... وكما جاء إليهم بهدوء... ودون تكلّف... ودّعهم ذات يوم بهدوء ودون تكلّف: سعل سعلة خفيفة... وأسلم الروح.

وحملوا جثمانه المكشوف وطافوا به ما بين بيوتهم وأراضيهم ملتمسين شفاعته وبركته بعد موته كما غمرتهم أثناء حياته... وهو الآن يرقد هانئاً تحت قدمي (أم الله) راعية حياته ومصدر قوّته في المواقف التي واجهته كاهناً ناشئاً... تمثاله يستقبل الزائرين.

كان يناديني دوماً بلسان محبّته طبعاً: (يا شاعرنا) لذلك كان صوته في كياني قوّة نورانية تشحنني بالطاقات الإيمانية والإبداعية العالية... وإني لأعتبره الآن:

ملهمي... وحارس كياني... وشفيع عائلتي وأبناء رعيّته الذين جنوا على يديه ثمرات عجائب كثيرة ومنهم ابن أخي (وسيم) الذي طلب من الأم العذراء له الشفاء... وقد دخل في السبات الذي يسبق الموت... نعم قال لها: إذا كان صالحاً لا تحرمي أهله منه... وإذا رأيت أنه سيكون ضالاً... فاسداً فاطلبي من الرب نقله إلى السماء فوراً وها هو (وسيم) بشفاعة (أبونا الياس)... وحنان أمّ الله كالحصان الأصيل... وطالباً جامعياً لا ينسى فضل أبيه السماوي عليه...

ولأني أنتظر يا (أبونا الياس) أن يفوح عطر قداستك قريباً... فتُرفع على المذابح مكرّماً... فطوباويّاً... فقدّيساً..أهدي لروحك الطاهرة ما أوحيت لي من شعري الذي أحببته وكنتَ تردّده بافتخار.

أبونا الياس

بمجد طهارة العذراء... هاما ... وشاد من القلوب لها المقاما
على اسمها قد طوى أيّام عمرٍ ... كطفل الروح لا يرضى فطاما
يحار الطب في جسدٍ عليلٍ ... تكاد تعُدُّ إن شئتَ العظاما
وقلبٍ... كان مربوطاً بخيطٍ ... وظلّ معلّقاً ستين عاما
كأن الربَّ أشعله سراجاً ... ليمسحَ عن رعيّته الظلاما
وبيتٌ ضمّهُ أضحى مزاراً ... ونبعَ أُخوّةٍ يروي الأناما
يرى في الربِّ وحدةَ مؤمنيه ... فلا يرضى اختلافاً وانقساما
أما كان الوجودُ بفعلِ حبٍّ ... فكيف نعيشه حقداً... خِصاما
وكمْ رفعتْ شفاعتُهُ عليلاً ... من الأوجاع... كمْ ردّت سهاما
قليلُ المالِ من يدهِ كثيرٌ ... إذا ما زُرتَهُ نلت السلاما
إذا جاء اللصوص ليسرقوه ... وفاجأهم بيقظته تسامى
يعاملهُمْ كأنّهمُ ضيوفٌ ... يُسامرهمْ كأنّهم ندامى
فينزعُ منهُمُ شوكَ انحرافٍ ... ويزرعُ في نفوسهُمُ الخُزامى
بسيطُ كلامهِ أغنى بيانٍ ... فيغمرُنا اقتناعاً واحتراما
ويصمتُ كي يغوصَ بنا عميقاً ... لسان الصمت... أفصحنا كلاما
وفي يومٍ... على غير انتظارٍ ... طوى في (سَعلةٍ) عمراً... ونام
وقد حملوه جُثماناً... وطافوا ... ولكنْ روحُه طارتْ غماما
وبين رعيّةٍ... وجوارِ أمٍّ ... وأرض (خِرابِه)[1] ... أبداً... أقاما
وإنّا آملون بأنّ يوماً ... به نُسقى قداستَه مُداما

1) البلدة الساحلية التي خدم رعيتها معظم عمره... ودفن في جوار كنيستها... ومقام العذراء فيها.

8) جريس داغر

تحقيق:

جريس داغر عمري 65 سنة مواليد صافيتا، من سنة ولأجل بناء قنطرة لأبونا الياس، ناداني المهندس جبرا وأنا جاره ساكن مقابله وسألني من أين بيوصلوا الكهرباء؟ علمته من أين، وقلت له: هنا يوجد علبة. وكان معه معلّم ومعه شخص تاني، وجابو الصاروخ (هذا المعلم من حماة اسمه خالد) وضع الصاروخ أمامه يريد أن يركّب له الشفرة ويجهزه، الآخرين وصلوا الكهرباء، وبيده مسك شفرة الصاروخ ودار الصاروخ، أنا هون غمضت عيني وقلت راحت طرف يداه، كيف انشالوه يداه؟ كيف؟ لا اعرف!! انا غمضت عيني؟ لا يوجد شيء ويداه سالمتين! صار أصفر مثل الشمع، قلت له: يا بني انظر هذا الفقير، هذا التمثال أمامك حاميك، وأيضاً هناك مريم العذراء وراءك حاميتك، لا تخاف.

- السائل: لا يمكن... يلي صار

- اعوذ بالله، ودار الصاروخ، وأنا قلت انو راح، راحت يداه، اشتغل الصاروخ وراحت يداه، (الشاب) ما فيه شيء، ولا شيء.

- متأكد أن أبونا الياس فعل معه هذا؟

- أكيد 100٪ ويوجد شاهد المهندس جبرا ومعه شخص آخر والمعلم، هؤلاء شاهدين على كلامي

- وما هي قصة الديسك (الشفرة) الموضوع عند التمثال من تحت؟

- هذا عم يعملوا التمثال لأبونا الياس، غلط أم لا! لا أعلم! من المعلم! بيروح (الديسك) ويضربه على صدره هنا، وعلى أساس أنه راح 100 شقفة على صدره.

- وعم يدور الديسك؟

- نعم، عم يدور الديسك، وهذا موجود ومزق قميصه قطع قطع،

يعني شفت الديسك قدامه، وهو قال الرجل كتر خير الله. يعني علك الصاروخ بيده، علكها، وشادد عليها،...

يعني شادد على صدره عليه، لازم يطير صدره، ماني غير قميصه طار (وهيدا هو)، والشفرة موجودة والرجل شاهد!

9) **الصيدلي وسام عازر**

عرفت عنه قصة الباص الذي رفض أن يُقلّه عندما كان يقف وحيداً على جانب الطريق في ليلة مطرية عاصفة، تعطل الباص بعد أن تجاوز الأب الياس بقليل، ولم تفلح جميع محاولات صيانته إلى أن طلب أحد الركاب من السائق أن يذهب ويدعو الأب الياس للصعود إلى الباص، وهكذا كان، فتحرك الباص.

قُدِّر لي أن ألتقيه مرةً واحدة، دخلنا إلى مكان إقامته في بيت صغير ملحق بكنيسة الخراب، كان الباب الخارجي مفتوحاً... وأجزم أنه لم يغلق منذ سنين، ولم يُسأل أحدٌ من الداخلين عمّا يفعلون... كان بيتاً للجميع، تماماً مثل الكنيسة المجاورة...

10) **نضال يوسف سكاف**

في يوم من أيام الشتاء الباردة والماطرة طلب مني الأب الياس يعقوب رحمه الله أن أحضر لعنده كوني معي سيارة حوالي عام 1993 أو 1994 فذهبت لعنده وكان يوم مساءً والمطر ينزل فأخذ يملئ صندوق السيارة ببعض الأكياس والمقعد الخلفي. وركب أمامي فقلت له أبونا لم تغلق الباب خلفك (باب الدير). فقال لي "يا... لماذا أغلق الباب؟ يللي ما عندو شي ما بخاف على شي... يللي بحاجة لفرشة يوجد عدة فرشات فيأخذوا ما بحاجة له... يوجد تلفزيون صغير، أنا لا أحضر التلفزيون إذا بحاجة له فيأخذه" وهكذا ذهبنا يوزع الأكياس إلى المنازل بعضها يدق الباب، والبعض الآخر يضعهم على الباب أو العتبة.

11) **السيد خليل معوض**

رحمة الله على الأب الياس يعقوب

كان أخ وأب للرعية بالكامل ومن خلال وجودي في الرعية فقد تولدت علاقة مميزة بيني وبينه ولازمته فترة طويلة في آخر سنواته وكل ما كان يطلبه أقوم بتلبية طلباته البريئة وهي تعود لخدمة الرعية والوقف وقد ساعدته ببناء جزء من الدير الحالي في الخراب وقد دفع لي كافة الكلفة وكذلك كان همه دير مار قبيان وقد بدأنا بتلبيسه حجر على حسابه ومساعدة المحسنين وقمت بكل ما طلب مني من أجل ذلك وكان جزء من همومه.

وكذلك كان يقوم بدورات تعليمية في الرعية للشباب والبنات وتأهيلهم للعام الدراسي وهمه الكبير علم الرعية كاملة وتوعيتهم وزرع حب الوطن وبلدهم بالذات والإخلاص للجميع وهذه هي ميزات الخوري المحترم الياس يعقوب وأكثر من ذلك بكثير.

وقد كان يقوم بزيارة جميع الناس المتبرعين ويطلب منهم مساعدة الرعية داخل سوريا وخارجها وكانت التبرعات تأتيه من كل طرف وجميعها تصرف لصالح الرعية وآخر همومه كان نفسه والاهتمام بذاته لأنه يعتبر ذلك من توافه هذه الحياة وقام بأعمال الخير الكثيرة في الرعية ولا يمكن أن نذكرها ونعددها.

هذه كانت ميزات الخوري الياس يعقوب المحترم.

شهادات مكتوبة ومؤرّخة

1) **هدى اسافو**

حررت في اللاذقية بتاريخ 22/**تموز**/2008
عن لسان السيدة هدى أسافو والدة الصبية (دامو اسافو)
حيث سردت القصة عن مرض ابنتها وطريقة شفائها قائلة:

نامت ولم تستيقظ... **وذلك صباح** 1996/10/27

إثر إصابتها بوعكة صحية ظنناها نزلة برد أو ما شابه ذلك فنقلناها إلى المشفى "الأسد الجامعي" باللاذقية فتبين أنها واقعة في غوما "غيبوبة" حيث أجريت لها الإسعافات الأولية وبقيت هناك خمسة أيام ولم يطرأ أي تحسن عليها، بالعكس ازدادت سوءاً وذلك مبين بالتقرير الطبي المرفق وانقطع الأمل من شفائها. وبعد نصيحة الأطباء الأخصائيين نقلناها "المريضة" بسيارة إسعاف وبرفقة طبيبين أخصائيين مع المستلزمات الطبية الكاملة إلى أوتيل ديو في مدينة بيروت.

نظراً لحالتها المتدهورة والخطيرة لم يستطع الأطباء في مشفى أوتيل ديو إعطاء أي تقرير عن حالتها فقاموا بواجبهم على أكمل وجه. كانت المريضة بكامل أعضائها تعمل على الآلات ما عدا القلب كان طبيعياً ولا مجال هنا لذكر التفاصيل الطبية الطويلة والمرهقة والقاسية، وبعد أن سكنت فراشها غائبة عن الوعي في ذلك المستشفى ولمدة إثنا عشرة يوماً وبدون تحسُّن.

فقاموا المذكورين: السيدة ماغي قدسي+ كوليت اشخانيان الملقبة بام اسبيرو + الاب مشيل قندلفت كاهن رعية اللاذقية للروم الكاثوليك "كنيسة البشارة". ذهبن مع الكاهن بناء على طلبهم إلى الخوري الياس يعقوب في منطقة الخراب مصطحبين معهم صورة المريضة وذلك في تاريخ الخميس 14/**تشرين ثاني**/1996 **وطلبنا من الخوري الياس يعقوب**

أن يقيم الصلاة عن هذه المريضة الموجودة في أوتيل ديو في بيروت. فصلينا على مذبح العذراء في سيدة البحار في رعية الخراب، فقام الأب الياس يعقوب بإشعال الشموع ووضع صورة المريضة عند أقدام السيدة العذراء المنتصبة هناك وذلك الساعة 12:00 ظهراً من يوم الخميس في 1996/11/14 فبعد الصلاة قال الأب الياس يعقوب راجياً:

يا ست ماغي أرجو أن تتركي لي صورة الفتاة لأتابع صلاتي وبإذن العذراء مريم فهي ستشفى الآن.

والأعجوبة في تلك الساعة وذلك التاريخ فتحت الصبية عينيها واستعادت حياتها الطبيعية وكأنها لم تكن في خطر ومشرفة على الموت وفي العناية المشددة، كانت فرحة الأم والبنت كبيرة لا توصف.

وبعد شهر عدت إلى سوريا فاستقبلتني السيدة ماغي قدسي وبرفقتها أم سبيرو وقالوا لي: في التاريخ 1996/11/14 صلينا لابنتك في الساعة 12 ظهراً وقال لنا الأب الياس يعقوب إنها معافاة بقوة العذراء.

فأجبتهن: إنه توقيت فتح عينيها واستعادة الحياة لها، هللويا المجد للرب.

ففي زيارة لاحقة للأب الياس يعقوب أخبرناه عن الشفاء الكامل للصبية فهز رأسه قائلاً: إني أعرف أنها تعافت فالعذراء لا تتركنا لا تخافوا.

فالشكر والمجد لله والشكر للأب الياس يعقوب على شفاعته لنا. شكراً

السيدة هدى اسافو السيدة ماغي قدسي السيدة أم سبيرو

والدة الصبية أحد المصلين للطفلة اختها الميتة منذ 3 سنوات

من تاريخه 22/تموز/2008

التقرير الطبي:

ط ٨ نموذج ٥

رقم ٢٨١٩٦

إلى السيد رئيس

خاص بالموظف

السيدة دامو ساغو

سنة تعيين ساغو

رقم الإضبارة ٥١٠٧٤

قبول إسعاف

تاريخ الدخول ٢٧/١٠/١٩٩٦

تاريخ الخروج ٢١/١١/١٩٩٦

توقيع الطبيب

الى سيادة المدير

دخلت المريضة دامو بنت سعيد ساغو ١٣ سنة مصطحبة الى العيادة الخارجية بتاريخ ٢٧/١٠/٩٦ لاصابتها بحمامي عامة سكرية وقصور كلوي حاد كما حصل لديها التهاب رئة ونقص السكر شديد مما اضطر لوضعها على جهاز التنفس الاصطناعي.

استمرت حالة المريضة بالتدهور حتى توقف القصور الكلوي واستمر السبات العميق وزادت الاصابة الرئوية سوءاً. مما اضطر لنقلها الى مركز اوتي ديو من بيروت لمتابعة العلاج بتاريخ ٣١/١٠/١٩٩٦

د. كمال الدين

رقم ٢٨٩٦٨

التقارير الطبية ذات قيمة

١٥ ل.س

2) **السيد جمال يوسف**

ملخص موجز عن علاقتي مع الأب المرحوم الياس يعقوب مني أنا الأستاذ جمال أسعد يوسف.

تعود علاقتي مع الأب الياس إلى مرحلة الشبيبة، فنحن أولاد قرية البساتين. ولدت في دمشق وتعلمت الابتدائي والإعدادي والثانوية والجامعة في دمشق.

كنت آتي في الصيف لإمضاء العطلة الصيفية في القرية. وكان الأب الياس يستفيد من خبرات المصطافين في تعليم أولاد القرية ونشاطات روحية مختلفة كنت أشارك فيها. بعد أن أصبحت من المقيمين في طرطوس، صار الأب الياس بالنسبة لي الأب والصديق والرفيق، حيث كنت ألتقيه كل أسبوع، وكان يبوح لي بكل صعوباته. طلب مني تعليم أولاد الخراب التاسع والبكالوريا لغة انكليزية. وكنت آتي إليهم مرتين أسبوعيا. وكانت الدورات مجاناً. كان يقول لي: أهل الخراب يهتمون بتجارة البندورة أما التعليم فآخر اهتماماتهم.

من خلال زياراتي الأسبوعية للأب الياس، كنت أرى ضباطاً من الجيش مع عائلاتهم، أو مسؤولين من الحزب، يأتون إليه للتبرك وليصلي على مرضاهم.

الشيء الذي أثار انتباهي، أن الخوري الياس كان يمتاز بقوة إيمانية وثقة بربه تجعل كل من يأتي إليه يثق بكلامه وصَلاته وشفاعته، وينال ما يسأل، وبصورة سريعة وعجائبية، في حياتي كلها كانت لي علاقة واسعة مع كهنة كثيرين سواء في دمشق أو كهنة لبنانيين أردنيين وكهنة الأبرشية كلهم.

كان الخوري الياس يمتلك هذا الإيمان الكبير بأمنا العذراء والرب يسوع، ويقول للمحتاج الآتي إليه "بإذن العذراء والرب يسوع بكرا بتشفى، لا تخاف".

هو لا يتكلم عن العجائب والشفاءات بنفسه، كنت اسمعها من أصحابها.

مرة كنت معه في كنيسته الصغيرة في الطابق العلوي /الكابيلا/، أخذ صورة صغيرة للصوفانية ووضعها عند باب القربان، وقال: نصلي على نية كمال وجمال، وخلال دقائق رشحت الصورة قطرات من الزيت.

طلبت منه أن يكرّس منزل أم يعقوب، الذي كان يرشح الزيت من تحت سرير ابنها الطفل يعقوب، إذ كانت قد حدثت ضجة في طرطوس وتابعها رجال الأمن. عندما حضرت مع الأب الياس وصلى وكرّس المنزل، توقف الزيت من تحت سرير الطفل، وأصبح يرشح من إيقونة مقدسة.

كنت أحضر معه سهرات إنجيلية في الخراب، حيث كان يجتمع أقرباء صاحب المنزل، الذي ستتم فيه السهرة الإنجيلية، فكان يلقى كل الاحترام والوقار والمحبة. الكثير يأتي إليه ليصلي على المياه ويأخذونها إلى بيوتهم.

أحياناً كنت أعطيه أمانات مالية، فكان يفرح ويقول جاءت بوقتها فيتصل للحال مع أحد المرضى، ويقول تعال خذ النقود للعملية أو الدواء. وعندما كنت آخذ له ملابس ليوزعها على الفقراء والمحتاجين، كان يفرح فيقول: "أن تُلبس فقيرا خير من أن تُطعمه". مرة قلت له لديك أقرباء فقراء، لماذا لا تعطيهم من هذه الملابس؟ يقول لي: أقربائي كل له عمله. هناك فقراء لا يعملون، وبحاجة ماسة أكثر لهذه الثياب".

كان همه أن يلبّس الفقراء بمناسبة الأعياد. ويحسب كل عام ألف حساب ليؤمّن هذا الوعد الذي أخذه على نفسه ليجلب الفرح لهم، فكان يقول لبس 200 فقير أو ما يزيد، بيته كان مفتوحاً للكل، كل من كان يسأل يَنلْ. تعرض للسرقة مرات عديدة، وكان يقول للص إذا ما صادفه "خذ ما تجد". كان يكره حمل النقود. كان يؤمن بالمثل "أعطِ يُعطَ لك". كانت فرحته أن يُفرح الآخرين، وعندما كان يأتيه الضيوف ويُجهز الطعام من قبل الأحباء كانوا يأكلون السمك أحياناً أو الفراريج المشوية، أما هو فكان يأكل اللبن والخبز وهو مبسوط.

تعرض لحوادث كثيرة كادت تعرض حياته للخطر، لكن العذراء كانت تحميه وكان يتكل عليها في كل حياته.

كان متحدثاً في التاريخ والآثار والأنبياء واللاهوت، لذلك كل من كان يأتي إليه، كان ينسى الوقت للاستمتاع بحديثه.

كان يحزن كثيرا للآثار المسيحية الموجودة في كل مكان، وليس من يهتم بها، على أهميتها في الماضي وضرورة متابعتها في المستقبل. ولولا تدخله في مار إبيان، لضاع هذا المزار الأثري العريق والمهم.

كان رجل صلاة وإيمان، يهرب من كل متع الحياة ليحمل كل العالم، وخاصة رعيته ومن يطلب منه، بصلاته.

قبل وفاته بيوم واحد كنت معه في بيت أبو سالم ضوميط، بسهرة إنجيلية. كنت انتبه إلى أن أهل الرعية بمجملهم يشعرون بالأمان والسلام، لأن الخوري الياس كان كقديسهم الحامي والمدافع عنهم.

لا يمكنني أن ألخص مسيرة ربع قرن مع الأب الياس، وما فيها من أحداث رائعة وأمور تجعلك تشعر أن الله موجود فعلاً. إنما سلطت بعض الأضواء على ما عشته مع هذا الكاهن الفاضل الذي اذكره بصلاتي يومياً، آملاً أن الرب يمن علينا بقداسته، ليكون عبرة لكل من يلبس ثوب الرب ويكون كاهناً أميناً للرب.

طرطوس 25 آب 2009

3) الأب طنوس أبو مراد

« شَهَادة شَاهد، شَاهَد استشْهاد شَاهد، شهد بحياته للشاهد والشهيد الأعظم، الرب يسوع المسيح ابن الله الحي.

الكهنوت هو إبداع المحبة، ومن المحبة صدرت دعوة الكاهن وحياته الكهنوتية بأسرها. الكاهن، رجل الله، هدف حياته عبادة الله، لا يتوخى إلا الله، ولا يتدارس إلا الله، ولا يتحدث إلا عن الله، ولا يخدم إلا حباً بالله،

وبالإضافة إلى كل هذا مسيرته الكهنوتية، لا داعم لها إلا صلاة وشفاعة وتوسلات مريم، أم الله، والكاهن الأوحد الرب يسوع المسيح، هذا ما خبرته عن الأب الجليل الخوري الياس يعقوب في مسيرته الكهنوتية الروحية.

ثلاثة عقود من الزمن تقريباً عشتها معه، أول سنه لي معه كانت قربانتي الأولى من عن يديه، وآخر سنة لي معه كانت سيامتي الشدياقية، ومن على يديه تقدمت إلى دير مار مارون في غزير - لبنان، لأصير بنعمة الله كاهناً، فعلى يديه كنت إحدى البذار التي زرعها هو في الأرض الطيبة فنبتت.وسقاها الزمن في الزمن، والآن لا يزال يسقيها من خارج الزمن.

أول خبرة لي معه في الصف الرابع وبعمل مسرحي بسيط هو الراعي الصالح، فيها أذكر تماماً أنه قال لي: ما رأيك أن تكون راعياً - حسب دوري في المسرحية - خجلت، هربت، انسحبت من أمامه، لأني لم أفهم أي شيء حينها، وأما الآن فأفهم، وكأني بها نبوءة منه أن أصير كاهناً راعياً، عن فعل حب كاملٍ صادر عن قلب الله، وعن غير استحقاق في أنا الخاطئ، فالله يريد رعاة وفق قلبه (إر 5:3) وأين أنا منهم؟؟

آخر خبرة لي معه في الزمن كان سؤالي له: سوف تحضر سيامتي الشمامسية في تموز القادم (2006/7/8)، فكان السفر المبكر إلى عرس المجد السماوي في 2005/12/14 تذكار القديس نعمة الله الحرديني، ليدعو كل القديسين لحضور سيامتي ومباركتها، وبالتأكيد هو وهم وجوق الملائكة حضروا السيامة بعيون الروح، لأن فرح السماء بخاطئ يتوب.

رافقني طوال العقود الثلاثة من حياتي، فكان الأب والمربي والكاهن والمعرّف والمثقف... وأكثر من ذلك، خبرت فيه اتكاله الرائع على العناية الإلهية مختاراً التجرد شبه الكامل.

فذات مرّة دخل إليه أحد الفقراء وعلى يديه طفلة مريضة وكان لديه من المال فقط 500 ل.س، وطلب ذاك الفقير بعض المال، هممت لأعطي أنا، فانتهرني قائلاً لي: هذا عملي، فأعطاه 200 ل.س، وبقي معه

ما بقي، وبعد أقل من نصف ساعة أتى آخر يطلب المال، فأعطاه الباقي فقلت له: كيف تذهب الآن إلى كنيسة مار ميخائيل والدرب بعيدة، فقال لي: الله يدبّر.ودخل هو ليرتاح قليلاً، مع أنه لم يكن يعرف الأمر - وإذا بشخصٍ يدخل دار الكنيسة، ويقدّم لي مبلغاً من المال قائلاً: أعطه للأب الياس! وعندما عاد الأب الجليل الياس يعقوب قلت له تفضل هذا... فقال: الله يدبر.

مرّة أخرى وبنفس الطريقة تماماً، أعطى كلّ ما لديه، وأنا موجود، وبعدها بوقت قصير جداً، وبذات النهار، عوّض الله عليه أضعافاً وأنا رأيت المبلغ الكبير بعيني... وهكذا اختبر كلمة المعلم: مجاناً آخذتم مجاناً أعطوا (متى 10: 8).

خبرت لديه: ثلاثة أصدقاء، وثلاثة أعداء، وصديقة واحدة، أصدقاءه الثلاثة المزود والصليب وبيت القربان، وأعداؤه الثلاثة: الشهوة والسلطة والمال، وصديقته الوحيدة مريم سيدة البحار رفيقة عمره وأمه المربية منذ أتاها بالجسد، إلى يوم رحل منها بالجسد ليلتقيها هي بعيون الروح.

المذود: كانت ليلة الميلاد عنده، سهر مع القربان أمام بيت القربان، وبجانب طفل المغارة غير هيّاب بالبرد والجوع و... وكان يرى سر الفداء في عمق سر التجسد والحب الإلهي، وكأني به خوري آرس يقول أنظر إليه في بيت القربان وهو ينظر إلي.

الصليب: حمل صليبه المعدني طوال ثلاثين سنة تقريباً في ظهره، والرب حمل صليبه الخشبي مُعاناً من سمعان القيرواني لساعات بين أورشليم وجبل الجلجلة، وهكذا أعطاه الرب القائم القدرة الفائقة على احتمال الشدائد التي لا يقدر عليها بالمطلق بمفرده، لقد أحب صليبه كثيراً، وقد تجلى هذا الحب بالخدمة المتواصلة الدؤوب وخدمة الأسرار، فقد جعل من كرسي الاعتراف بيتاً له يستقبل ناشدي الراحة والسلام الداخلي، فكانت ساعات عمره الطوال على هذا الكرسي، وسر

الأفخارستيا في ذبيحة يومية دون انقطاع مع الرعية، وهكذا كل الأسرار وأشباهها وخدمة البشر... كان الصليب سلامه الوحيد، به كان يطرد الشياطين ويقسم على الأرواح...

بيت القربان: القربان: كان شاغله الوحيد، غرامه الشافي، مرماه الأبدي، وما كان يتطلع إلا إلى الاتحاد به، كان سمير القربان كل يوم، إلى أن خَبِرَ التحدث إلى الرب في بيت القربان.

هؤلاء الأصدقاء الثلاثة، حبه لهم، جعله ينتسب إلى جماعة البرادو التي جعلت من المزود والصليب وبيت القربان شعاراً لها...

خبرته محارباً قوياً لثلاثة أعداء:

الشهوة: ما اشتهى شيئاً سوى لقيا الله والصليب والقربان، وكان أكله المادي شهوة لعازر على باب الغني وكأني به يردد مع القديس الكبير مار أغوسطينس: سيبقى قلبنا متقداً ولن يرتاح إلى أن يستقر فيك يا الله.

السلطة: كان قوياً وقوياً جداً، على المستوى الديني والمدني، علماً أنه لم يحنِ رأسه إلا للصليب والقربان، لكن مسيرته الروحية الرائعة الصادقة جعلت الجميع وأنا منهم ومن كل أطياف البشر لوناً وعرقاً وديناً يجدون فيه الأب والمربي والخادم الأمين، وهذه كانت سلطة حبه للناس أجمعين، وحب الناس له.

المال: لو أنه اختزن كل ما كان يأتيه من هبات، لكان من أكبر الأغنياء، وهذا خبرته حقيقة معه، لكنه كان يرى غناه في ذاك الذي افتقر لنغتني نحن بفقره (2 قو: 9:8)، وهذا ما خبره بولس الرسول ليقول: أجرتي بالتبشير هي يسوع المسيح. كل ما كان يأتيه من المال كان لخدمة الكنيسة والفقراء دون تمييز بين عرق ولون ومذهب ودين، فكان كل بشر يرى فيه حقيقة: رجل الله، فقد ترك هذا العالم متجرداً عن العالم، وحتى عن غبار هذا العالم، والكل يعلم وأنا منهم أنه عندما رحل لم يكن يملك شيئاً أبداً من كل ما أعطي له، عساه يملك السماء فيعود إليه كل ما أعطاه.

صديقته الوحيدة: مريم سيدة البحار والجبال والفضاء ومليكة الكون، ولكن كما يقول بولس الرسول: لا أحد يعرف ما في الإنسان إلا روح الإنسان ذاته، هكذا أيضاً، لا أحد يعرف ماذا يوجد بين مريم والأب الجليل الياس يعقوب، إلا مريم والأب الياس والله. فالذي بينه وبين مريم، هو ما بين الابن وأمّه، وإن أردت التشبيه، فما بينه وبين مريم، هو ما بين مريم والتلميذ الحبيب، حين قال له الرب يسوع من على الصليب: يا يوحنا هذه أمّك، هو الأب الياس وجد بمريم أمّاً تحبه بالمطلق، وهو وجد بذاته ابناً لها يحاول أن يبادلها الحب بالحب قدر الإمكان.

هذا قَبْسٌ من حياءٍ، وبعض مما رأيته وعشته وخبرته عن الأب الياس يعقوب شخصاً، وأنا لم أعرف كاهناً، له هذا العدد من الكهنة الأصدقاء ومن كل رياح الكون الأربع، ولم يظهر هذا إلا بعد أن ولد ثانية إلى الحياة الإلهية، فالدموع المنهمرة من مآقي المصلين، كانت أصدق تعبير عن حب لا حدود له، يوم ترك الزمن إلى خارج الزمن.

جسدياً: كان طيف إنسان، وأما روحياً: فقد كان صابياً نحو القداسة لا غير...

جسدياً: كان رجلاً استثنائياً بجسده الصغير النّاحل وكأنه قُدّ من حجر، وأما روحياً فكان أيضاً بالحجم استثنائياً بملئه جميع قلوب عارفيه، لا بل ملأ الدنيا وشغل الناس...

بشرياً: كان خادماً، أميناً، محباً، متواضعاً... وروحياً، عاش بعطر القداسة وهو على الأرض فقد صار على لسان كل إنسان، وصار معظم الناس يقولون بصلوات الأب الياس شفيت، أو حلت مشاكلي، أو...

رحل ولم يرحل، سافر لكنه باقٍ إلى الأبد، ذهب ولم يودع، لأن اللقاء به دائم.

صادقة هي الكلمة معه، عاش مع المسيح فمات مع المسيح، ومن خبره يؤمن تماماً انه قام مع المسيح، جاهد الجهاد الحسن، وأكمل الشوط،

وحفظ الإيمان. فأقل ما يحق لي القول فيه: كان يجلس وحيداً، مفكراً بالوحيد، سابحاً في عالم الله، غائصاً في بحر النعمة، مسافراً عباب الإيمان، راجياً أن يلقى كلمات يعبر فيها عن حبه لله ولمريم، متأملاً بكل كلمة في الإنجيل، مصلياً لكل من أبناء هذا الجيل، وبصلاته لجميع الناس ما كان بالبخيل، كان لكل محتاج كالسامري في الإنجيل، هو المبشر والعامل بالإنجيل، ولطالما جهد بالبحث عن خراف من خارج القطيع، عملاً بقول السيد: ولي خراف أخرى ليست من هذه الحظيرة، عليَّ أن آتي بها هي أيضاً، وستسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد (يو 10: 16).

خبرت فيه راعياً وحّد الرعية، وكل من كان فيها من كل الأديان كان يرى فيه شخصاً يخصّه، فكان جميع الناس يقولون له وبالحب أيضاً: يا أبونا الياس.

خبرت فيه محارب البدع بكل ما أوتي من قوة الإيمان، ورجاء الخلاص وصدق المحبة، هكذا خبرت الأب الجليل والكاهن الفاضل الأب الياس يعقوب: الأب المحب، والمربي الجليل، والكاهن الساعي وراء قداسة رعيته وقداسة ذاته، والشيخ الروحاني، والخادم الأمين...

اعذرني أبتي الجليل الياس يعقوب: لك مني كل الحب ولكن، مهما تكلمت عنك سوف لن أقدر على إعطائك ما يحق لك. أنت الذي بعد أن اختبرت عذوبة وجمال الكهنوت، وحلاوة وطيبة الرب، قدمتني لأكون كاهناً على مذبح الرب.

وعدي لك أن أذكرك طالما رفعت كأس الخلاص، الذي رفعته أنت وأحببته وعشقته، وعدي لك أن أجدَّ السعي لأكون كاهناً لا يرضى إلا بالقداسة، صلّي لأجلي، أنا واثق أنك أنت ومريم والقديسين الذين غلبوا طرق الهواجس والذين جاهدوا مع هذه الحياة واحتملوا الشدائد، فغسلوا حللهم وبيضوها بدم الحمل، أنا واثق أن صلاتك رافقتني في سيامتي الشمامسية والكهنوتية، وأنا واثق انك أنت اليوم وكل يوم ترافقني وتسير معي جنباً إلى جنب.

صلاتي إلى الله الآب والابن والروح القدس وإلى مريم، أن تكون بين الذين رقدوا بعطر القداسة، وأن يُرفع أسمك يوماً على المذابح مع شربل ورفقة والحرديني، مع أن كثيرين من الذين رقدوا وهم قديسون ولو لم تعلن أسماؤهم، فيكفيك منذ الآن أن اسمك مدون في سفر الملكوت، مع الأحياء إلى الأبد، وانك من مواطني بيت الله وفي هويتك سُجلت:

ابناً للآب وأخاً للابن وهيكلاً للروح!

فيا من كللت بالمحبة أمك، ورفعت إليك أبناءك القديسين، أسألك بشفاعتهم أن ترفع إليك الأب الياس يعقوب ليكون معك حيث أنت تكون، هو كان خادمك الأمين، وأنت القائل: من يخدمني فليتبعني وحيث أكون أنا هناك يكون أيضاً خادمي (يو 12: 26). اجعله معك يا محب البشر فيكون خادماً لك في السماء، كما كان خادماً لك بين البشر، في البشر، لك المجد إلى الأبد، آمين.

شهادة الخوري طنوس أبو مراد بالأب الجليل الياس يعقوب

وهي خبرة حيّة معاشة يومياً مع هذا الكاهن الفاضل

خادم اليوم، وقديس الغد!

حررت في 2009/11/1 عيد جميع القديسين ليكون الأب بشفاعتهم كلهم من بينهم قديساً مثلهم.

"من أمام تمثال سيدة الجبل، في رعية مار جرجس، ضهر صفرا" »

4) **السيد سهيل مخ**

« باسم الآب والابن والروح القدس

تعرفت إلى الأب الياس يعقوب من خلال مخيم لشبيبة معلولا في الخراب عام 1978 وتتالت المخيمات إلى الخراب لأسباب كثيرة أولها المعاملة التي تلقيناها من الأب الياس ومن أبناء رعية الخراب.

والفرق الكبير بين المخيمات السابقة مع كهنة مختلفين ومع الأب

الياس يعقوب حيث كان قلبه الكبير يسع الجميع رغم ضيق المكان، وبيته المفتوح للجميع لكل من يحضر، حتى غرفة نومه لم تكن له وحده، أتذكر في إحدى المرات لم يكن يوجد مكان للنوم حتى الكنيسة مليئة فنمنا معه في نفس الغرفة.

كان بيته مفتوحاً للجميع مطبخه وبراده، كل من جاع يذهب ويأكل ويفتح البراد، وكل ما فتحت البراد تراه مليئاً حيث أن أهل الخراب يدخلون ويضعون الخبز والبندورة والخيار والشنكليش لأنهم يعرفون كاهن رعيتهم فهو الوحيد من الكهنة الذين أعرفهم لا يأخذ مالاً من أحد إلا لمساعدة الفقراء والمرضى والمحتاجين حيث كان لا يأخذ مالاً لا في جناز ولا في عماد ولا في زواج.

كان كاهناً متواضعاً صبوراً على الألم حيث كان يحول ألمه إلى فرح، رغم كل آلامه كانت الابتسامة لا تفارق وجهه تعلمنا منه المحبة تعلمنا التواضع تعلمنا الصبر على المصائب وتحمل الآلام تعلمنا منه الصلاة حيث تحولت مخيماتنا من مخيمات ترفيهية إلى مخيمات رياضات روحية.

في إحدى المناسبات وبعد أن تعمقت صداقتنا ومعرفتنا بالأب الياس يعقوب زار معلولا في عيد الصليب فأحب معلولا كما أحب تقاليدها وشعبها المؤمن زارنا في دمشق في العام 1982 وكنا في منزلنا مع الأهل والشبيبة التي كانت تزور الأب الياس دائماً وكانت أختي حامل في ذلك الوقت فقال الأب الياس إذا كان صبي أنا بدي عمدو وقال آخر أنا علي الخاروف وآخر الميكرو، وهكذا صار فولدت أختي طفلاً وأخذناه إلى الخراب وعمده الأب الياس يعقوب بمعاونة الأب جهاد ناصيف حيث كان كاهناً في رعية دمشق المارونية ومرشداً لفرقة معلولا آنذاك ومن بعدها تتالت الزيارات وتتالت اللقاءات، وكنا في كل عام يجب أن نكون عند الأب الياس ولو يومين حيث كان مرشدي الروحي أعطاني الكثير روحياً وتعلمت منه الكثير الكثير.

انتقل عنا لكن دائماً معنا، عندما نطلب شفاعته، عندما نحتاج إليه

بأمر مستعصٍ علينا، عندما لا نجد من نلتجئ إليه، نلتجئ إلى الأب الياس يعقوب. وكما كنا نجد عنده كل شيء قبل أن ينتقل عنا، بعد انتقاله حصلنا على نعم أكثر بشفاعته، بصلاته لنا، بتواجده معنا دائماً وأبداً وخاصة في المصاعب، فنحن الآن نصلي لنرى الأب الياس يعقوب قديساً حيث لمسنا قداسته وهو معنا في كثير من الأعمال التي كان يقوم بها، وشفاءات حصلت على يده، فنصلي ونقول:

يا رب... يا رب... يا رب...

أطلق يد عبدك الياس يعقوب ليقوم بما يجب أن يقوم به لكي تعلنه الكنيسة قديساً ونحن، حتى ولو تأخرت الكنيسة بإعلانه

واثقون بك يا رب أن يكون ذلك سريعاً رغم أننا واثقون من قداسته ولكن لتكن مشيئتك يا رب.

معلولا 2010/8/17 **سهيل مخ »**

5) الأب يوحنا جاموس

إلى أخي الأب الياس يعقوب

أسمح لنفسي ألا أناديك "بالأب المرحوم" وإن كانت رحمات الله قد حلّت عليك في حياتك الأرضية، وأنت لا تزال تتنعم بها في الأخدار السماوية وبشكل مضاعف وإلى اللانهاية لأنه هناك لا تعب ولا مرض ولا تشوُّه في الجسد ولم يعد هناك جهاد أو ألم ولا نكسات ولا معاكسات... بل حياة رؤية وحب وسعادة.

فإني لا أزال احتفظ في ذاكرتي وقلبي صورة جسدك النحيل المنحني كأنه تحت نير صليبٍ ثقيل ولكنك تحمله بكل شجاعة وقوّة ورجولة غير عابئ بضعفه وهزاله، فلا الأنواء ولا الأهوية ولا الأمطار تعيق مسيرتك نحو أية خدمة كنسية كانت أم اجتماعية، فكم من ساعات قضيت مشياً على الأقدام (حين لم تحصل على سيارة تقلك) لتنتقل من كنيسة سيّدة البحار في الخراب إلى كنيسة في الجميز، لكي تؤمّن

للمؤمنين الذين ينتظرونك للصلاة أو لاجتماع أو لسماع كلمتك عن المعلم الإلهي تعطيهم إياها في "أمسيات إنجيلية" تضمّ أهل الحي المتعطش ليستمعوا منك أنت بالذات كلمة تحياها في تعلق مستميت بهذا المعلم الإلهي وفي تشبه مؤلم وفي فقر وتجرّد لا شبيه لهما إلا في ذاك الذي عشقت وكرّست حياتك له ولكنيسته من أجله.

فإن أبواب منزل الرعية المفتوحة حتى في غيابك لكل عابر سبيل لدليل على استقبالك للجميع بتجرد كامل بقي "السطل"[2] عبرة لأهل المنطقة، ولسان حالك يقول لعابري السبيل "المنزل لكم، هلموا استريحوا، خذوا فنجان القهوة أو الشاي وإن البراد وما فيه حلال لكم فأنتم في بيتكم"، وكم استفاد الجيران من حنفية الماء الموضوعة في الباحة لكي يستجروا ما شاءوا من المياه حين تشح الماء لديهم.

أخي الأب الياس، مما يعجبني فيك هي تلك الكلمة الشجاعة الصريحة والواضحة الممتلئة حكمة من حكمة الإنجيل، وواقعية لكي تحسم نقاشاً أو تضع "النقاط على الحروف" أو تعطي رأياً يوجّه الجماعة، وقد نقلتَ الكلمة الحق في جميع المناسبات إن كان المستمعون مسيحيين أم من أخوتنا المسلمين أمِن الشيعة كانوا أم من الإسماعيليين أو السُنة بل كانوا يتهافتون على كلمة منك في أفراحهم وفي مآتمهم وأحزانهم ونكباتهم فكانت كلماتك بلسماً لجراحهم وغذاء لنفوسهم وتوحيدا لقلوبهم. جمعت بإنسانيتك وروحانيتك المسيحي والمسلم والإسماعيلي فقد كنتَ أخاً للجميع مثل بولس "يهودي مع اليهود ووثني مع الوثن وضعيف مع الضعفاء وحكيم مع الحكماء"، لذلك اكتسبت قلوب جميع أهل المنطقة من الرؤساء والمرؤوسين وممّن فرّقتهم المصالح والتيارات الفكرية والدينية والمذهبية.

---

[2] كلمة "السطل" هذه تشير إلى الحنفية الخارجية التي وضعها الأب الياس، بالقرب من الكنيسة، وقد وُضع تحتها سطل، كي ينهل من الماء كل عابر سبيل وكل محتاج... (المؤلف)

أخي الأب الياس رغم فقرك كانت المائدة التي تهيئها لضيوفك عامرة بما لديك أو بما يجود عليك أبناء الرعية من مؤن وطعام، كنت تبذل ذاتك مع ما تقدمه لنا مما لديك "فسمكات الأب الياس" صارت مشهورة لكل من زارك والمنامة لديك على أسرّة عتيقة كانت تجعلنا نشعر بتجرد المغامرة وفقر العائلة المقدسة وكل ما في الغرفة كان ينم عن البساطة والفقر والتجرد.

نسبوا إليك بعد رقادك بعض الخوارق الروحانية، فلم استغرب من الأمر بل حسبتُه طبيعياً لأن الله يكلمنا، كما كلَّم الآباء قديماً بشتى الوسائل والطرق لكي يقول لنا انه معنا يرانا ويرعى مصالحنا ويقودنا ويدلنا بواسطة أوليائه الصالحين إلى ما فيه خير لنا ومثال نحتذي به لئلا نيأس من ضعفنا فنتخاذل أمام الصعوبات والمحن.وكأنه يقول لنا من قلوبهم لا يزال في الأرض خير، وإن عاش هؤلاء قيم الإنجيل وهم بشر مثلنا فنستطيع نحن أيضا أن نحياها رغم ما يقال عن "فساد هذا العصر".

أخي الأب الياس أشكرك على ما قدّمت لرعيتك ولكنيستك ولمجتمعك ولنا نحن جماعة البرادو زملائك، من انفتاح وجرأة وقبول ومحبة ومثال صالح، وإني لأشكر الرب يسوع المعلم الذي جعلنا نعرفك ونعاشرك.

صلِّ لأجلنا يا أخانا الأب الياس يعقوب

حلب في 2011/1/15 أخوك في الكهنوت

أخوك في البرادو الأب يوحنا جاموس »

6) **الدكتور خليل بريقع**

« المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة

اكتشف اليوم أنني لم أعد استطيع الكتابة، لقد عدت أميّاً وذلك بفضل علوم الاتصالات الحديثة حيث لم يعد من داعٍ لكتابة الرسائل ولا المذكرات.

رحم الله الأب الياس يعقوب، وأرجو ان يكون من القديسين، لولا خوفي الكبير عليه من تلك المرأة اللابسة السواد، والتي عطف عليها في آخر أيامه.

ولكني كنت دائم الخوف منها عليه، فالأب الياس يعقوب قلبه محبة. وكلمة أن المحبة تصدّق كل شيء تنطبق عليه تماماً. ولا شك أن أمّنا العذراء أحاطته بحمايتها، فكان موته المفاجئ والمحزن جداً بالنسبة لي ولكثيرين، لأنه كان القديس الحي الذي ألجأ إليه في المصاعب، مسترشداً ومعترفاً وباحثاً عن البركة في سر الاعتراف وتناول جسد ودم ربي يسوع.

كلما لاقيته كانت تحضرني الطوبى لأنقياء القلوب...

كان متجرّداً متعفّفاً يحمل صليب مرضه كل يوم، ويقوم بالعمل والجهد الذي يقوم به أكثر الأصحاء قوةً، تماماً على مبدأ البابا يوحنا بولص الثاني، الذي تجاوز مرضه وظلَّ متابعاً جهوده.

عادةً وفي عملي كطبيب في قسم التجميل خاصةً، كنت لا أستطيع أن أنظر في وجه المصابين بداء ركلنغهاوزن لشدة ما يجعلهم هذا المرض قبيحين ومنفرين. أما هو فكنت انظر إلى وجهه وأنا مطمئن، أرى نور المسيح يشع منه رغم إصابته بهذا الداء. (داء ركلنغهاوزن وهو مرض جلدي يظهر بتشكل كتل دهنية تحت الجلد في كل أنحاء الجسم وخاصة الوجه، مما يجعل شكل المصاب مقزّزاً)

وأنا دائماً وحتى الآن، عندما أمر بأمر معقد، سواء كان في المعالجات الطبية أو في الأمور الاجتماعية، فإني استحضر صورته في ذهني، وتهون الأمور وتُحَل العقد.

ليلة موته اتصل بي وسأل عن أحوالي وعائلتي فرداً فرداً. ولما أبلغته عن قلقي على ابني الذي يدرس في أوربا، تفاجأت بأنه اتصل به هناك ثم عاود الاتصال بي، وقال لا تقلق، أموره بخير. وكان صوته كلّه حيوية وصحة (وأنا بخبرتي الطويلة في الطب، استطيع أن استنتج شيئاً عن حالة المتصل الصحية من صوته). ولذلك لم أصدق نبأ وفاته في اليوم التالي، ولكني لا أشك في أن العناية الإلهية قررت هكذا.

كنّا نصلي ليسوع ولأمنا العذراء وكنت أشعر بالسعادة عندما نصلي

معاً، لأن صلاته بسيطة، وصوته أكبر بكثير وأقوى بكثير من جسده، وفيه نبرة الواثق من إيمانه، الواثق أن يسوع وأمنا العذراء يسمعان ما يقول، بل هما حاضران. ولشدة تقديري لقداسته، لم أكن اهتم بقصص الشفاء الكثيرة التي تجري بواسطته، لأن كل قصة تتطلب البراهين والدراسة، ولكن ارتياح الناس لها كان مفرحاً.

ولكني استطيع أن اروي قصة حصلت بحضور زوجتي سهام وأختي ماري، حيث كان يأكل اللبنة من صحن صغير ويغرف بالخبز ويأكل حتى انتهى من رغيفه. وقد انتبهت أختي ماري أن الصحن لم ينقص أبداً وعندما انتهى قالت له: يا أبونا لقد أكلت كثيراً ولكن اللبن لم ينقص أبداً. فشكر الله ضاحكاً، وهكذا كانت تفيض البركات على يديه.

أما أنا فكنت أشعر بالشفاء الروحي عندما أمارس سر الاعتراف عنده، وذلك لفرط رقته وصدق نظرته وحرارة صلاته.

لقد دعاني عدة مرات لقضاء بضعة أيام عنده، لنزور الضيع كلها ويطلعني على تاريخها السرياني. وكنت أؤجل ذلك لوقت لاحق. وهذا ما آسف عليه، لأنه ذهب قبل أن أجد الوقت لهذه الزيارة التي كنت أعتبرها غالية على قلبي للنهل من معارفه وثقافته فلقد ذهب وهو الأصغر مني سناً.

أصلي في كل قداس احضره مع الأب زحلاوي لأجل الأب الياس يعقوب، لأني أعرف أن الأب الياس زحلاوي يذكره أيضاً في كلّ قداس. ولذلك أحاول أن أكون متحداً معه في الصلاة لأجل الأب الياس يعقوب، كي يظهر ربنا فيه مجده ويفيض نوره وتظهر قداسته بشكل رسمي معترف به.

رحمنا الله وحفظنا أجمعين دمشق 2011/3/27 »

7) النحات مهند سليمان

بداية أعرف بنفسي:

النحّات مهنّد أحمد سليمان، من الوجهة الدينية ولدت في وسط عائلة اعتنقت الإسلام وتحديداً (العلوية)، كما لا أعتقد بدين منفرداً بل اعتقد

بوجود خالق مالك للقوة الراسخة التي ترأف بحالنا وتتلطف بنا في أوقات مختلفة متباعدة أو متقاربة، فنقرّ بوجود الخالق عنوة أو طواعية وتستحق هذه الأحداث الوقفة والتأمل بوجود الخالق ورأفته بحالنا.

قد لا أنتمي للدين المسيحي لولادتي بغير وسط، ولكن كل من اعتنقه كان بمنزلة تفوق منزلة الأخ. وممن فخرت بمعرفتهم الأب الياس زحلاوي - بسام نعمة - توفيق عجيب وأقاربهم وأصدقائي من معارفهم، إضافة لمحبي الأب الياس يعقوب.

وهذا التعريف مقدمة لذكر الأب الياس يعقوب، الأب الروحي لأخوتي وبالتالي بمنزلة أب لي لا أعرف من أين أبدأ ولكن ترابط الأحداث قد يذكرني ببعضها.

كان الأب الياس يعقوب ممّن سمعت عن طيب أعماله وقوتها من إناس عايشوه وعاشوا من حوله. تعرفت بهم من خلال أخ وصديق هو توفيق عجيب ولكن لم يتسنّ لي شرف لقاء الأب الياس يعقوب، إذ لم أعرفه إلا بعد أن ناداه ربه بجواره، حين طلب مني أن ألبي دعوة لبناء تمثال لشخصه كتكريم لذكراه أو بالأصح تكريم لمن كان من حوله، لتبقى صورته ماثلة أمامهم بعد غيابه.

بدأت العمل في كتلة رخامية كانت من أصلب أنواع الحجر وأثناء عملي بهذا العمل، مرت بي مواقف عدة كانت تترك عميق الأثر بالنفس، وتذكر بوجود قوة خفية ترعاني أثناء عملي وكي لا أطيل، سأذكر أحدها لكم، فكان من الأحداث التي لم أنساها لحد هذا التاريخ، وربما سأذكره لفترة طويلة نظراً لغرابته. فكان حينها أشبه بولادة جديدة لي، أو خلاص من عاهة مستديمة، الموت كان ارحم من معايشتها في حال إصابتي.

حديثي هذا للأمانة، ولما قد يعنيه هذا الحدث لي أو للآخرين، وكي لا يُنسى على طيات الزمن، فكان حق علي وواجب أن أدلي بشهادتي:

في تلك اللحظة وأنا أقوم بقص أصلب أنواع الرخام لأنحت التمثال فيه بالآلة المسماة "الصاروخ"، أرتد هذا الصاروخ بعنف عن التمثال متجهاً إلى صدري وأنا في وضع لا يمكنني من الهرب.

جال في ذهني آلاف الخواطر بأقل من لحظة، ولكنني تفاجأت وذهلت حين رأيت الصاروخ متوقفاً ويَعِنُ عاجزاً عن الدوران، إذ كان قد ارتطم بصدري، والتفّت عليه قطعة القماش التي أرتديها حتى جدلها كحبل وأوقفته عن الدوران، وهي ما تزال تلف جسدي وتحميه.

والسؤال الآن:

أيعقل للقماش البالي أن يقف نداً للآلة أو الديسك وهو يدور بأوج قوته وبأعلى سرعة له ما تمكنه من الفتك بالحجر وقصه، بل هل يعقل للقماش البالي أن يأكل من الآلة ويشوه منظرها، هذه الآلة التي تأكل الحجر.

وخوفاً من أن يبدو لي هذا الموضوع في تذكره مع الأيام كحلم لشدة غرابته واللامنطقية في تتابع الأحداث فيه. قمت بزرع الديسك المشوه المتآكل الأطراف (قرص معدني أو فيبر يركب على الصاروخ ليكون أداة القص) مع التمثال وفي قاعدته كشاهد أو كشهادة مني لما حدث في ذاك الوقت.

هذا كان من مجموعة أحداث خطيرة مررت بها أثناء تنفيذ هذا التمثال. وكنت أسلم منها بوجود تلك القوة التي تحميني. فأترك لكم وقفة التأمل والتفسير، مع دعائي لكم بالتوفيق وجزيل الشكر لكم.

كما أخص بشكري ومحبتي الأب الياس زحلاوي والأب الياس يعقوب

2011/7/21 **هاتف:** 0932177345 - **منزل:** 041810847

8) الآنسة ريتا جارالله

« أنا الموقعة أدناه، ريتا جارالله، أدلي فيما يلي بخبرة عشتها مع الأب الياس يعقوب. أكتبها بناء على طلب من الأب الياس زحلاوي:

في أواخر ثمانينيات القرن الماضي، بدأت جمعية أسرة الإخاء السورية

في دمشق ببناء مجمّع قرية "كفر سيتا" في منطقة الخراب لتكون مقراً للمخيمات الصيفية تستفيد منها كل أسر الإخاء المنتشرة في كل أنحاء سوريا وأيضاً كافة الفرق الكنسية والكشفية. كان الأب بولس سليمان متحمّساً جداً لهذا المشروع بالرغم من أن الجمعية لم تكن تملك الإمكانيات المالية لهكذا مشروع. ولكن اتكاله كان دوماً على العناية الإلهية بأنها ستدبر الأشخاص والظروف المناسبين لتحقيق هذا المشروع، خصوصاً أنه كان للخير. وكان للأب الياس يعقوب قسط كبير من الجهد والمساعدة بإقامة هذا المشروع وذلك عبر معارفه وأصدقائه من سكان المنطقة بحكم أنه الكاهن المسؤول عن المنطقة.

في تلك السنة، قررنا في نادي الطفولة السعيدة في "أسرة الإخاء - دمشق" أن نقيم المخيم السنوي للأطفال المعاقين في قرية الخراب عند الأب الياس يعقوب، في مقر الكنيسة (كان ذلك قبل بناء كنيسة "سيدة البحار").

تمت التحضيرات لمخيم مدته أسبوع، وانطلقنا برفقة الأطفال والشبيبة المتطوعة لخدمة الأطفال والترفيه عنهم. عند وصولنا، كان الأب الياس في استقبالنا مع لفيف من الأهالي الذين جاؤوا للترحيب بنا. خصص لنا أبونا الياس أماكن الإقامة، لكنها لم تكن تكفي فسمح للبعض بالنوم في الكنيسة. المفاجأة الكبيرة كانت أنه كان قد اتفق مع أهالي المنطقة بأن تقدّم لنا عائلة منهم طعام الغذاء يومياً وذلك بمبادرة منه للتخفيف من أعباء مصاريف المخيم لعلمه بأننا جمعية خيرية، لا نتقاضى من الأطفال المشاركين أي مبلغ مقابل مشاركتهم بالمخيم وذلك لانتمائهم بأغلبيتهم إلى الطبقة الفقيرة، وأيضاً كي يتفرغ فريق المطبخ للمساعدة في الاهتمام بالأطفال خلال النهار.

وكان لنا ذلك، ففي اليوم الأول جاءت عائلة من سكان الخراب حاملة معها حلل الطعام وشاركونا الغذاء. كان الطعام هو الأكلة الأكثر شيوعاً في ولائم الضيع السورية، وهو طبق البرغل مع الحمّص وقطع

اللحم والدجاج. وطبعاً، ولأن الكرم هو صفة السوريين، فقد كانت كمية الطعام كبيرة. ولأنه كان لذيذ جداً، أكل الجميع وغرفوا في أطباقهم أكثر من مرة، لدرجة أننا خفنا على الأطفال لأنهم لم يكونوا معتادين على نوعية الطعام الدسم في بيوتهم. وبالرغم من ذلك، زاد الكثير من الطعام، احتفظنا به لليوم التالي، ولكن دون جدوى، لأن الأمر نفسه تكرر في اليوم التالي، فالعائلة التي قدمت الطعام أرادت أن تحتفي بنا أيضاً فقدمت لنا كميات كبيرة من الطعام مما اضطرنا لأن نرمي قسماً منه لعدم توفر إمكانية الاحتفاظ بها.

ولأنني كنت المسؤولة عن ذلك المخيم، ولأننا لم نعتد رمي الطعام في القمامة، توجهت إلى أبونا الياس لألفت نظره لما يحدث وأسأله أن يطلب من الأهالي أن يقللوا من كميات الطعام المقدمة كي لا نضطر لرميه. فما كان منه إلا أن قال لي: "معليش، خلوا دود الأرض ياكل". استغربت كثيراً جوابه وخصوصاً أنه أتاني من كاهنٍ عُرف بتجرده وبخدمته للآخر، كيف يقبل أن نرمي الطعام، نعمة الله، في القمامة. ولكن لاحقاً فهمت أنه كان إنسان حساس على كافة المستويات، فهو لم يشأ أن يسيء إلى مشاعر الأهالي وكرمهم بالطلب إليهم أن يقللوا كمية الطعام، ومن ناحية أخرى، كان يفكر بكافة مخلوقات الله على الأرض مهما كانت.

خلال ذلك الأسبوع، كان أبونا الياس دائم التواجد والجاهزية لأي طلب أو مساعدة. كان يهتم بأدق التفاصيل لراحة الأطفال وتسليتهم. وكم كانت سعادته كبيرة عندما كنا ندعو الأهالي لحضور السهرة اليومية التي يحضّرها الأطفال والمشاركة فيها، فقد كان كأي أب حنون، يحب أن يرى أبناءه مجتمعين.

كان أبونا الياس من الأوفياء لظاهرة الصوفانية، وكان يحرص أن يدعو ميرنا في أكثر من مناسبة للإدلاء بشهادة حياة حول ما تعيشه من خلال هذه الظاهرة. كان لي شرف لقائه خلال مرافقتي لميرنا

لتلبيية الدعوات التي تتلقّاها. كان دائماً أبونا الياس كما عهدته أيام المخيم، بالرغم من ضعفه ومرضه، دائم النشاط، يحرص على الاهتمام بأدق التفاصيل لإنجاح هذه التجمعات ولراحة المدعوين مهما كان العدد كبيراً. كان أباً بكل ما في الكلمة من معنى.

بانتقاله، كسبنا شفيعاً جديداً لنا في السماء.

دمشق، في 2012/11/11 ريتا جارالله

9) **الخوري غاندي مهنا**

شهادة حياة

عندما تقدمت من الأب لويس البواري الذي كان رئيساً لكهنة البرادو في الشرق في النصف الثاني من العقد الماضي، لأعبّر له عن رغبتي بالانضمام إلى جمعية البرادو؛ والبرادو هو جمعية كهنة تعيش روحية الفقر الإنجيلي على طريق مؤسسها الطوباوي الأب أنطوان شفريه مستلهمة ما عاشه الرب المسيح في فقر المذود والعشاء الأخير والصليب بتتلمذٍ إنجيلي عميق بهدف التعرف على المسيح عن كثب في الإنجيل وفي وجه الإنسان الفقير. آنذاك طلب مني الأب لويس أن أتقدم بطلب خطي أشرح فيه لماذا أريد الانضمام إلى هذه الجمعية، أذكر عندها أنني كتبت له أنني لم أكن أعرف من هو الطوباوي أنطوان شفريه ولم أكن بعد مطلع على روحانية البرادو ولكنني أحببت البرادو من خلال كهنة كانوا يعيشون عمق روح الفقر الإنجيلي وكنت بعشرتهم أنجذب وأحب أكثر فأكثر وجه المسيح الفقير فأردت أن أكون مثلهم وأحذو حذوهم، وذكرت له أسماء بعض الكهنة منهم الأب الياس زحلاوي والأب بطرس خليفة والأب يوحنا جاموس والأب الياس عدس وخاصة الأب الياس يعقوب الذي عشت في منزله مدة من الزمن لا تقل عن سنة، ولكن لم تكن سنة كباقي السنوات، فقد أوكل إليه المثلث الرحمات المطران انطوان طربيه رحمه الله، آنذاك أن يستقبلنا ويختبرنا قبل إرسالنا إلى

الإكليريكية الكبرى في غزير، فعشت معه برفقة الإكليريكي منهل بولس والأب جوزيف بولس الآن.

كان الأب الياس ذاك الإنسان.

الفقير الغني، المصلي المتألّم، المصغي المعلّم، الفقير،

الذي اختار أن يعيش مثل أفقر الناس في رعيته، فقد سؤل يوماً لماذا لا تضع سجادة في غرفة الجلوس حيث تقضي معظم أوقاتك تستقبل الناس والبرد قارص وصحتك على المحك، فكان جوابه "أنه لا يستخدم السجادة في بيته لطالما هناك بيت واحد في الرعية لا يملك سجادة فهو يريد أن يكون مثل أبناء رعيته في فقرهم".

نحن نعلم أن الطوباوي أنطوان شفريه كان يستخدم في غرفته أثاثاً فقيراً، خزانة من خشب بسيطة وتخته عبارة عن لوح خشبي موضوع على عارضتي خشب ولكن لم نكن نعرف أن الأب الياس أيضاً رغم وجود قضبان البلاتين في جسمه وما كانت تؤلمه، يستخدم نسخته الخاصة من هذا الأثاث الفقير عينه.

ولما كنا نعيش معه كان يقول لنا أنه يشتهي اليوم مثلاً السمك المشوي أو ديك محشي أو غير ذلك، فنسرع بتحضيره على أكمل وجه معتقدين أننا سنفرح قلبه إذا اشتهى ذلك شهوة وأنّه سيكون سعيداً بذلك وسنكون نحن أيضاً سعداء أننا حضرنا له ما يرغب به ولكنه كان دوماً يفاجئنا فيبدأ بأكل القليل من اللبنة ومن ثم يقول لنا "شكراً كلوا أنتم السمكات فلا يصلح أن آكل اللبنة مع السمك يقال أن ذلك غير صحي"، لا أنكر أنني كنت أنزعج من ذلك ولكنني مع الوقت تأكدت أنه يشتهي ما يشتهي من أجلنا وهو يفرح جداً عندما يرانا فرحين وقد تلذذنا بما قدمه لنا.

الغني،

إنَّ فقر الأب الياس جعل أبناء الرعية يبادرون بتقديم الكثير مما لديهم، أما هو لم يكن يستبقي شيئاً إلى اليوم التالي يتصل سريعاً

بـبعض الأشـخاص المحتـاجين مـن رعيتـه أو مـن المنطقـة مسـيحيين أو مسلمين فيقول مثلاً: "تعى بسرعة لعندي يا إبني شـايلك كيليين لحمة أو ثيـاب جديـدة أو حـذاء غـير شـكل يـلاّ عجّـل نـاطرك" كـان النـاس يقولون: "براد الأبونا ساعة مليان ساعة فاضي، وبابو ما بيتسكّر أبداً" الأب الياس الفقير كان غنياً لأنه نسي يديه مفتوحتين لا تنغلقان إلا ليمسك بهما القربان على المذبح أو ليضمّ الإنجيل إلى صدره، فكان الله يملأها ويفرغها. عندما كنت أعيش معه علمت بمحض الصدفة أن ما وزّع على يده للفقراء تجاوز الخمسة عشر مليون ليرة، فقد قدّم له أكثر من مرة ثمن سيارة لتقلّه في عمله فأسرع ليفتتح لبعض المحتاجين محلاً أو مشروعاً زراعياً أو ليبني بيتاً لأرملة أو فقير ولم تقتصر عطاءاته على المسيحيين بل لكل إنسان مهما كان انتماؤه، حتى أن بعض أصحاب معامل الألبسة كانوا يرسلون له مئات قطع الألبسة الجديدة ليوزّعها على المحتاجين في كثير من القرى أثناء الأعياد.

نعم الأب الياس كان غنياً لأنه ترك الله يعطي في يديه بدون حساب.

المصلي،

كنا نستيقظ باكراً كلّ يوم لنجده وقد جلس أمام الكنيسة يتمتع بنسمات الصباح العليل ماسكاً بيديه السبحة يقلّب حبّاتها مراراً مصلياً لحبيبة قلبه سيّدة البحار ولا يملّ الصلاة فيعود من جديد يصلي معنا صلاة الفرض. لم يكن الأب الياس يصلي لنفسه وحسب بل كل الناس الذين يأتون من بعيد أو قريب يطلبون صلاته من أجلهم أو يطلبون منه الصلاة من أجل شفائهم أو ليبارك لهم كأس ماء فيشربون بإيمان ويقين أن فيها لهم الشفاء أو أيّ نعمةٍ يطلبونها، ألم تطلب منه يوماً أرملة وقد ابتلع طفلها دبوساً أن يصلي لها على كأس ماء لتشربه طفلها فتحميه من أي ألم، وقد خرج فعلاً الدبوس من جسم الصبي في اليوم الثاني دون أن يصيب الطفل أي أذى؟

كنت بعد في الثانية عشر من عمري عندما كنا في الإكليريكية الصغرى حيث علّمنا أثناء التأمل في الطبيعة أن نحاول سماع كل الأصوات وخاصة الأبعد منها غايته في ذلك أن نتعلم الإصغاء لصوت الله ونميّزه بين أصوات هذا العالم الكثيرة.

شكراً أبتي فقد علّمتني أن لا أصمت وحسب بل أن أسمع كلّ التفاصيل بعمق. أليس الإيمان من السماع.

المتألم،

في صباح ذاك الأحد كنت أساعد الأب الياس في لبس الثياب الكهنوتية قبل القداس وفجأة تشنّج كتفه فقذف يده متحاشياً التشنّج فإذا به يضربني على معدتي بقوة ويسبب لي ألماً شديداً فالتفت إليّ وقال: "آسف يا بني لم يكن هذا بإرادتي" وقد عرفت آنذاك أنّه يتألم كثيراً وبصمت بسبب قضبان المعدن في جسمه.

لم تكن تلك القضبان وحسب تتسبب بألم له فقد كان يتألم بسبب ضعف قلبه فقد أخبرني أحد الأطباء من أصدقائه أنّه يستغرب ويتعجّب كيف لا يزال الأب الياس قيد الحياة فقلبه ضعيف ومحاط بكيس ماء وإن أقلّ أزمة يمكن أن تودي بحياته. رغم هذا الألم ورغم القلب الضعيف كان الأب الياس صاحب قلب كبير ومحب وشجاع ولم يتأفف يوماً من معاناته.

المصغي،

إلى الآن عندما أزور الأب بسام الكاهن الذي شغل مكان الأب الراحل، أجلس في الأريكة المجاورة للتي كان يجلس عليها الأب الياس نسميها أريكة المعلم هذا المكان الذي كان يقضي فيه الأب الياس الكثير من الوقت كان يستقبل فيه الكثير من الناس الذين يأتون من كل حدب وصوب ومن كل مناطق سوريا ومن كل أبناء الديانات المختلفة ليطلبوا منه صلاةً أو إرشاداً وكان يصغي للجميع شابكاً يديه بجانب خدّه أو فوق ركبتيه ناظراً إليهم بحبٍّ وتمعّن، لتكون إرشاداته عميقة ومصيبة.

المعلم،

إن الأب فرنسيس فاندرلوخت اليسوعي قدوة للشبيبة في حماسه وحبه وإقدامه وكلامه العميق ولكنه لم يكن يفوّت فرصة يستطيع بها أن يجعل شبيبة المسير تصغي إلى اختبار هذا الكاهن في قرية الخراب إلاّ وينتهزها كان كل زوار الأب الياس يتعلمون من فقره وتواضعه فيحب كل من زاره مرّة أن يزوره مراراً وتكراراً لأن في بيت الأب الياس الكثير من الأشياء التي تدخل الفرح إلى القلب إنهم يشعرون وكأنهم في بيوتهم يتعظون بمثل الحياة. لقد مات الأب الياس وقبل موته لم تتجلى لي كل المآثر التي أعرفها الآن عنه ولكن بعد انتقاله إلى جوار ربنا يسوع في 14/كانون الأول 2005 عيد القديس نعمة الله الحرديني وفي عيد مولدي سألت نفسي هذا السؤال: لما أنا حزينٌ إلى هذا الحد على فراق عرّابي في الكهنوت. فكان الجواب لأني فقدت معلماً نادراً يعلّم بتواضعه وابتسامته وخدمته المتفانية وفقره الإنجيلي، دروساً لا تُعطى على مقاعد الجامعات ولا في مكان آخر إلاّ حيث يوجد روح الرب.

وداعاً أبتي الياس

إلى اليوم أزور بيتك في الخراب وأنظر تمثالك المنحوت في الصخر فهو لا يصبو إلى المثال الذي طبعته فيّ يوماً بعد يوم منذ سنة 1994 وحتى اليوم. صلي لأجلنا أبينا.

الخريبات في 2012/12/14، الذكرى السابعة لانتقالك إلى جوار الرب.

ابنك الروحي الخوري غاندي مهنا

10) الدكتور الياس ديب

كان من نشأة الخوري الياس يعقوب، في كنف طبيعة قروية جميلة مؤمنة، أن اتجهت تطلعاته كلها وجهة دينية روحية صوفية! فارتسمت حياته وأخلاقه وعلاقاته في دائرة المثاليات، التي تنظر إلى الحق والعدالة والخير والجمال والحرية والصدق... بهذه الخلال خرج الياس

يعقوب كاهناً في الساحل السوري، كصوت صارخ في البرية، لأنّ الماديّة التي بدأت تطرق أبواب الناس، هي على غير ما يريده هذا الكاهن المثالي، ولأنّ الحياة تختلف عمّا ينادي به، ويدعو إليه...

وعلى رغم هذه الصورة الأخلاقية البهيّة والسيرة الحسنة، لهذا الكاهن المذكور، فإنها لم تمنع من أن يُفهَم أحياناً على عكس حقيقته، فتتلوّن بعض مواقفه أو الأقوال المنسوبة إليه، بأصباغ كاذبة مدسوسة مشوّهة لما هو عليه... ومن الإنصاف أن أبادر إلى الاعتراف بأنني، أنا الياس ديب، والد الكاهن أنطوان ديب، قد ظلمت الخوري الياس يعقوب ذات يوم، بعد أن صدّقت وشايةً نقلها إليّ بعضهم ومفادها: أنّ الخوري المذكور، الذي كان يشغل منصب رئيس الدعوات الكهنوتية، قد حارب ولدي الذي كان إكليريكياً متدرِّجاً، وحاول فصله عن الكهنوت، وهذا بالطبع لم يتمَّ؛ لكنني بقيت على خصام مع الخوري الياس يعقوب، على رغم تودّده المستمرّ، واستغرابه من مواقفي السلبية تجاهه، إلى أن وافته المنيّة بعد حين، وتبيّن من أوراقه أنه كان بريئاً، إذ أتحف ولدي في صفحة خاصة، بالخلال الحميدة والصفات الحسنة الواعدة، على عكس ما وصلنا من أخبار ملفّقة. سامح الله الوشاة الكذبة، ورحم الله الخوري الياس يعقوب، الذي بتُّ أصلّي - على الدوام - من أجل راحة نفسه.

في 2013/5/27 د. الياس ديب

11) **المونسينيور أنطوان الياس ديب**

عرفته شخصياً منذ الصغر حيث كانت معظم رحلات مركز التعليم المسيحي في اللاذقية تتركز في الخراب عند الخوري الياس يعقوب كنت أرى فيه الكاهن المضياف المحب الكريم رغم أنّ شكله الخارجي كان يخيفنا كأطفال ولكن بعد أن نسمع كلامه وعذوبة حديثه الروحي نشعر بالطمأنينة.

المرحلة الثانية كانت في فترة الدعوة الكهنوتية حيث كنّا نتجمعُ كطلاب لاهوت عنده لقضاء بعض الأيام للراحة وبالأخص في فصل الصيف عندما نأخذ العطلة في إكليريكياتنا، كنتُ أعاين فيه التواضع والتقشف، كان يتصل بالصيادين ليحضروا لنا السمك الطازج وبأصحاب البيوت البلاستيكية لإحضار البندورة والخيار، وكلّ الأطعمة كانت تقدّم مجاناً للخوري الياس؛ كان يطعم خمسةَ عشرَ إكليريكياً وهو لا يتناول سوى البطاطا المسلوقة أو المشوية، وكنت أفكر أنه مضطرٌ صحياً على ذلك إذ يعتمد على تلك الأطعمة البسيطة، ولكن بعد رابع لقاء معه أخبرني أنه يبقى صائماً لأيام عديدة على نية المكرّسين وأبناء رعيته. على مكتبه تمثال صغير لجان ماري فيانييه (خوري آرس) وفي كنيسته الصغيرة أيضاً تمثالٌ آخر، كان شفيعه يقتدي به ويتمثل بحياته.

ترامى لي من بعض المبغضين أن الخوري الياس وراء مشروع إيقاف دعوتي أيام المطران طربيه. فقاطعته، ولم أحاول زيارته إطلاقاً. وكان يحاول إرسال عدة أناس لإخباري أنه يُحبني. وبعد أن ارتسمت كاهناً، التقيت معه في عدّة رياضات روحية لكهنة الأبرشية، في دير بعيت والتفاحة. وأكد لي أنه بريء من تلك التهم. وكانت المفاجأة الكبرى أنه، وبعد وفاته، حصل أحد الكهنة بطريقة ما على إضبارة ملف الدعوات الكهنوتية.

واطلعتُ شخصياً أنا والسيد نعيم يوسف، شقيق المطران مسعود، على محتوى الملف الخاص بي. وإذا به يَصِفُني بأجمل الصفات الإنسانية والأخلاقية والروحية، ويتمنى لي مستقبلاً زاهراً لخدمة الأبرشية والكنيسة الجامعة. فسلمت ذلك الملف للمطران مسعود، وعلى ما أظن لا يزال موجوداً في أرشيف المطرانية.

عندئذ عرفت صدق ذلك الكاهن القديس، الذي حاول أن يُظهر محبته لي عدة مرات، وأكد أن من حاول من بعض الكهنة نقل بعض الوشايات، هدفه إشعال الفتنة الكهنوتية.

أخيراً أطلب له الراحة الأبدية.

وأتمنى من كهنتنا التمثّل به والتشبه بحياته، لأن كنيستنا بأمس الحاجة لأمثاله.

وأشكر شخصياً حضرة الأب زحلاوي على هذا العمل الجبار، الذي يقوم به لتجسيد سيرة خادم الرب، المرحوم الخوري الياس يعقوب.

في 2013/5/27 المونسينيور أنطوان الياس ديب

خادم رعية الكفرون

12) **الأب جورج كيروز**

بونا الياس يعقوب.

عندما أرغبُ التحدث عن هذا الكاهن، أرى ذاتي أمامَ شخصية تجمعُ إليها، بساطة في العيش وطريقة التعبير، إلى عمقِ روحانيّة متجذّرة في الكيان. تواضعُه يأخذُك إلى عالمِ الله، معه لو أردتَ أن تقيِّمَه على مستوى الهيأة الجسدية، لوجدتَ ذاتَك في حضرةِ إنسانٍ ذي نصفِ جسد. "لا منظر فنشتهيه...".

إنه بونا الياس يعقوب، الكاهن ابن جمعية البرادو. عندما كنّا نزورُه كان يرحّبُ بنا في قلبِه قبل نُطقِ الشفتين بكلمة: "أهلا وسهلا". ما إن يرحّب بنا، حتى تمتزجَ مع الكلمة الترحيبيّة بسمةٌ نابعةٌ من عمقِ كيانِه وقلبِه، مزيَّنة بصدق المشاعر والعواطف الصامتة والهادئة.

عيناه كانت ترمُقُنا بنظرةٍ أبويّة تنفذ إلى أعماقنا، معها لا يمكنُ إلا أن تنتعش فينا العاطفة البنويّة تجاهَه، إذْ نرانا أمامَ أب حنون وشفّاف. وهذا ما يجعلُني أقول بأن تشوُّهَه الخَلقي قد كمّلَه بما تمتّع به من مزايا خُلُقيّة إلى جانبٍ كبيرٍ من روحانيّةٍ عميقة. لقد كان كريمًا ومضيافاً ولا شيء له. فقبلَ أن يوعزَ لشبانٍ من الرعية، بأن يمدّوا طاولة الخير والبركة، كان يسبقُ ذلك بأن يفرشَ قلبَه ليكونَ هو الوليمة

الأولى، وكـأنّي بالجملـة المـأثورة الـتي قالَهـا يومًـا الطوبـاوي انطـوان شفرييه، مؤسس "جمعيّة البرادو" فيه تتحقّق: "الكاهن خبزٌ يؤكل". إنه بالفعل كذلك.

لقـد لمسـتُ في شـخصِ هـذا الكـاهن الاسـتثنائي، وتنسّـمتُ في طبعِـه الكريم روحَ المسؤولية ولكن بكلّ صمت كما الملح في الطعام: لا يُكثرُ مـن الضجيج. ومـا يؤكّـد هـذه الحقيقـة هـو أنّ كـلَّ مـا في الرعيـة يسـيرُ كمـا يريد الرب يسوع بهدوء وسلاسـة، ووفـقَ مـا تـوعزُ إلى قلبِـه الأم الحنونـة مريم العذراء، التي اتخذها له شفيعةً مُشفّعة، "سيدة الخـراب". هـذه الأم تغمرُه ببركاتِها ونِعَمِها مـع كل شـرقة شمـس، وتلفُّـه بمعطفِها الأمـومي مع كلّ غروبٍ للنهار.

لم يكُنْ مُحبًّا للمال، ولا فرقَ عندَه سواءَ امتدَحَـهُ الآخـرونَ أم هجَـوه. بل كان مُحافظًا على سلامه الـداخلي نائيًـا بـه عـن التقلُبـات الخارجيـة التي تبثّها المزاجية منعًا من إثـارة الاضـطراب في نفسـه، فقـد كـان لشـدّة حساسيّتِه، يأنف الانجرافِ خلفَ الأقاويل والاستماع، إلاّ للكلمة التي في مكانِها، وبالمثل، فإنه لم يكنْ ليتحدث إلاّ ما جاء من نوافعِ الكلام.

وما أراه أشدّ تميّزًا في شخصه الكهنوتي المتواضع، هو أنه لم يكنْ من ذوي الذين يحبّون الأضواء، رغمَ مـا مـنَّ عليه المسيح يسـوع مـن مزايـا كهنوتيّة ملائكية، فما كـان منـها، إلاّ أن تزيـدَه تواضُـعا وبسـاطة. لا يعتـدّ بنفسه ولا يفاخر إلا بصليبِ ربّه.

وجدتُ فيه مِثالاً في الروحانيّة المشرقيّة، تعودُ بنا إلى قدّيسي البراري والآباء الذين عاشوا في الصحاري، فيما عبرَ من غابرِ الأزمـان. ولا أشـكّ بأنـه قـد تطبّـع بتلـك الروحانيّـة المؤثّرة. محبـوبٌ مـن الجميـع، مضـياف، صاحبُ بسمة دائمة، رغمَ مـا يحملُ في جسـده المشوّه والنحيـل مـن آلام وأمراض مُزمنة. أضفْ إلى ذلك أنه كان صاحبَ قلمٍ سيّال.

معه شاءتِ العذراء أن تُشعَّ بمجدِها كسلطانة البحر، فجمـع مـن كلّ

أرجاء أبرشية اللاذقية المارونية وغيرها، الأخويات والمؤمنين والكهنة والأساقفة، مواكبَ كانت تسيرُ مهيبة باتجاه المزار المشيّد على اسمها "سيدة الخراب" في خاتمة شهر أيار من كلّ عام، فأصبحت العادة التقوية تقليدًا سنوياً.

كان على علاقة وطيدة مع السيدة ميرنا الأخرس، التي كلّنا نعلمُ ماذا تعملُ العذراء بواسطتها، وما عِظَمُ النِّعم السماويّة التي أغدقتْها عليها وعلى الكثير من النفوس، منذ بدء ظهوراتها في الصوفانيّة. كما أن السيدة ميرنا قد حضرت إحدى التطوافات تلك، وأدلتْ بشهادة حياتها التي ضمّنتْها فحوى ومحور رسائل العذراء لها. وكانت كلّها تتمركز حول موضوع الوحدة: "أنا أمكم لا تقسِموا قلبي مرّتين بانقسامكم...

أما في الاجتماعات الكهنوتية التي كانت تُعقد بدعوةٍ من راعي الأبرشية سيادة المطران السّابق مسعود مسعود، في نهاية كل شهر، فقد كان هادئًا، مُتّزِنًا في آرائه، رصينًا في تعليقاته، لا بل وإنه في بعضِ الأحيان كان يلعبُ دور صمّام الأمان في حال نشوب خلاف على رأي ما.

فالشكرُ لحضرة الخوراسقف جهاد ناصيف، الذي عرّفني به إذْ كان يصطحِبُني معه لزيارته من وقتٍ لآخر.

وثانيًا لا يسعُني إلاّ أن أشكرك أنتَ أخي في الكهنوت، حضرةَ الأب الياس زحلاوي الذي شرّفني بأن طلب منّي خط هذه الأسطر كشاهد عيان لما خبِرتُه من معرِفَتي الشخصيّة، لشخص أبينا الكاهن الراحل الياس يعقوب. والكلام ليس كثيرًا، عندما يُسكبُ على مثلِ هؤلاء الخدّام الأمناء. وليَكنْ ما خطه قلمي لمجدِ الله وعلى نية تلمّس بركة كاهِنِنا القديس، البونا الياس يعقوب.

2013/11/13

الأب جورج كيروز - رعية مار شربل المارونية - عمان

13) الأخ الناسك توفيق عجيب، ناسك براد

شهادة الأخ الناسك توفيق عجيب، ناسك براد عن الأب الياس يعقوب.

عام 2006: بعد انتقال الأب الياس يعقوب إلى رحمة الله، قررت لجنة الوقف وكاهن الرعية إنشاء تمثال نصفي تخليداً لذكرى الأب الياس وتجسيداً لمحبته في قلوب مَن عرفوه. ولكن، ونظراً للثمن الباهظ جداً الذي طلبه النحاتون، طلبتُ منهم أي من لجنة الوقف وكاهن الرعية أن يتركوا الأمر لي، وقد فعلوا مشكورين. فاتفقت مع نحات شاب من مدينة جبلة يدعى مهند سليمان وكان واحداً من معارفي. وتجدر الإشارة إلى أن النحات مهند أصرّ على صنع تمثال كامل للأب الياس نظراً لما سمعه مني عن مزايا الأب الياس وطهر سيرته.

بدأ مهند بالعمل وكان يتصل بي من آن لآخر لكي يأخذ مني بعض التفاصيل التي تساعده في إظهار التمثال بأكبر دقة ممكنة، نظراً لكون الصورة وحدها غير قادرة على إعطائها.

وفيما كان يعمل ذات يوم، تعثر وسقط على ظهره فيما كان الصاروخ يدور بأقصى سرعته، فوقع الصاروخ على صدر مهند بالقرب من عنقه، ولما كان الصاروخ يدور بأقصى سرعته كما أسلفت، راح يلف القميص معه، واستمر الأمر كذلك إلى أن توقف الصاروخ عن الدوران.

من الممكن أن نصف ما حصل بأنه أمر طبيعي جداً. إلا أن ما هو غير طبيعي، لا بل خارق للعادة، هو أن مهند لم يصب بأي خدش وكذلك القميص الذي بقي كأنه لم يمسّ، فقط الديسك هو الذي تآكلت أطرافه بعمق سنتمتر ونصف.

وبعد أن اطلع خوري الرعية على الحادث، أصرّ مهند أن يعطيه الديسك مرفقاً بشهادته لما حصل لكي يحتفظ به في أرشيف الدير. إلاّ أن مهند أصرّ أن يحفر شقاً في قاعدة التمثال وينزل فيه الديسك الذي ما زال ظاهراً عند قدمي الأب الياس.

ولما قلت له يومها أنه يمكن للخوري ألاّ يوافق على ذلك قال: لم أقبض أي مبلغ لقاء عملي، وفي حال أصرّ على الاعتراض، سآخذ التمثال وأضعه في غرفتي.

عام 2004:

خطرت لصديق لي اسمه مصطفى رستم عبد الحي من إدلب والذي كان يعمل في الزراعة في مدينة جبلة الساحلية، خطرت لصديقي هذا أن يزرع البطيخ (الشمّام) في كانون الثاني ضمن بيوت بلاستيكية كان يستأجرها، على أمل أن يحقق سبقاً في إنتاج البطيخ المبكر، مما سينعكس عليه مادياً بشكل إيجابي. ومن المعروف أن هذه الزراعة المبكرة تحتاج إلى كمية أكبر من العناية كالتدفئة والأسمدة والهرمون وغيرها، إلا أنّ صاحبي لم يفعل شيئاً من ذلك، بل اكتفى بالسقاية فقط، ولم أكن أدري علامَ كان يتكل.

وذات يوم مررت به وأنا في طريقي إلى الأب الياس، فطلب مني أن أحضر له زجاجة ماء مبارك من عنده. ولما عرف الأب الياس بالأمر قال: "إن شاء الله بيعملوا معه فوق المليون". وعندما عدت، أحضرت معي الماء المبارك ورششته بنفسي في الهنكارات الأربعة.

ومرت الأيام... ونمى البطيخ لدرجة مدهشة مما دفع بالعديد من المحطات التلفزيونية المحلية والعربية والشركات الزراعية منها شركة "دبانة" التي أرسلت مهندسين بشكل دوري لمتابعة هذا الأمر الملفت للنظر. وقد كان المحصول من الوفرة بمكان لدرجة أن الأرباح فاقت المليون ليرة التي أشار إليها الأب الياس. وتجدر الإشارة إلى أن المزارعين في الجوار أخذوا من شتول البطيخ من عند صديقي، ونمت الغراس بشكل رائع إلاّ أنها لم تثمر مطلقاً، بالرغم من كل العناية التي بذلوها في سبيلها!!!

عجيب الله في قديسيه!

14) **السيد رزق بطرس معوض**

حوالي سنة 1995–1997 جرت حادثة مثيرة للاهتمام بجانب كنيسة القديس مار قبريانوس، تتعلق بقطعة أرض شرقي المزار، فقد أثارت هذه الأرض اهتمام الأب الفاضل الياس يعقوب، فسأل عنها وعلمَ بأنها ملكٌ لامرأة في قرية ضهر صفرا، تواصل معها محاولاً إقناعها ببيعها لمصلحة وقف المزار، فوافقت واتفقا على مبلغ ستمئة ألف ليرة سورية. ولكن حصل ما لم يكن بالحسبان إذ تقدّم لها رجلٌ مقدّماً مبلغاً أوفر ومغرٍ أكثر، فأعطته الأرض دون أن تقف عند خاطر الأب الجليل أو تخبره بالعرض الأوفر إن هوَ راغب بها أو يستطيع دفع مبلغ أعلى، مفضلةً بذلك، مصلحتها الشخصية ومكاسبها المادية على مصلحة الكنيسة ووقفها.

حرث صاحب الأرض أرضه الجديدة موفراً لها ما يلزم من السماد والماء علماً بأنها أرضٌ جيدةٌ وخيّرةٌ، وزرعها حنطة، حتى نمت وارتفعت من الأرض حوالي العشرون سنتي متراً.

وشاءت العناية الإلهية أن مرّ الأب الجليل بجانبها أثناء زيارته لمزار القديس قبريانوس، فوجد الأرض على ما هي عليه والزرع منتصب فيها فحزن جداً، وتأثر لأنّه كان يحلم بضمها لمزار القديس قبريانوس إذ تزيد من مساحته وتوفّر مدخولاً جيداً للوقف والرعيّة، فما كان منه إلا أن انحنى على الأرض وأخذ حفنة منها وألقاها على المزروعات قائلاً: "لا يخرجنّ منك ثمرٌ بعد الآن".

فكانت المفاجأة الكبرى، أن بقيت هذه المزروعات على حالها. فقد توقف نموها، ولم تعطي سنابلاً ولا ثمراً. هذا الواقع أدخل صاحبها في حيرة من أمره، لعلمه بأنّه أعطاها ما ينبغي من العناية والاهتمام. فلماذا لم تنمو مزروعاته؟ ولماذا الأرض التي بجانبها أعطت محصولاً وفيراً؟ أمّا هي فلا؟

وعند الحصاد طلب من العساكر المتواجدون بجانب الأرض أن يحصدوا له المحصول مقابل مبلغ من المال، وأثناء وجوده هناك كنت حاضراً فسألني: "يا أبو عقاب انظر إلى هذه الأرض وإلى الأرض التي بجانبها ألا يستدعي هذا المشهد الحيرة والتعجب؟"

فقلت له: "ألا تعرف السبب؟". قال: "لا أخبرني، ما هو السبب؟" فقلت له بأن الأب الجليل الخوري الياس يعقوب أخذ حفنةً من التراب وألقاها على المزروعات مردداً عبارة "لا يخرجنّ منك ثمرٌ بعد الآن". فما كان منه إلاّ أن ذهب إلى الأب الجليل مقدماً له الأرض مقابل المبلغ الذي دفعه للسيدة، فأكرمه الأب الياس يعقوب بمبلغ أكثر بقليل، فاستصحلها واستثمرها الخوري الفاضل ووضع فيها بيوتاً بلاستيكيّةً، كمشروع زراعي وها هي الآن تعطي بدل الحبة مئة، وبدل المئة ألف، حتّى تمّ تخصيص مردود في بناء دير سيدة البحار في الخراب.

تمجد الرب، من خلال أبراره، صلاته معنا.

2014/9/8

15) **السيدة الدكتورة نزهة الياس**

كانت تربطه "بأمّي" قرابةٌ لأمّها، عاشتْ تتمسّكُ بها طوال حياتها، بدت منذ اللحظات الأولى التي كانت تسجّل لديها تفاصيلَ صغيرةً في حياته. منذ مطلع اليَفاع حتى عمقِ الكهنوت لديه... فقد كانت ترى أنّ "الكاهن" نعمةٌ كبرى، لا يستحقّها يقيناً إلاّ "أمّ" الكاهن فلها الأرض والسماء... وكان وحده بكلّ الشفافيّة البالغة لديه وفيه ومنه حدّ الرهف يلتقطها بحنانٍ غريبٍ، يتبدّى في المجمَلِ من صورة "أمّي" في وجدانه، المطبوعة بالنموذج الذي يمتاز بالتفرّد ويقترب من مشارف الملكوت على الأرض... اكتشفنا كلّنا هذه الخصوصيّة أثناء رحيلها، فجر الحادي عشر من أيلول 1981 يوم رفض بعناد وإصرار أن يسمع تتمّة الرجاء الذي حملته شقيقتي الكبرى له بالتكرّم لإقامة الذبيحة الإلهيّة بشكلٍ يومي

ولمدة شهر متواصل راحةً لنفس "أمّي" وهو ما كانت تسمّيه - غريغوريّة - فقد انتفض، والتعبير دقيقٌ جداً - مُعلناً بنبرةٍ قاطعةٍ وحادّة "ألاّ أحداً يملكُ الحقّ في أن يُوجرَ بنوّتَه - لها - التي يتمسّك بها باعتزاز، وأنّه سيستمرّ في ذكرها ثلاثين على الهيكل وحتّى "القدّاس الأخير" وانسحبَ مغادراً...

ومرّت السنون تتتالى، واستغرقت الحياة كلاً منّا في خضمّ مشاغلها وتفاصيلها... إلى أن زارتني ذات يوم راهبتان من راهبات العائلة المقدّسة المارونيات. قدِمتا إلى دمشق من بانياس، وطلبتا أن أرافقهما للبحث عن التجّار المختصّين بالعمل على الأنوال التقليديّة، لإنتاج القماش الحريري المختص بلباس الكهنة الشرقيّين... فمضينا معاً إلى دمشق القديمة بوجهها المؤمن وهويّتها الجغرافيّة التي صنعَت تاريخها على عكس الجغرافية في العالم كله... إلى السيّدة صوفي الأشقر، في حي حنانيا العريق المفعم بالذكريات. وكان على الراهبتين أن تشتريا كمّاً معيّناً من الأمتار مختلفة الرسومات، فقد تعيّن أن يستبدل الكهنة الموارنة لباس القدّاس... وفيما الراهبتان تنشغلان في الاختيار والقياس بما يكفي لكهنة أبرشيّة اللاذقية جميعهم، سألتهما بلطف أن تسمحا لي بشراء قماش يكفي لبذلتين، واحدة للقداس اليومي والثانية للأعياد، والبذلتان للأب الياس يعقوب... فأجابتني إحداهما باسمة لقد اخترت الكاهن الخطأ... وكان اسمها، الأخت آغات، على ما أذكر... لأن من المستحيل أن يقبل!! فرجوتها تلبية رغبتي وعلى مسؤوليّتي الشخصيّة، شريطة أن تحملا له رسالةً صغيرةً قبل القماش مرافقة له... بعد انتهاء عملهما سافرتا سعيدتين إلى طرطوس... وكنت على يقين ممّا لم يفاجئني في اليوم التالي فقد اتّصل بي المطران أنطون طربيه مبادراً قبل التحيّة: "لقد أحسنتِ الإمساك به من اليد التي تؤلمه أبداً... شكراً لكِ... إنّه يبكي بحُرقَةِ مفجوع ولا يقدر على مكالمتك".

لقد حملت رسالتي إليه عبارتين لا غير:

"مبروك... سأفرح كثيراً إذ أراك من هنا... تلبسُهما وأنت مستمرٌ في ذكري على الهيكل... قدّس الله كهنوتك... المجد لله"

خالتك روزين"

وأنا على يقينٍ من أنّه وحتّى القدّاس الأخير لم ينفكّ يذكرها...

أعطنا يا ربّ كهنةً قدّيسين!! أم أعطنا مَن يساعد الكاهن على متابعة طريقه باتّجاه الملكوت، ربما معاً...

شكراً أبونا الياس

نزهة 2014/9/10

شهادات مسجّلة ومصوّرة

1) **مخائيل لحود (أبو يعقوب)**

- الأب زحلاوي: من كم سنة بتعرف أبونا الياس يعقوب؟

- أنا بعرفو من الطفولة من مدرسة ضهر صفرا

- كنت معه بالمدرسة؟

- من مدرسة ضهر صفرا، أكلنا مع بعضنا، وأبونا الياس عاش عالبساطة وجسم النحيل، وكنا نسميه (بهلول) يعني كان بسيط.

- مين يسميه بهلول؟

- نحنا كنا - معلشيه - وقت كنا صغار كنا نضحك عليه، ونقلو... غشيم يعني، وبهلول... وعاش عالطيبة... وعاش ما في حقد بقلبه، ولا يحقد علينا، ودايماً يضحكلنا ونضحكلو، يعني دايماً نحسّ بقلبه الطيب... بعد ما صار خوري أجا لعنا عالكنيسة هون، وأنا بيتي جار الكنيسة متل ما بتعرف، وضلينا صحبتنا وصداقتنا معه، صدقاً وقت منجتمع معه نحنا أكبر منو كم سنة.

- انت تولّد أي سنة أبو يعقوب؟

- أنا مواليد 1944

- أبو جورج: هو مواليد 1950 **انا كنت أتعلم أنا وياه بصف واحد.**

- أبو عقاب: لأ بتصور 1945

- (سعد لحود) أبو جورج: كان هو بالداخلية عند الخوري ونحنا بصف السابع. كان بالداخلية عند أبونا...

- هو تعلم كذا سنة!

- أبو جورج: بصف السابع كنت معه ونفوت نشتري من عند أخوه يعقوب، كان عامل دكان بتتذكّره منيح أنت!

- أبو عقاب: ما كنت بصفّه كنت أصغر منه... كان بصفّي أنا، وقعدت أنا وياه بالسادس وبالسابع

- أبو جورج: كنا نشتري نحنا وياه من الدكان من عند أخوه... يعقوب اسمه... ما اسمه يعقوب خيّو؟ نشتري ونلعب مع بعضنا ونحكي مع بعضنا،

وكان ما في أدروش منو بالمدرسة! من كل حياتو آدمي، ويعني شو بدي قلك البسينة بتاكل أكلاته، وإذا شاف واحد هيكي ما معه وهو معه فرنك بيعطيه ياه، ع دور الفرنك والنص فرنك، يعني على فقره ودروشته، هيكي حياته عاشها كلها، ورد استلم خوري وأجا لعنّا وتمّينا الحياة نفسها ما غيرت معه أبداً، والبساطة ما غيرت معه لحد يلي مات وهو بيحب الناس وبيريد الخير للناس وبيدعم الناس، وما بيقول شي على غلط كله على صح بدو يصير إجباري ما في مجال يعني، وقصة الميكرو سجلتوها شي؟

- قصة الميكرو حكيلنا ياها، وإذا بتتذكر غير قصص أبو يعقوب

- أبو جورج: رايح عبانياس الأبونا، وقف عالطريق ووقف ميكرو (من بيت تفاحة صاحب الميكرو)، قطعو بشي خمسين متر ووقف الميكرو، يمشي أبونا الياس بدو يمشي صوب الميكرو ويكون قلّع الميكرو ومشي لقدام شوي، يرجع يوقف الميكرو ويرجع يمشي أبونا، صار شغلة عذاب لأبونا... في معه وحدة شغيلة من الجرد، من الجبل يعني، بهالميكرو قالتلو: يخرب بيت سنتك هيدا قديس الخوري الياس!

- أبو يعقوب: أبونا الياس نسخة لحالو، نسخة التاريخ ما سجلها، كان طيب القلب وخلوق، هادا حياتو

- أنت كنت شرس بالمدرسة؟

- أي كنت شرس بالمدرسة، وأنا بعمري ما تقاتلت أنا وياه ولا فكرت أتقاتل أنا وياه!

- طيب ليش؟

- لأنو أبونا الياس طيب القلب وكان من صغره مرح هيك...

2) رزق بطرس معوّض (أبو عقاب)

أنا اسمي "رزق بطرس معوض" أبو عقاب، عشنا مع أبونا الياس حتى فترة الدراسة سنتين بثانوية أبو العلاء بضهر صفرا، كان مميّز بتواضعه وبأخلاقه وباستقامته، ما عمرنا سمعنا عنه كلمة تسيء، أو

مهما حدا استفزه يقدر يجاوبه إلا بكلمة حلوة وبكلمة نابعة من قلبه الطيب... خلال فترة هالسنتين أنا عشت معه سنة كاملة عالمقعد أنا وياه بس لحالنا... طبعاً بعد فترة أنا غبت شي حوالي ثلاثين سنة، لأ بحدود شي 15 سنة، وساقبت الظروف أني رجعت، وعشنا معو فترة حوالي شي عشر 15 سنة... خلال هالفترة خمسة عشر سنة - طبعاً كنت عسكري - تعلمنا منه شغلات كتيرة، مدرسة أخلاقية بحد ذاتها... روحياً يمتاز بشيء غير معقول وغير متناهي، غيّر فينا كتير... كتير من الأمور بختلف أنا وياه فيها حول كتير قضايا! يرجع يقلي لأ أبو عقاب، واستنتج بعد فترة أنو كلامه كان هو الصح... كلمة اللأ ما كان يقولا أبداً ولا بيعرفا... حاول يغير بناس كتير هون.

أبونا الياس شو بدو يحكي الواحد عنه عاجز. لأنو القداسة كانت ظاهرة وهو طيب، كنا نشوف مشاهد أمام عيونا شيء لا يصدق! العجائب يلي صارت على أيدو وهو موجود شيء مو معقول، المرضى يلي كانت تجي بالأسبوع الواحد بالعشرات بدون مبالغة وبصدق، بدون الناس يلي تمر وتاخد بس مي مقدسة حتى تشفي فيها ناس يلي ما بيقدروا يجوا. ما كان يميز بين أي إنسان لا المسيحي ولا المسلم. كان من أخواننا الإسلام يجو لعنده بكثرة ويطلبوا منه انو يباركون ويصلي عليهن... وكانت الأمور كلها تسير بشكل سليم وصحيح.

ما كان شفيع لألنا بس كان شفيع للمنطقة كلها، وهيدي ثقة كل واحد بيعرفه، يعني الحمد لله ما منعرف مرض ولا منعرف ضائقة إلا كنا نطلب منه وتزول وبسهولة، مو بس صحية... كنا نرافقه بشكل دائم بكل طلعاته وأكتر الناس هيك! من المنطقة بالكامل ومن خارج المنطقة... حتى من الدير تجي ناس تطلب شفاعته.

حبينا أبونا الياس كتير، وحبنا هو أكتر لأنو حب كل العالم، وحتى كانت أمانة عنده أنو بعد ما بيموت انو يضل هون مزروع عنا بالمنطقة،

لأنو هالزرعة هي يلي انزرعت عنا دايماً عم تأزهر وعم تعطي ثمار. وهيدا الشي عم نلمسه لمس اليد حتى بعد مماته... ومنطلب من العدرا كمان تظهر قداسته بكير لأنو كان هو طلب أنو ينزرع تحت أقدام العدرا وفعلاً هيدي كانت الوصية، والحمد الله هالوصية هي تحققت وثمارا عم تعطي لحد الآن.

3) **يوسف رزق**

- يوسف رزق مواليد 1954 من مزرعة الأفندي. بعد غياب الأخ هاشم وسفره صرت أنا أتردد لعند أبونا الياس بشكل دائم مستديم، يعني أو منشان نكون صادقين بكلامنا كل فترة وفترة. آخر جلسة قعدت أنا وياه فيها كانت قبل وفاته بأيام معدودة، فتحنا حديث أنا وياه وقلي - بتذكّر من جملة ما قلّي، قلّي... فتحلي سيرة هاشم طبعاً - قلي: يا أبو لينا، غياب هاشم ترك في حياتي ندبة، ما بتصلّحها الأيام أبداً أبداً، قلتلّو يا أبونا ربما هيدي مصلحته ربما هيدي حياته، قلّي أنا مقدّر هالشي بس أنا عم حاول كسّر على حالي مثلاً أني برّر غيابه، ماني مأوصل لنتيجة نهائياً، يعني غيابه ترك عندي فراغ كبير كتير كتير ما في إنسان بالعالم بيعوضه...

- مرة كنت مأتحدث أنا وياه كمان قلّي كلمة... بتذكّر قلّي: بتصدّق يا أبو لينا؟ قلتلّو ايه، طبعاً بصدّق يا أبونا، قلّي إذا قلتلّك يومياً قبل النوم بعد ما بصلّي للعدرا طبعاً وبطلب منها شو بدي أطلب منها لستّنا العدرا، بقعد أنا وهاشم ما يقارب الساعة قلّي بشوفه وبيشوفني وبحاكيه وبيحاكيني! قلتلّو أنا معلشي أبونا فيك توضحلي أكتر لو سمحت، قلّي: ايه قلّي انا بقعد وجه لوجه مع سيدتنا العدرا؟ بخلّص صلواتي انا وياها وبعدها بطلب منها اني انا مثلاً بدي أتواجه مع هاشم مثلاً، قلّي صدقني إذا قلتلّك هو ببلد وأنا ببلد وقدّيش المسافات بيناتنا قلتلّو أنا ايه، قلّي بقعد أنا وياه بحاكيه وبيحاكيني! هالمعادلة ما فهمتا أنا يعني ميحكيلي هو وهي المعادلة ما فهمتا صرت فكر فيها

بعدين أوّلتا من عندي أنا تأويل ربما وصلت لنتيجة بشكل يرضيني... بس هو كلامه صادق مية بالمية يعني هو ميقعد معك يومياً قبل النوم وميشوفك حسب ما قلي وميتحدث معك وميتابعك وميتابع أمورك كل شي، كل شي! قلي وأنا بتصور هاشم بدّا تحفظه العدرا. بصلواتنا بدّا تحفظو العدرا، لو كان بأبعد نقطة في أصقاع الأرض.

قلتلّو من جملة ما قلتلّو، قلتلّو يا أبونا أنا وجاية بالطريق - طبعاً رحت لعندو يومتا عالموتور مو بالسيارة - قلتلو يا أبونا أنا وجاية عالطريق والدني مطر تقريباً كنت رح أتعرض لحادث بنزلة ضيعتنا، طلع الدولاب الأدماني للموتور على حجرة فأنا تعرضت، كنت رح أقلب تماماً أنا وجاية لعندك. قلّي: لا يمكن يصرلك شي وكون طبيعي، وهلأ المسا بدّي أطلب من ستنا العدرا وصليلها تحفظك بإذن الله إلى ما شاء الله لذلك لا تخاف طلع قدامك حجر طلع قدامك كذا... طلع قدامك كذا... لا تخاف من شي نهائياً...

ايه والله يا حرام... الله يرحم روحه... كتير كتير كانت قعداتي أنا وياه وكنت بتمنى يا حرام، حتى وعدني بزيارة عالبيت وعدني

- وشو رأيك فيه ككاهن؟

- شو رأيي فيه ككاهن؟ بتصوّر بكلمة مختصرة: ما بيتكرر! مع احترامي لكل رجال الدين بس أبونا الياس ما بيتكرر! يعني شجرة لا يتكرر ثمارُها أبداً، ما بتصور، طبعاً بتمنّى ما ينفهم كلامي أنو جرّح برجال الدين التانيين. بس بالنسبة لأبونا الياس أنا برأيي نادر في زمانه وفي أوانه وفي عصره!

4) **هالة مسوح**

- هالة مسوح مدامته لعلوان دوّارة، تعرفت على أبونا الياس منذ زواجي عام 1983. بعرفه لأبونا هو مو أنو بس ككاهن، بعرفه أنو هو أخ وأب وصديق لكل إنسان للغريب وللقريب، بساطته كتير كتير كانت

ملفتة للنظر، طيبته وطيبة قلبه، محبته لكل الناس محبته للغريب وللقريب كانت نفس الشي من مختلف الأديان. بيته كان مضياف لكل إنسان شو بدي أحكي عنه بتم مقصرة أنا. عيّنوني أني كون وكيلة وقف لذلك كنت قريبة كتير جداً منه. ما يوماً ما شعرت فيه أنو كان عم يستغل أي شي كنت حاول كتير انو شو بدك يا أبونا أنا معك، شو بدك أنت بتاخد، انت الآمر والناهي يقلّي لأ، همي الوحيد كان بناء الكنيسة همه الوحيد رعيته همه الوحيد أولاد رعيته، كان يشجع كل إنسان على العلم، كان كتير يحب وقت يكون أنو يساعد إذا كان واحد أي محتاج، أحيانا يكون ما يلتقى عشر ليرات بجيبته بس كان الله دخيله ما بعرف قدرة عجائبية كان يمد إيده على جيبته ويعطي بدون أي مقابل. ما كان يقول كلمة لأ، ولا بيعرف كلمة لأ، شو بدّي أحكي عنه ما بعرف!

- طيب كيف كنتِ تشوفي علاقته بالمادة مثلاً؟

- ما بيحبّا للمادة ولا يوماً ما فكّر بالمادة، ما بيحبّا... ما بيحبّا! كان يدخل... يعني كان يجيه كتير، أيام تكون جيبته مليانة وأيام بعد شي ساعة ما يكون في أي شي، المادة كانت عنده ياها شي ثانوي.

- وكيف كنت تشوفي خدمته للرعية؟

- خدمته... كانت عين سهرانة، كان عين سهرانة عالأولاد عالعائلات، كتير في ناس بعرف أنا كان أبونا يزورن لأنو يكون في خلاف أحياناً بين الابن وبيّو، ويحاول كتير، بين البنت وأهلها، بين الخي وخيّو أكتر شي هي، كان يحاول أنو يحلها، يكون على صحته، يكون تعبان أحياناً، كتير في مرات يكون مريض، وقت أي واحد من الرعية كان بحاجة لألو كان يقوم ويروح ويجي وهو كان كتير جسمه على قد حاله!

- وكيف كنت تشوفي علاقته مع الوقف مثلاً؟ مادية ولا؟

- لأ لأ أبداً، ما في شي مادي نهائياً، برجع بقلّك مرة وتنين وتلاتة أنو ما بيحب المادة أبونا، ولا يوماً ما، أنو يكون أحياناً حتى ما يوماً ما

إذا شعرت أي شي فاتورة أو أي شي يجي صاحب العمل يلي مشتغل المنجز هاد العمل يجي ياخد الفاتورة باسمه، لا لا مانو مادي أبداً.

- كم سنة ضليتي برفقته؟

- برفقته! بقيت..يعني أنا من 1983، بس بالوقف بقيت أنا وياه تقريباً ست سنوات.

الله يرحمه...

5) **السيد سهيل مخ**

- أنا سهيل مخ من معلولا، تعرفت على أبونا الياس من سنة 1976، أول مخيم بيستقبله أبونا الياس بالخراب، كنا شباب وصبايا تعرفنا عليه، شفنا فيه نور المسيح من خلال معاملته معنا، بيته مفتوح للكل، برّاده مفتوح، قلبه مفتوح للكل، عن غير خوارنة استقبلونا بمخيمات سابقة. المخيمات السابقة كانوا يقفلوا البراد علينا، يسكّروا البواب علينا، ما يخلّونا نطلع، ما يخلّونا نتحرك، عند أبونا الياس ننفرد، ومن سنتا صرنا كل سنة نطلع لعند أبونا الياس، كل سنة نعمل مخيم ونكتشف شي جديد عند أبونا الياس.

شو ما حكيت عن أبونا الياس ما رح أقدر وفيّه حقّه، وفّيه الشي يلي هو فعلاً فيه، أنا كشخص كتير بحبّه لأبونا الياس، وأبونا الياس بتصوّر كتير بيحبني، لأني ما طلبت طلب منّه وخجلني فيه.

شغلة صغيرة صارت معي، أختي بيوجعها راسها معها شقيقة، كانت كتير موجوعة من راسها كتير بشكل لا يوصف. أول ما صليتلها ودهنتلها على راسها زيت أبونا الياس قامت عدّنو ما فيها شي، وكل الشغلات أكيد يلي بطلبها من أبونا الياس عم تتحقق، بس بطلبها بمحبة وإيمان وصلاة، وبشفاعة العدرا، بقوّة العدرا وبشفاعة أبونا الياس كل شي بيتحقّق.

- قبل ما يموت أو بعد ما يموت؟

- قبل ما يموت وبعد ما يموت، وبعد ما مات، الحادثة يلي صارت مع أختي بعد ما مات، أما أنا بذكر حادثة: كان أبونا الياس، كنت أنا ببانياس رايح بسيارة ورجعت لعند أبونا الياس وقعدت عنده. تاني يوم الصبح إجيت من الخراب عالشام، وصلت عالشام، دوّرت السيارة تاني يوم ما دارت، أخدتها عالميكانيكي كانت البسطونات مكسّرة، قلّي الميكانيكي شلون ماشي فيها؟ أكيد ما مشيت فيها ووصَّلتني غير بدعوات وصلوات أبونا الياس!

- طيب لما كنت تشوف الخوري الياس، شو كنت تشوف فيه أول ما يوقع نظرك عليه؟

- الإنسان البسيط المتجرّد، يلي حقيقة بتشوفه وقت تطلع عليه... نعم يمكن للوهلة الأولى منظره ما يعجبك..! بس بتحس بمدى محبّته، بمدى هالنور يلي طالع من وجهه بتشوف فيه... يعني ما رح أقدر أوصفه كما يجب، يعني الحكي مو متل الشوف، أنا قد ما حكيت يلي ما شاف أبونا الياس، يلي ما عاشر أبونا الياس، يلي ما قعد معه، يلي ما حكى معه، أكيد ما شاف شي!... لأن أبونا الياس فعلاً رجل دين حقيقي، رجل دين عطى حياته لكل هالعالم، ما كان ياكل إذا في حدا فقير مو آكل... كنّا نطلع نحنا مخيّماتنا نطلع لعنده يسايرنا ياكل شقفة لحمة، تاني يوم ما بياكل لحمة، وإذا بيعرف أنو في واحد جوعان ما بياكل لحمة، وبياخد اللحمة وبيعطيها للإنسان الجوعان، يلي معه مو ألو، يلي معه للمحتاج، يلي معه للفقير، يلي معه لكل الناس... وحضرت أنا كتير شغلات من عجايبه يلي صارت، إن كان بواسطة هشام يحكيلنا ياها، وإن كان نكون موجودين عنده بالدير من خلال زياراتنا المستمرة لعنده.

- شكراً خيّ سهيل، ممنونك أنا عشهادتك الحلوة.

شهادات مسجلة ومصورة عن حالات شفاء وحوادث خارقة

1) **سمير مارون كاملة**

- سمير مارون كاملة من الجنينة بس ساكن بالخراب، صار معي حادثة فعلاً مع أبونا الياس عطيبته ودروشته فعلاً كتير حزّت بنفسي! كان معي بحصة، كنت كتير أتألم منها، ضلّيت شي سنتين عاني منها مع دكاترة مع شغلات... لحد أجي أنفجر. بالمدرسة مرة حملوني من المدرسة وجابوني لهون، وراحت الأيام وإلا سمع فيني أبونا الياس هو خوري الرعية تبعنا، إجا ليسلم عليي قلي شوباك لك أستاذ سمير والله يا أبونا عم أتألم، والله يمكن كان عهالكنباية، أو كانت هونيك ع القسم التاني... قسماً بالله بذكره قعد جنبي يا حرام. قلتلّو هيك هيك عم أتألم ألم فظيع وقت تجيني النوبة بفلح عالأرض بيصير أفلح. قلّي سلامة عينك، قلّها يا أم حكم قومي جيبيلي كبّاية مي إذا بتريدي. راحت جابتلو كبّاية مي، والله متل هالكباية، صلّى عليها وما صلّى ومدري شو، وحط أصبعه فيها وصلّب عليها بأصبعه... أنا بيني وبين حالي وقت حط أصبعه فيها انا شوي هيكي، الدغري عم قلك شو حسيت بقرارة نفسي، قلت والله بدّي أشربها تكون سم، يعني عندي إيمان وقلت بدّي أشربها خلص! مسكت هالكبّاية وشربتها قلّي بإذن العدرا بدها تروحلك ياها للبحصة هالكبّاية، قلتلّو انشالله يا أبونا يسلّم ديّاتك، قسماً بالله تاني يوم ما ضل معي شي يمكن حسّيت راحت... المهم دابت... ما عاد حسّيت فيها وصرلها العملية يمكن 15 سنة... كنت لسّاني بالمدرسة أنا قدمت استقالة وطلعت... وراحت وراحت وراحت!

- ومقتنع تماماً أنو صلاة الخوري الياس هي يلي شفتك؟

- أبداً شو بدي قلّك ميّة بالميّة، راحت راحت! اساتا موجودة هيك بس ما شفتا أنو نزلت!

- وما عاد أجتك نوبة ولا شي؟

- سمير: ولا عاد حسيت فيها بحياتي

- ولا عاد رجعلك البحص؟

- سمير: لأ لأ... لا بحص ولا رمل

- يا سبحان الله، المجد لأسم ربنا

- سمير: لا بحص ولا رمل والله والحمد لله، وفضله علينا كتير هالأبونا الياس!

- زوجته: ومرته شهود عليه

- يكتّر خيرِك أكيد!

- سمير: ايه، أم حكم شاهدة، هي جابتلنا كاسة المي، وبعدين ما في مصلحة الواحد يحكي هالكلام يزوّره! يعني شو إلو مصلحة يعني لو ما واقع كان؟

2) **سوزي سمير كاملة**

- أنا سوزي سمير كاملة امرأة عماد معوّض، من حوالي ثماني سنوات بعد زواجنا صارت معي حادثة دوخة فظيعة تتردد علي كذا مرة تروح وترجع، تردّدت على كذا دكتور شي خمس ست دكاترة ما استفدت... على بنى أنو يعطوني دوا شي خمس عشر حبة بهاد المجال أنو بدّي أتحسن! ترجع، علي هالدوخة يعني كتير دوخة فظيعة وتمر علي أيام أنو أيام طويلة أنو مثلاً ضل يوم بكامله نايمة، نايمة متلقحة ما بقدر حرك راسي من على المخدة. بعد فترة دلوني على الدكتور "كابي عزيز" الله يذكره بالخير وصفلي دوا اجنبية على بنى أنو أتحسن عليها عطاني ياها نشكر الله شربتها على مدة سنة انو خلص ما بقى في دوخة بعد سنة رجعت علي الدوخة، عانيت كتير كتير ورحت رجعت أتردّد على الدكاترة يلي كنت روح لعندن ما تحسنت، بعدين قلت يا الله دخيلك، يا رب تصير معي حادثة هيك شي أعجوبة العدرا تطيّبني.

مرة من ذات الليالي شفت بمنامي أنو أنا كنت قاعدة هيك ع طريق أوتستراد طرطوس، من الجهة الغربية. وإلا بيجي ميكرو لون أبيض عم يسوقه شب. وكأني مكرسحة قاعدة مشلولة ما بقدر أتحرك قد مانا هالدوخة زاعجتني، ومعي بنتي عمرها سنة اسمها بولين معوّض قاعدة

عحضني بيجي هالميكرو مخالف، بيوقف وبيقلّي قومي يا أختي اطلعي... قلتلّو ما فيني أمشي. قلّي قومي، قومي أطلعي معي حتى وصلك على البيت. قلتلّو كيف بدي قوم؟ ما فيني قوم! قلّي قومي... ما عرفت حالي كيف لملمت حالي وطلعت قعدت من قدام معه، وإلا عم يبتسم هالشب لإلي وطالعلو هيك تالول متل أبونا الياس، بيشبه أبونا الياس بس هو شب. قلتلّو أنت أبونا الياس؟ قلّي ايه انا! قلتلّو بتشبه أبونا الياس أنت. قلّي ايه عمل هيك، قلّي شو أشبك يا أختي؟ قلتلّو دايخة دايخة كتير! قلّي افتحي تمّك لشوف حطلّي هيك متل بخّورة وشرّبني مي وراها شربته. وتاني يوم فقت الصبح ما علي دوخة بعد يومين تلاتة جمعة نشكر الله طابت هالدوخة وما عاد رجعت علي أبداً...!

- قدّيش كان إلها هالدوخة تجي معك سنة، ست شهور... شهر؟

- سوزي: 8 سنوات

- 8 سنوات دوخة؟

- سوزي: لأ مو 8 سنوات 6 سنوات، بعدما تزوجت!

- 6 سنوات الدوخة بتجي عليكي، ووقت يلّي من بعد هالحلم والحادثة معك أنتي طلبتي من الأبونا الياس يشفيكي؟

- سوزي: ايه قلت يا عدرا دخيلك؟ وقفت حدّا دخيلك يا عدرا عملي حادثة أنو أعجوبة طيبيني وأنا بآمن بالأبونا...

- وهاد لما قلتيلو أنت أبونا الياس وافق أنو يكون أبونا الياس؟

- سوزي: ايه قلّي ايه وابتسم يعني... وأنا بآمن بالأبونا الياس كتير بآمن فيه بحبّه!

- ومن وقتا ما عاد حسيتي بدوخة ما راجعتي طبيب؟

- سوزي: أبداً وعندي علبة الحبوب الأجنبية يلي وصفلي ياها الدكتور كابي لساها عندي هون بالصيدلية لسا في ظرفين منها...

- مبروك
- سوزي: الله يبارك بعمرك
- الله ياخد بيدك شكرا لألك

3) **ابتسام سلوم (أم فادي)**

- أم فادي فيكي تباشري بس عرفيني عن اسمك بالأول
- أم فادي "ابتسام سلوم"
- شو الحادثة يلي عملها أبونا الياس يعقوب عندك؟

- أول حادثة ما كان عنّا مي، وأجا أبونا الياس لعنا بمناسبة أربعين سلفي، كان إلنا ثلاث أيام مقطوعين من المي، وخزان المغسلة ما في مي نهائياً، قام أبونا ليصوبن ورحت لجبلو كاسة مي، قام بيقلّي أبو فادي: صوبَن الأبونا، قلتلو: منين؟! قال: فتح الحنفيّة ونزلت مي عادي وصوبن وخلص. أي أنا يعني استغربنا رجعنا فتحناها ما في مي! دخيل اسمك يا الله يعني منين أجت المي؟! الخزان فاضي نهائي... هي أوّل أعجوبة صارت عنا.

- تاني أعجوبة: أنا بحط بيدونات الزيت عالسقيفة، بعرف أنو ما عنا إلا بيدون زيت واحد، وأجا راس السنة... طلاع يا ماما نزّل بيدون الزيت في بيدون عالدفة محطوط، والفاضيين طبعاً يعني نضاف وعالدفة التانية، قال ايه يا ماما طالع، طلع قلّي في اتنين، قلتلّو لأ يا ماما لا تغلط في بيدون واحد، قال لأ في اتنين واثق، ما كنا نصدّق قام قال فرجيكي ياهن؟ وطلع أبو فادي لقى اتنين مليانين دخيلك يا الله هي تاني أعجوبة بتصير عنا بعد ما فات على بيتنا أبونا الياس يعقوب.

- وريحة البخور؟
- البخور من العدرا دخيلا...
- من شخص العدرا؟ بنفس المناسبة؟
- محل يلّي فات بنفس المناسبة

- محل يلّي وقف وغسل ديّاتو؟

- أبداً، ولهلأ لسا لهلأ عن جد، ما بكذب عليكن بولا حرف... لهلأ لسا بيضل في ريحة بخور!

- الله يبارك بإيمانكم، سمعت كمان أنو ظهرك عميوجعك بعد ما توفى!

- نعم، بدي فرجيكن الصور، أنا ضهري كتير كان بيوجعني... *(تقول للمصور وهي تبكي...)*: وقف شوي...!

- لأ وقفت ما في مشكلة!

- وبعد الصور قلّي الدكتور انتي بدّك عملية انزلاق فقرات كتير صعب، وبجوز بعد العملية نادر إنك تمشي، قلّي بدك تروحي تمشي قد ما فيكي، أمشي بركي منعالج، ما عاد فيني أمشي، قد ما مشيت صبح وضهر ومسا، بدي أمشي ثلاث ساعات كل يوم... بفترتا توفى أبونا الياس يعقوب، طلبت شفاعته وأنا وعم أمشي لأن ما بقى فيني كمل، وقفت ما بقى فيني كمل، قلتلّو دخيلك يا أبونا الياس ساعدني، طالبة شفاعتك، وكانت المسبحة بإيدي يا رب بلا منية! عم صلّي قام ما حسيت إلا نار نزلت بضهري، وما عاد حسيت بأي وجع، وكملت طريقي هي بعد عشر دقايق دخيل اسمه، هي شفاعته، تشفّع فيني.

- وقدرتي تكملي طريقك بعدين؟

- وكملت طريقي ورجعت امشي، وما عاد حسيت بشي، وبشتغل شغلي كله كامل.

- ولهلأ؟ وما عاد في انتكاسات وما في شي؟

- ما في شي!

- شو اسم الدكتور يلي عالجك؟

- علاء رمضان

- شكراً أم فادي

- يخلينا ياك

4) **مخائيل لحود (ابو يعقوب) "السمك"**

- ميخائيل لحود (أبو يعقوب)... عمري 65 سنة. وصياد من وقت كان عمري 15 سنة.

- تفضل

- مرة كنا قاعدين هون تحت الخيمة عند خيّي هون، ومشتغلين للضهريات وطلعنا عالقيلولة وما صيّدنا شي!

- الأب زحلاوي: اشتغلتوا من أي ساعة؟

- من الصبح

- ونحنا بالقيلولة أجا أبونا الياس عنده وفد، عندو جماعة بدو يغدّيهن، قال: أبو يعقوب بدنا أكلة سمك، بدنا عشرين كيلو سمك، قلت: يا أبونا دخيل عينك أنت! قال: قوم استعين بالله وبمار بطرس وانزل، يا أبونا حاطين قفاص ومنشيل ثلاث أربع كليات منهن كلهن، نزلنا ونزلوا الأولاد قام شالوا عشرين كيلو لا زايدين وقية ولا ناقصين وقية! هي الحدث الأول.

الحدث التاني: عزمته على العشا وكان عندي طون، هو بيحب "البلاميدا" الطون، ما بياكل كان سمكة حايلّه لأن بتحسّسلو جسمو... أي عاملين طون قلتلو يا أبونا تفضل تعشّى عنا، قام قلّي تعا خدني، رحت وخدته ورحنا عالبيت وقعدنا، ونحنا منتعشى ومنتحادث قلّي ما عم تشيلوا؟ قلتلّو والله اليوم السمكة قليلة، قلّي: بإذن الله بدك تشيل أكتر من 300 كيلو سمك، قلتلّو: يا أبونا تخّنتا... تخّنتا! قلّي بإذن الله بدّك تشيل أكتر من 400 كيلو قول اسم الله قول يا مار بطرس، أنت عصبي متل مار بطرس، قلنالو: دخيل اسم الله انشالله منشيل، نزلنا تاني يوم...

- أنت ومين نزلت؟

- نزلت أنا وأولادي وبعدين نزل أخوي سعد معي، شلنا 450 كيلو

"غـراوي شـق"، بعنـاهن بالسـاحة يعـني بيطلعـوا 500 كيلـو. هـي حـدثين صاروا معي... الحدث الثالث: كان مع أخي أبو جورج (سعد)، بتقلولو وبتسـألوه، حـدثين معـي والحـدث الثالـث... يـوم يلـي حوّقتـوا السـفرنيات هون وشلتو 16 كيلو تذكرتا؟ تعا حكيلُن!...

5) **سعد لحود (أبو جورج)**

- أهلا وسهلا، العمر؟

- 60 سنة

- الدهر كله انشالله

- يوم من الأيام أجا أبونا الياس ونحنا طالعين من البحر، والبحر مخضوض وعكر وفي موج شوي يعني، وما خرج الواحد يشيل نص كيلو سمك، طالعين، أنا بتعرف بحب الدورة غير أخواتي، أخواتي بيحبّوا الشغل أنا غير موديل، إجا أبونا الياس لعندي عالخيمة لهون عشطّ البحر: قوم يا ابني عندك وفد بدّك تغدّيه وبدّك كذا... يا أبونا شو بدي غدّيه؟ روح اشتريلو من السوق؟

قالي: لأ، من هون بدّك تنزل تجيب سمك!

يا أبونا ليك الموج منغرق، الفلوكا صغيرة، مو عأيام هاللانشات هيدي، يعني فلوكا صغيرة يعني عشرة متر هيكي، البحر قوي كتير، قال: لأ بدّك تنزل، استعين بالله وصلّب إيدك عوشّك وانزل.

نزلنا، صلّبنا ايدنا عوشنا ونزلنا، أنا والمرحوم أخوي... يا معلمي هون في بقعة صافية متل عين الديك، يعني بقعة 50 متر مساحتها ما بتطلع، حوّقناها طلع فيها 16 كيلو سفرني جبناهن وجينا لهوني، نضّفتن بإيدي وقليتن أنا وياه، وطعميناهن، وصلّبلنا، والله معه! والله يرحمه ويرحم أمواتكم.

- الأب زحلاوي: طيب، أنت أبو جورج، وقت ينذكر أبونا الياس قدامك شو بتتصوّر؟

- بتصوّر وبحس في قدّيس، وبينمّل شعر... بحسّ في قدّيس.

في قصة هيدي حكيتلو ياها الله يرحمه الو هو نفسه، إجا عليّ واحد ختيار ومعه عصا، وجاي عالبحر هوني، وأنا نايم عهالخيمة هون تحت هالخيمة. شي الساعة ثلاثة وج الضو بتذكّر كأني فايق العادة، هيدي القصة حكيتا للعالم كلها، أول واحد حكيتلو ياها. معه "مصيص" بتعرفه المصيص؟ قضيب كبير هاد يلي بيفلحوا عليه بالزمان، بيضربوا البقر فيه، ومعه نير بتعرفوا النير؟ هاد يلي بيحطوه برقبة البقر، هالزلمة الختيار إجا لعندي عالبحر، قال: تعا لهون، طيب شو بدك؟ قلّي بدي أفلح عليك، والمسيح عم أحكيلك يلي صار، ليك شعري عم ينمّل مني، بدّي أفلح عليك، قلت: العمى هاد كركمّة، وأنا شايف حالي ومو مصدّق متل ما بيقولوا بهديك الأيام، والله نطّيت نطّ من الخيمة وجيت لعنده لتحت، وخلصته العصا الطويلة ونزلت القتل فيه، قتلته لشبّعته والله واختفى... وما في خمس دقايق، أنا وكأني فايق بحس، كأني هلأ فايق، جايني واحد بتوب أبيض، هو الخوري الياس أو مو الخوري الياس ما بقى أعرف - مو انا عم اتشاجر انا وهداك - معه عصا أطول منّه، من المطعيّين من فوق، وعم يتعكّز من هونيك، وجاية بتوب أبيض متل الحليب، قال برافو عليك يا أبني أنت قتلته للشيطان، وانت بتروح لعند مارهبيان، بعد مارهبيان بعشر متار خمسة عشر متر، الدنيا نَو *(عاصف)* بتلاقي سمكة عم تخبّط عالبحر فوق، بتجيبا، واعد فيها فلان سمّالي اسمه وليكلّو لساتو طيّب أسعد سلوم، 4 كيلو هالسمكة، بتعطيه ياها ما بتاخد حقها، أنا واعده فيها. ورحت فعلاً فقت بالليل ورحت جبتها للسمكة، وعشّيت كل العالم واهلي ومرتي والكل ورحت خدتها لأسعد سلوم وأكلناها سوا، وما كنت آخد حقها منّه، هاد أجاني 90 بالمية، حكيتلّو ياها لأبونا الياس.

6) **سجيع الياس معوّض**

- عرّف عن حالك لو سمحت، اسمك؟

- الياس معوض من مواليد 1942، كان الخوري الياس الله يرحمه،

طالع عالقنية في عنده هونيك مخيم من المخيمات، بقى نحنا كان يطلب منّا بنص الجمعة أنو نطلع نزوره، وكنا ناخد معنا مثلاً أكلاتنا خاروف، شغلة عملة... نسرد نحنا وياه كتير ينبسط مسكين، بقى أنا وقت يلي طلعت لحارة رحيصون ضربت رجلي ع فرام العربية ما فيها جنس الفرام، قلتلّن والله بدنا ننزع الروحة لأن ما معي فرام بالمرة، شو رأيكن نمشي ع مهلنا للادقية ومنسوّيه باللادقية وبعدين منطلع، قال متل ما بدّك، لحقنا للادقية... والله بدي اطلع ع مية مهلي والله دخيله بيهوّنها، هلأ فوق بجسر الشغور بسويّا. طلعنا عالجسر قلت لحقنا عالقنية ما بقى في عشر دقايق، وصلنا لقدام الكنيسة دخيلا، وسلمنا عليه وهيدا ولا كان أبوه كمان لـ "كنان" ايه هاني عقل كان موجود هونيك واقف، قال شو بك؟ قلتلّو والله هيك هيك السيارة ما فيها فرام بالمرة وجيت من هونيك لهون عليها مقطوع قلبي، قلّي: طب في حدا هيك بيمشي عليها؟ قلت: والله مشيت، قلّي هلأ مننزل عالجسر منسويّا وفي واحد هون بالقنية كمان، نزلنا لعنده، فكّ الأربع دواليب قال: ما أشبا شي، قلنالو ما اقتنعت بهالحكي، بدّي أنزل عالجسر، نزلنا عالجسر بدّو يفكّ الدواليب قلتلّو: يا عمّي هلأ بالقناية فكّيتن، ما بعرف إذا طرنبا الزيت فيها شي ما بعرف، قال ليك ما في عنّا بالجسر إلا هالزلمة روح اسأله، إذا عنده منفكلّك ياها إذا ما عنده ليش لنفكها ونتعذّب فيها، رحنا سألنا قال لا والله ما عندي مكشوط، رجعنا عالقنية قلنالو بعينّا الله، نمنا يوم وجبنا خاروف ضلّينا سهرانين للصبح وانبسطنا والصبح حطينا الغراض بهالسيارة وبدنا نجي، قلنالو يا أبونا الياس صليلنا عهالسيارة لأنّو ما معي جنس الفرام قدام باب الكنيسة، والله – الله يرحمه – صلّب عهالسيارة وقلّي: بإذن العدرا بتوصلك لطرطوس ونتفة. والله جيت أنا، وأنا بآمن فيه سبحان الله، وصلنا للنزول بالقنية، حطيت رجلي عالفرام نتفة صغيرة، مرت خيّي كانت طلعت من الوظيفة... معي مرت خيّي كمان! يشهد الله انها اندوخت، ارجع أسرع ما مصدّق حالي، أضرب رجلي عالفرام! يا ربّي دخيلك! نزول

الجسر في أصعب منّه؟ قشعر بدني والله العظيم، بشريفي أمشي مية، وأضرب فرام وتقول بعمرا هالسيارة ما أشبا شي، يا ربّي دخيلك، يا خوري الياس فيك سر مو معقول. والله قول جينا لهون، نزّلنا هالغراض قدّام الباب، وإجا ابني هالكبير قال يا بيي بدّي السيارة توصّل بيت عمّي عالضهر، قلنالو يا بيّي السيارة هيك هيك قصتا، فرام ما فيها بنوب... والخوري الياس صلالي عليها ووصلتنا الحمد لله، طلبلن سيارة بالأجرة تاخدن، أنا ماني مسؤول عنها من يوم وطالع... ما كنت أعطيه السيارة وما زعل الصبي يعني...

تاني نهار بكّير خدتها ونزلت قبل ما يصير عجقة سير لعند زهير بوظو بطرطوس، قلنالو يا زهير فكلّي هالطرنبات، قال: شو بها؟ قلتلّو: ما فيها جنس الفرام، قال: شو عرفك منهن؟ قلتلّو: منهن يا أخي، وجايبلو معي طرنبا جديدة قال: منغيرلها غراضها قلتلّو: لأ بدنا نغيرها جديدة، والله وغيرناها جديدة، وهو فكّ هديك قالي: بدي فكّها وشوف ليش وشو يلي مخوفك منها مثلاً، بدّها راصورات وجوانات وكذا ليش لتدفع حقها، قلتلّو: معليشي، فَكها، بذمتي ما فيها جلدة إلا يلي رايحة من داير دايرها مهتريين جلودها فيها بقلبها، قلّي: لك كيف ماشي عليها لك أبو الياس، قلتلّو: ماشي عليها من جسر الشغور ومن القنية لهون وبسرعة ميّة، ميّة وعشرين... والفرام ماني منّو، قلّي: ما بصدّق والله تكون شو، قلتلّو لأ صدّق والخوري الياس صلالي عليها وهيك صار معنا، قلّي يا ربي دخيلك والله العظيم، والله العظيم، لولا قلتلّي الخوري الياس ما بصدّقك بمية سنة، والله العظيم!

- الأب زحلاوي: هوي بيعرفه للخوري الياس؟

- الياس معوّض: ايه بيعرفه من المنطقة هو من هون، بقى هاد يلي صار يا أبونا معنا، وأنا سبحان الله بحترمه كتير وبعزّه كتير لأنه هالإنسان ماني أبرك من هيك!

- الأب زحلاوي: بالفترة يلي كان عايش فيها بالبستان وقت يلي كان كله بستان الليمون، بتتذكروا شي؟ بتتذكرا هالفترة؟

- الياس معوض: كان يتعب كتير الله يرحمه، ايه كان يتعب كتير، بس الغرفة أنا هي الصغيرة مين روالي أنو كان ينام فيها.

- أبو عقاب: غرفة الموتور؟ هو بالبداية ما كان في...

- الياس معوض: آه هودي لزقوها هلأ بتبعون القاعة ما هيك؟

- أبو عقاب: هي فرداويّة لحالا بالزاوية من فوق، تبع المطبخ القديم وفي محل تبعون الكراسي، فمين أقدم منن هون بقى ما عاد أتذكر!

- الياس معوض: أقدم منن الخوري جبرايل، وجرجس برعون

- أبو عقاب: أي لأن أول شي كان في غرفة صغيرة فوق هو كان ينام ويقوم فيها وكان يشعل شو اسمو ويعمل شغلات أكل وما أكل وأمور من هاد النوع، بعدا لهلأ موجودة بالزاوية بالغرفة

- الأب زحلاوي: بس أنا بذكر حكالي، أنو أوقات كان يحمل الفرشة ويروح ينام تحت الهيكل بالكنيسة!

- الياس معوض: أيه أنا سمعان عنه هيك، بس أنا ما شفت، سمعان عنه بس، ما سمعتا من تمّه!

- الأب زحلاوي: أنا بتذكرا قلّي ياها إلي

- هشام يعقوب: كان يهرب عالسكرستيا بس تبرد الغرفة بالشتوية عليه، ويلي كان يشهد على هالموضوع هو نضال دوارة بيعرفه... من الشباب يلي كانوا موجودين معه.

- الياس معوض: يا سيدي من أخوانا العلوية في هي المخلوقة يلي كانت تحت الطريق العام...

- هشام يعقوب: أم جمال؟

- الياس معوض: ما بعرف شو اسما، تقوم الصبح بكير هالإنسانة نيتها كويسة وقلبها لله كان، تتطلّع لفوق تلاقي مرا لابسة أزرق وأبيض

عم تمشور قدام الكنيسة عم تصلّي، كانت هي الإنسانة... الخوري كل مدة يجيب من عندها حليب وهيدي، قالتلو: يا أبونا اليوم مين هالمرا الغريبة الي كانت عندك وبشوفها بتضل تمشور قدام باب الكنيسة؟ قلها: شو لابسة: قالتلو أزرق وأبيض من راسها لرجليها لتحت، عرف الخوري الياس أنها العدرا دخيلا بس... اتفاجأ، شافتا هالمرا عدة مرات..! ليوم ابنها ما بعرف مرض وهادا!... طلعت لعنده قالتلو دخيلك صلّيلي عليه يا أبونا الياس، صلالها عليه ونشكر الله مشي حاله للولد، وصارت كل يوم تاخدلو كيلو حليب...

- الأب زحلاوي: ايه ابنها ميلاد بتتذكره أنت؟ كانت مقابيل الكنيسة بتذكر أنا...

- الياس معوض: بالضبط، وصارت هالمرا سبحان الله كتير كتير يقنة

- الأب الياس زحلاوي: ايه كانت كل يوم تاخدلو حليب بتذكر أنا

(انقطاع في الفيديو)

- الياس معوض: الله يرحمه خدم فعلاً الرعيتين بإخلاص... بإخلاص يعني، ايه وعمل عمل مجاني كتير بالنسبة لإكليل نعرض عليه ما كان ياخد، إكليل وعمادة ووفاة، بس تعرض عليه كان كتير يقول ما بيجوز أبداً، كل شي وأنا طيب هالكنيستين هودي أنا مسؤول عنّن ما بدّي، حتى مرة عند المطران انطون بطرطوس اشتكوا عليه الخوارنة قالولو: يا سيدنا يوماً ما إذا مات الخوري الياس مينو هو يلي قادر يسكن مطرحه ويعيش متل ما عاش؟ بدّو يفرق عالشعب كتير، بدو يموت فقير، قلن أنا فقير؟! أنا أغنى منكن كلكن وأغنى من سيدنا كمان، أنا هلأتينيّة بكمش هالهاتف وبحكي مع أي واحد بالخراب بقلّو عايز خمس وعشرين ألف ليرة إذا بيضل ربع ساعة وإلا بيكونوا الخمس وعشرين ألف عندي أنا بكون فقير، وخلي واحد منكن كلكن يطلب خمس آلاف ليرة من واحد ويجبلو ياها لعنده لهون، قلّن أنا بكون فقير

أنا! أنا أغنى واحد فيكن، المطران صار يضحك، هيك بدّو الله يرحمه، وإذا معه عشر ليرات والتقى واحد قلو الله يخليك بيعطيه ياهن كلّن ما بيخلو نصن لألو بيعطيه ياهن كلّن، بيقلّك الله بيبعت.

- الزوجة: مرة كان معو خمسين ليرة، مدري مين إجا لعنده عطاه ياها، شو بدو يقلّو ما معي ما كذا، طلع لبرا بعد شوي عم يمشي عالطريق لقى خمسمية عالأرض. هو عم يحكيلنا... وقت كمان التقى بالميكرو يوقف يرجع... قديش القصص هيدي معروفة.

(انقطاع في الفيديو)

- هشام: سكرت بوجهه، قلّي حكيلي عن الروضة، ثلاثة عالروضة حكيتلّو، رح يروح وقت القداس ولحد هلأ وما لقينا سيارة، خبط التليفون قلّها: دبريها يا عدرا، ما في دقيقتين وإلا بيدقّ الباب مين؟ جبرا معوّض قلّو: يا أبونا بدّك تروح شي محل قلّو: إيه تعال وصلني عالكنيسة، هي متكرّرة معو ألوف المرات يعني...

- الزوجة: نيالنا نحنا فيه بيتشفّعلنا... بيضلّ حامينا وبيصليلنا

- الياس معوّض: بتعرف ما كان في غير سيارتي وكم سيارة هونيك نعرض عليه نقلو يا أبونا دائماً شو بيلزمك والله اتصل فينا وياما وياما

- هشام: الشغلة يلي ما كان يبوحا لألكن هي ظهور الشياطين عنده، أنا كون سهران أسمع تطبيش أبواب ما أفهم شو عم يطبّش الباب هوا شو الواحد بيخطر عباله... هوا...! مرات يعيّطلي من فوق شي الساعة 11–12 أنا بسهر للتنتين تلاتة كل يوم، يعيّط من فوق، نايم هو تسعة، تسعة ونص: عمّي بعدك فايق؟ إشبك شي انت؟ قلّو: لأ، بعدك سهران؟ قلّو: ايه، يقول: ايه يلاّ تصبح عخير، فكر بيني وبين حالي يالله أنا ودّعتك الساعة عشرة ونيّمتك بغرفتك شو فيّقك هلأ؟ شو صرت فكر؟ أنو عطبش البواب هو عم يفيق، نقلت نومتي من تحت وصرت نام جنبه، صرت حس على فقسة الكهربا يلي عالحيط عالميلة التانية بس

طق الضو إجي فايق معه أنا، يطبش الباب طبشة اتنين تلاتة، قوم يا الله الباب مفتوح مانو تارس، صرت شو أعمل... صرت سكر البواب طبّشن ونام، يرجعوا يطبشو هالبواب، يا عمّي شو في؟ يضحك عليّ، على كتر ما لزّيت عليه قلّي أنا رح قلّك شو في، بس شوف ما بتقول لحدا ها! خود كتاب الخوري آرس هاد من أبونا الياس زحلاوي قراه، أخده من أبونا الياس، خدت كتاب الخوري آرس وفتحلي على مكان تجربة الشيطان، قلتلّو انشالله هاد يلي عم يطبّش البواب قلّي يا عمّي ما بيقدر عليّ عم يزعجني ما بدو يخلّيني نام وكل ما عملت عمل منيح شفاء مريض - تصليح مشكلة بعيلة - فض خصومة بين اتنين بدي أتحمل أنا ثمنا فوق بدي أدفعه، بدي أدفع ثمنا، بس انا ما فيني أحكي... ممنوع أحكي... بس هلأ أنت كونك عايش معي منشان ما تضل قلق فهام هالأمور وخبّيها بقلبك!

- الأب زحلاوي: خوري آرس خوري فرنسي توفى سنة 1859، وآرس ضيعة موجودة قريبة من مدينة ليون بوسط فرنسا، كانت لفترة طويلة مهملة، عيّنوا فيها هالخوري هاد، عيّنوا فيها هالخوري وكان درويش، درويش كتير وأبونا الياس اتخذه شفيع وقدوة ألو، فعيّنوه فيها لهالخوري فأجا عالضيعة الناس ما بتصلّي أبداً فصار هو يصلّي لحاله، شوي شوي الناس صاروا يلاحظوا أنو هادا غير شي، قبل بفترة كان عندن خوري ترك سمعة سيئة، فصاروا يجوا يراقبوه هو وعم يصلي لاقوا أنو هاد صلاته غير شي، ومع الوقت أهل البلد صاروا يحبّوه ويجوا يصلوا وراه، بعد فترة صاروا سكان المنطقة يجوا لعنده، بعد فترة صيته طلع بكل فرنسا صاروا الناس يجوا يقعدوا يومين تلاتة لحتى يقابلوه، ويقضي ساعات بكاملها بكرسي الاعتراف، والخوري هادا أُطلق عليه اسم الخوري آرس نسبة للضيعة متل ما منقول خوري الخراب، وقت يلّي توفى سنة 1859 دفنوه تحت الكنيسة تحت الهيكل... بعد مدة عم

يكشفوا قام لاقوا جسمه متل ما هو، دفنوه بعد فتره كشفوه لاقوه متل ما هو، هلأ الكنيسة تبعو فيها الجثمان تبعو بقلب صندوق من قزاز، ملايين الناس بيجوا كل سنة بيزوروه، الكنيسة تبعو تاركينا متل ما هي، البيت الصغير التعيس تبعو تاركينو متل ما هو، عم أحكي لأبو عقاب، الطنجرة يلي كان يسلق فيها البطاطا تاركينا متل ما هي فوق الموقد، نفس حياة أبونا الياس أبداً ما تغير، سنة الـ 1996 رحت مع ميرنا لضيعة آرس، ميرنا تبع الصوفانية فدعونا وأجو ناس كتير، لاقيناهن عاملين متحف بقياس طبيعي على حياة هالقديس، سألت المسؤول عن المتحف قلتلو: كم زائر بيجي بالسنة لهون؟ قلي: خمس ملايين زائر بيجوا بيصلّوا على قبره من كل أنحاء العالم، هادا خوري آرس وكان الشيطان أوقات يحاول يحرقلو البيت تبعو، سيرته عجيبة يعني! كان أبونا الياس حاطط صورته عنده بالأوضة، كان شفيعه... إيه!

7) **إيهاب رزق معوض**

- أنا اسمي إيهاب رزق معوض، بناءً على طلب من أبوي وخيي رحت فترة نمت عند الأبونا الياس يعقوب منشان أخدمه هونيك، لبين ما دبّر شي حدا يقعد عنده، لأنو كان بهالفترة خيّي سافر ع لبنان، أنا وهونيك كان كل يوم أنزل عالمعهد الصبح، معهد مصري وأرجع كفّي النهار هونيك. مرة أنا وهونيك بالليل المسويّات كنت بالغرفة عيّطلي صوت قوي، نزلت ركض لعنده لتحت وللا كان في مرة وأختها وزوجها وولاد أربع خمس ولاد وعيطة... عيطة تحت مو مقبولة.

- مين يلي كان عم يعيّط؟

- المرا متل المجنونة كانت مبينة وصار يصلّي يصلّي أبونا الياس

- شو كانت تقول؟

- أنو هو السبب حاكية هالحكي لجوزا وهو السبب وتعيّط تعيّط، تطلّع فيني الأبونا وقلّي خلّيك واقف ورايي لأنو كانت عم تعيّط وتلولح

بديّاتا، وقفت أنا وصار يصلّي يصلّي يصلّي... وهي كمان بأعلى صوتها تعيّط، فترة ولاّ قلها باسم الروح القدس بقلّك اركعي، تقلّو هو السبب تقلّو هو السبب وما بركع، قلاّ يا بنتي باسم الروح القدس بقلّك اركعي، ما بركع، صارت تعيّط، وعلاّ صوتو أبونا الياس وقلا باسم الروح القدس بقلّك اركعي، ما شفنا إلا هالمرا انقطع حسّا وركعت، وصار يصلّي يصلّي يصلّي، خلّص صلاة قلّها شو حاسة أنك ارتحتي؟ قالتلو ايه حاسة راسي فاضي عالأخير، قلاّ قومي قعدي، وراق وما عاد انسمع حس لهالمرة وقعدت، يعني انسطلنا نحنا شو صار؟ قام قلها: شو كنتِ حاسة، شو كنت تشوفي؟ قالتلو: كنّا نفوت مثلاً عهالبيت بدنا نتغدّى نلاقي طاولة صفرة ممدودة كلها أكل من كل أنواع الأكل، نلفّ ضهرنا نرجع ما نلاقي شي، يقلها الرجال فوتي عملي قهوة تفوت تلاقي القهوة جاهزة، يجنّوا وعطول قلقانين هي وجوزها، قام طلعت رايحة لعند شيخ عاملها كتابات وعطول عم تروح لعنده، قام قلها: شو هالكتابات وين محطوطين هالكتابات حجابات؟ قالتلو في عنّا كتابة حاطّتها بجارور المطبخ، قلها: وين لسا في؟ قالتلو مافي قلها: لأ لسا في، قالتلو لسّا في بالخزن في وحدة، ايه يا بنتي وين لسا في؟ قالتلو تحت المخدّاية يلي منام عليها، قلها ايه هي ثلاثة وين لسا في؟ بتقلّو مافي، لأ يا بنتي في لسا، قالتلو بالجارور جنب التخت كمان في وحدة، قلها: ايه هي أربعة وين لسا في، قالتلو مافي، قلها: هَي أربعة لسا في ثلاثة هنّن سبعة وينُن يابنتي، طلّعنا هيكي، نحنا انسطلنا...!

- عدلها هنّن سبعة؟

- عدلها هنن لازم يكونوا سبعة وينن؟ قالتلو في وحدة على عتبة البيت، عالمدخل تحت العتبة حاطّينا، لسا في اتنين وينن يا بنتي، ما في، في لسا وينن، قالتلو في وحدة طامرينا بالتراب بالحديقة...

- طبعاً هو ميصلّب عليها شي ولا؟

- هي قاعدة هوني، بتعرف أنت وين كان يقعد؟ هي قاعدة هوني ايه وين لسّا في؟ ايه وين لسّا في؟

- بإيدو الصليب كان ولا لأ؟

- المسبحة

- عم يقلها ايه لسا في اتنين وينن، قالتلو في هي المزروعة بالحديقة حافرينا وحاطينا، ايه لسا في، متل مانو قاعد هيكي، والرجال قاعد هوني يعني على يساره، والمرة ايه يا بنتي لسا في، والتفت عالرجال قلّو: وينها؟ قلّو: معي هون بالسيارة، قلّو: طلاع جيبها، هو معه ميكرو تويوتا بيشتغل على حمص - المشتى، ميكرو أزرق، بيجبلو ياها هيك شكل مخمس فتحها طلع عرضها هيك (2 سم)، بطول شي متر ونص، كلا كتابات يعني كل شي حاولنا نقرأها ما فينا نقرأها، طلعنا لبرّا قلّي: جبلي السبيرتو لنحرقها، حط هالسبيرتو يشعلها ما تشعل، يحط بهالسبيرتو ما عم تشعل، يرش عليها مي مقدسة ما لقيناها إلاّ شعلت!

- بس رشها مي مقدسة قام شعلت؟ بالسبيرتو ما شعلت؟

- لأ، يعني عم يحط يحط يحط، ماعم تشعل وصار يرش عليها مي مقدسة قام شعلت، كباية متل ما هي قلي روح طرشا عالسيارة أنو رشّا ع السيارة مي مقدسة، رشيتلّو ياها ووقت رجعنا قعدنا قلّو للرجال: ليك كل شي عملنا ما منستفاد منّو إذا ما جبتلّي الكتابات كلاياتون بدنا نحرقن، شفت انت كيف كانوا عم يحترقوا قلّو: طيب هدول يلي حاططون بالتراب؟ قلو بترفش الترابات متل ما هنّن وبتحطّن بكيس. المهم بدّك تجيبن. كان هالحكي شي يوم سبت يمكن قلّو بكرا الأحد بتجي بتجبلي ياهن كلّن... والله وتاني يوم ما شفنا إلا جاية وجايبهن كلياتن شي كيس هيكي، وصار متل قبل أنو يحاول يشعلن بهالسبيرتو هيك صاروا كوم وما كانوا يشعلوا ويرش مي مقدسة ويشعّلن، قلّن اليوم الأحد بتجوا لعندي يوم الأربعاء لسا منصلّي سوا وهلأ بتصلّوا قدّام

العدرا. راحوا صلّوا، ويوم الأربعاء بدّي شوفكن ويوم الأحد كمان بدّي شوفكن، وبإذن الله ما عاد في شي، والله أجوا يوم الأربعاء زاروا ورجعوا أجو يوم الأحد وطبيعيين، وبعد فترة حكيت المرا مع الأبونا عم تقلّو انو عم يجيني تليفونات كتير عالبيت، أنو عطول وما عم أعرف مين، قلها هيدا الشيخ عم يستفقدك لأنك ما عم تروحي لعنده، قلها بس عطيني جوزك حكى معه قلّو بتغيّر رقم التليفون وبإذن الله ما في شي.

- ومشي الحال؟

- ومشي الحال

- وبالمرة التانية يلي أجت ما عادت قالتلو أنت السبب

- رجعوا طبيعيين وعطول بيسألون كيف الوضع عندكن وبيقولوا... لأ تمام كتير منيح

- المجد للرب، وكيف كان الخوري الياس قبل ما يتوفى بيوم بيومين؟ يعني كيف شفته؟ لانو انت كنت موجود معه؟

- عطول مثلاً كان هو يفيّقني لأنزل عالمعهد، أنزل لاقيه قاعد عم يصلي، يعني كيف ما اتحرك لاقيه عم يصلّي، يطلع لفوق عم يصلّي ينزل عم يصلّي عطول كل الوقت، لمرة قلّي بالليل أنو بتمرق عليي الصبح بتستفقدني بركي ما فقت فيقني محتمل كون هيكي حاسس حالي مكرّب او شي، أنا ما عرفت شو لبعد ما توفى، عطول كان هو يفيّقني مثلاً لأنزل عالمعهد أو لنفطر سوا حضّر فطور ولا مرة قلّي هالكلمة!

- يعني بنفس اليوم يلي توفى فيه يلي قلّك هالكلمة؟

- ايه بالليل كان يومتا تاني يوم الصبح فوراً توفى

- يعني كان حاسس حاله بدّو يموت؟

- ايه هيك حسّيته لأنو عطول صلاة صلاة صلاة ما طبيعي

- قلّك ياها بس هالمرة؟

- ايه المرة الوحيدة يلّي قلّي ياها

- شكرا إلك إيهاب!

8) يوسف جرجس معوض

- يوسف عوض مواليد 1947، من الجنينة، رح أحكيلك شو صار معي بالتفصيل... يعني أنا كنت أتحكّم عند "موسى خليفة" شي سنتين تلاتة، وبالنهار روح لعنده أيام مرتين تلاتة...

- الأب زحلاوي: بس أي سنة صارت معك تقريباً؟

- يوسف: يعني بين 1988 و1990 أكيدة، يعني قبل ما ننزل عالمدينة وصوّرت، ونظّرت، معي قرحة بدها عملية، حماني عن كل شي حر وفليفلة ومشروب ودخان... وقلي بدّك تشرب حليب كتير... الحليب بيعمل غشاء عالمعدة... برتاح شوي بس ضل الإزعاج هو نفسه. ضلّيت أتحكّم شي سنتين أو تلاتة ما عاد ذاكر قديش بالضبط. في مرة إجا دكتور غسان لعنده عالضيعة...

- الأب زحلاوي: دكتور غسان مين؟

- يوسف: دكتور غسان فنيانوس دكتور شاطر كتير، خدت الصورة وطلعت لعنده، شاف هالصورة وقلّي هيدي بدّك تحتمي عنفس يلي كان يقلنا عنّو دكتور موسى خليفة، وهيدي قلّي بتصير معك أكتر شي بالربيع، بتتحرّك معك وبيصير معك هيجان وما بعرف شو بيسمّوه وما تخاف منها وكذا، ولا تعمل عملية وخلّيك عالحبوب.

- الأب زحلاوي: كنت تراجع الطبيب كتير؟

- يوسف: كتير كتير قلتلك أيام مرتين تلاتة...

- زوجته: متل الطفل يبكي من وجعه!

- يوسف: يعني أكتر شي أيام الشغل أيام ما كان في خيار وبيتنجان وفليفلة هالأيام هيدي أو قبل بالشهر السادس يمكن، وقضيت أيام صعبة كتير أنا.

- الأب زحلاوي: وبتروح تلات مرات عالطبيب

- يوسف: أيام كتيرة تلات مرات ومرتين، ما كون وصلت عالبيت إلا

أرجع عالدكتور عند موسى خليفة، آخر ما في جيت لهون مدايق كتير، عندي عالم بالمحل عندي عالم هيك وعم حمّل خيار وبندورة وفليفلة، والصبي عندي قلتلّو روح لعند أبونا الياس قلّو بيقلك بيّي معدته عم توجعه روح لعنده قلّو بدّك تطيبلو ياها عم توجعه كتير، وراح لعنده واستقبله أبونا الياس قلّو بيقلّك بيّي هيك هيك معدته عم توجعو، قلّو: تكرم عينه لبيّك، تعا معي فات معه لجوّا عطاه قنينة زيت ما بعرف بتطلع سانتي، قنينة صغيرة وقلّو بإذن العدرا ما بتوصل عمعدته إلا ما تطيب، إجا الصبي ونقلّي حرفياً شو قلو أبونا الياس وأنا على وصلته كمشتا وكرعتا، كرعت قنينة الزيت وعطيتها لهالصبي وجيت نمت وقمت، ممنوع عن اللحمة ممنوع عن شي ممنوع عن كل شي، وقمت مرتاح ما بعرف أنو... شربتا ما بقى فكر إني طبت المهم ولاّ نمت وقمت مرتاح، مرق النهار ومرتاح أنا بشرب قهوة كنت سادة قالولي شربا بسكر لأنو سادة بتضرّك، رحت لعند واحد صاحبي اسمه أسعد سلّوم رحت لعنده تاني يوم قلتلّو والله يا زلمة اليوم أنا مرتاح بدّي أشرب قهوة سادة هو بيشرب قهوة سادة.

- الأب زحلاوي: ليش ما طلبت من أم جورج تعملّك قهوة؟

- يوسف: أنا بروح لعنده كل يوم... اسألها

- زوجته (إلهام مطانيوس معوض): ايه كان هو وياه متل الأخوة

- يوسف: بروح لعنده بشرب سيكارة وبشرب فنجان قهوة، يومياً بروح لعنده، رحنا لعند أسعد سلوم قلتلها لمرتو لا تحطيلي سكر عطيني قهوة سادة، شربت شفّة ما وجعتني معدتي، شربت تاني شفة شربت الفنجان كلّه ما وجعتني معدتي!

- زوجته: متل كأنه بدو يشوف بدها توجعه أو لأ!

- يوسف: قلتلّو لأسعد هيك هيك صار معي قلّي أنت عم تمزح معي قلتلو والله هيك صار معي قلّي وما أشبني شي. والله وجينا عالبيت ومرق تاني يوم وتالت يوم...

- زوجته: يقلي خلص أنا طبت من وقت شرب هالزيتات وهو عنده يقين أنو هو طاب!

- يوسف: قلتلّها عمليلي صحن فليفلة من هالحرة، راحت عملتلي صحن فليفلة حمرة وكبّاية عرق وشويّة جوزيّة وشويّة سمك وقعدت الطربيزة يمكن هون، وقلتلها هلأ يا بتاخدوني بتعملولي العملية يا بتودوني عند أبونا الياس..! حرفياً متل ما قلتلّك، والله جابتلي صحن حرة هيك بس والله شو، بيشلفط... بيشلفط من الحر!

- الأب زحلاوي: وأنت قدّيش صرلك ما أكلت هيك أكلة؟

- يوسف: شي سنتين تلاتة... ممنوع ممنوع آكل شي، حطيت كبّاية هالعرق وبلّشت... أكلة من هون ولقمة من هون بالملعقة حر، مع السمك طيب الحر، أبونا شي مو معقول، شفت العرق كيف كان يعني شو بدي قلّك عرقي يكتني هيك كت كت، تقلّي: والله بدّك تموت... قلها: بس خلص كبّاية هالعرق. أنا بدّي فوت نام وشو بيصير فيني عالمستشفى. عن قوة عم بحكي ما ني خايف، خلّصت هالأكل وقمت وشربت سيكارة وعالفرشة... نمت وقمت متل الحديد، قلتلها فعلاً أبونا الياس قدّيس، حرفيّاً قلتلها شوكة وقبعتها... نزلنا لعند الدكتور موسى خليفة قلتلّو عملّي تنظير ايه عملّي تنظير، قلّي شو عملت؟ قلتلّو شوف شو عملت وفسرتلّو المرة ايه يا عمّي ما بقى في شي جنّ جنّ شو هيدا، قلّي شو عملت؟ قلتلّو ما عملت شي أبونا الياس طيّبني عطاني قنينة زيت شربتا وطبت..!

- أبو جورج بين التنظيرين قديش المسافة يعني بين أوّل تنظير قلّك معك قرحة وبعد ما طبت؟

- عوض: تلات أربع أشهر أول شي كان يحكّمني بدون تنظير، أول شي حكّمني بدون تنظير، كان في عندي وجع يعطيني حبوب ودوا، والله يعطيني الحبّة بهديك الأيام حق الحبة 50 ليرة.

- زوجته: يقلّو جبتها من فرنسا هيدي ما في عنّا منها هون!

- يوسف: ما بعرف إن كنّو تجاري هو مادي، ما بعرف شي عنه، بس يقلّي حقّ الحبة 50 ليرة شو يقول أنو قوية انبسط ما يهمني المصاري المهم يروح الوجع، عيّط لأم جورج قلها تعي اتفرجي قلتلو أنا أبونا الياس طيّبني ما حدا طيّبني غيره قلّي أنت زلمة مؤمن ومن يومتا لهلأ ما دست دكتور عشرين سنة!

- عشرين سنة؟!

- يوسف: ايه عشرين سنة وأكتر... من التسعين مالي متأكد من التاريخ بس بشوف الصور منقدر نعرف.

- أبو عقاب: عم يقلك من 88... 90

- زوجته: وأنا أنا يارب تنجينا من كلمة أنا، وقت أنا قالولي الدكاترة معي بعيد عنكن مرض، وقلهن يمكن تنجا يمكن لأ، بدنا نفوتها على العملية يمكن إذا ضلّت أكتر من ربع ساعة بيجوز تعيش شي شهرين تلاتة، ابني راح لعند العدرا، دخليلك يا عدرا وركع قدام أبونا الياس والدنية شو بدي قلك يا أبونا... أنا هنّن حكولي ما بعرف ما كنت بالمشفى بالشام... كانت شتا طوفان.

- يوسف: كان معها سرطان بالمعدة ومنتشر... أخدوها عالشام حطينا كتير مصاري، قالولنا ما منها أمل، هي كانت مآمنة طبعاً لجنة الأطباء إنو عم يقولوا لابني إنو بدنا نشق، هي قالتلن لأ شقوني أنا ما رح موت، هي شافت شو عم يحكوا..! عندي هالصبي "يامن" ربِي عند أبونا الياس ما بيعرف شي فعلاً متل الخوري، بيعرفو أبو عقاب، ما بيعرف شي ما بحس حالو بالدنيا، عطي مصاري قلّو خود مصاري بيقلّي أنا ما بدي شي... لك مشان أنت إذا أنا متت ما بدك تفتح شغل؟ أبداً... المهم راح لعند الخوري الياس ركع... أنا حكالي مارون لحود ركع والدنيا عم تشتي تبلّل، ما حس ع حاله... تبلّل... طوفان الدنيي أجا عليه مارون لحود قلّو يامن قوم قوم... مي مي... كأنو حاطّو ببرميل جابو وإجا، عم

يصلي لأمّه! تاني يوم، والحمد الله نزلوا ع العملية قالو لأخوي... أخوي عميد بالجيش قالولو بيجوز تضل عشرة... إذا ضلوا ساعتين طلعوا من تحت طبشولو للصبي قالولو أمك بدها تعيش! والحمد لله...

- مبروك

- زوجته: الله يبارك بعمرك الله يشفي جميع المرضى الله يقوي الإيمان بقلوبنا بس، بس هاد هو المهم قلتلّن أنا ما بدي بني آدم يقرّب لعندي قبل العملية ما تخلّوا حدا يجي من الضيعة لعندي، معي صورة الرحمة الإلهية دخيل اسمه قلتلّن ما بدّي حدا يجي معي ما بدّي شوف حدا قبل ما فوت عالعمليّة... حاملة صورة الرحمة الإلهيّة خدتها معي من هون! بس حطيتها قلتلّو دخيلك أنت أول شي، أنت بدك تعملّي العملية، أنا فايتة والدكاترة معي بس أنت بدّك تعملي العملية... يعني الدكتور يلي عملي العملية بالشام اسمه "هشام ملحم" وقت يلّي فات أنو هو بدّو يحكيني بعد العملية... قلّي فعلاً يا أم جورج إيمانك طيّبك يا هالمرة شو هالإيمان يلّي عليكي قلتلّو دخيل اسمه هو بيعرف بدّو ياخدني ياخدني.

- يوسف: يعني في مين اشتغل معنا!

- الأب زحلاوي: هي من كم سنة؟

- زوجته: هي إلي تلات سنين عاملة العمليّة كانو الدكاترة قالولي بتعيشي تلات أشهر!

- شخص: يعني طلبتي من الخوري الياس بعد ما توفّى

- زوجته: ايه بعد ما توفى، ما أنا... ابني "يامن" يلّي طلب، هو يروح يصلّي يركع شافوه يمكن كان الخوري بسام حكيهن لهون انشغل بالُن عليه حكي مع مارون لحود، راح مارون لحود قال يا عمّي هاد متل كأنه غايب عن الوعي لك "يامن... يامن" أنت مي تحت الشتي شو صاير معك ألك ساعة قوم قوم ولا يحس على حاله والدني عم تشتي طوفان وأنا كنت بخطر وزال، نشكر الله نشكر الله... الفضل لله

- يوسف: أبونا الياس قدّيس... قدّيس، أنا بروح بطلب منه، وشو بطلب منو بتفتح بوجهي بكون مدايق... مدايق بشغلات، بطلب منه بتنفتح بوجهي بطريقة، غير طريقة ما بعرف، أبونا الياس الله يرحمه هيدا قدّيس ما مات ايه والله... وهيدا يلّي صار معنا.

- الأب زحلاوي: ما تنسى تدوّر لي عالصور.

- إيه اليوم اليوم إذا الله راد، بس يجوا الولاد... تكرم عيونك اليوم ببعتلك ياهن.

- لا تبعتن، بيجي هشام بياخدن.

9) **صحفي في جريدة الثورة**

- بس لو سمحت خلّيه يقول اسمه بالأول لأنو عم نصور...

- بشتغل صحفي بجريدة الثورة، بالزمان مرضت مرض قلتلّك "الطوق" اسمه، التهاب أعصاب، راجعنا الدكتور قال هيدي مرحلة بتصير متقدّمة بتوصل لمرحلة منيحة وبدّك تدخل مشفى وبتوصل لمرحلة أنو احتمال القلب وبيصير معك شي بيخوف وبدّك متابعة، فصرنا ننزل لعند الدكتور، ووصلت لمرحلة ما عاد فيني أمشي، وصلت لمرحلة ما عاد فيني. آخر شي قلّي إذا ما فيك تجي انت أنا بدي راجعك...

- الأب زحلاوي: من كم سنة؟

- هالحكي صرلو شي 11 سنة، أبونا سمع بالموضوع، والله أنا ما رحت لعنده، هو بس في علاقة أنا بحبّه كتير، وأنا بعتبره قدّيس، أنا ما عندي إيمان كما يجب بس بؤمن بهالشخص أنو كتير، إلنا ثقة كبيرة فيه، سمع وهو بحبنا كان، سمع بالموضوع إجا لعندي، إجا لعندي كنت لحالي بالبيت، بنتي كانت بدها لقاح أخدتها مرتي وطالعة عالضهر والشباب بالمدرسة وكنت لحالي بالبيت، طلع لفوق ما بعرف مع مين ودق الباب والله العظيم مافيني افتحلو الباب، زحفت وفتحتلّو الباب،

كنت لحالي صدفة بالبيت وعأساس ما حدا بدّو يجي، إجا أبونا قمت فتحتلّو الباب، فات قلّي: يا أبني شو قصتك؟ قلنالو: هيك القصة...

- زحفت عالأرض؟

- ايه ما فيني أمشي، وصلت لمرحلة ما فيني أمشي نهائياً، كنت بمرحلة، بدي أدخل المشفى! حكينا مع الدكتور عصام جاي ياخدني عالمشفى... ندخل فترة لأنو صار بدها مراقبة، أنو عضلة القلب تتشنج أو يصير عليها شي.قعد قلّي يا ابني أنت ما بيصير تمرض أنت كذا أنت يعني آدمي، ومن هالحكي حكى حكي حلو... معو قنينة زيت قلّي: "بقوّة العدرا" إذا الله راد بدّك تمشي وترجع طبيعي، أنا رجلي ما بحس فيها، انا سكين، انا نزلت عند دكتور عصام آخر مرة قبلها بشي أربع خمس أيام، دكتور عصام معوض دكتور عصبية، منظر أنو عم يطلع الدم من رجلك وأنت مانك حاسس برجلك منظر بيخوف ما في أصعب من هيك منظر، انت شايف الدم عم يطلع من رجلك وأنت مانك حاسس فيه، فشال نقطة والله نزلت نقطة زيت قديش حرارة الزيت والله العظيم حسّيت فيها على رجلي، حسّيت فيها مسحلي ياها قلّي "بقوة العدرا" بدك تمشي، اليوم بتتعذّب وبكرا بدّك تمشي إذا الله راد، قلّي بقوة العدرا بدك تمشي، عاد هي... حكيت مع بنت نبيه أنو بدّك تشرب شي قلّي لأ.حمل حاله وراح، تاني يوم طبعاً أنا سهرت هداك اليوم سهرة توجّعت شوي وكذا بس والله العظيم ستة الصبح أو خمسة الصبح كان وقتا خيّي إياد عنا.والله خمسة الصبح مشيت بس الوجع يلي صار بجريّاتي أنوجعت، كأنو حسيت بوجع صار في ألم برجليي ووجه الصبح مشيت قمت الصبح عم أمشي على رجليي... نزلنا لعند الدكتور عصام الساعة عشرة ونص نازل لحالي والله ما حدا سندني فتنا لعنده سلمت عليه صاحبي هو، نزلت مع خيّي، فتنا لعند الدكتور عصام طلّع فيّي قلّي انت شو قصتك؟ قلّي قبل ما جاوبك وأحكي معك فتح هالكومبيوتر قلي أنت لازم تكون جاية عحمّالة هلأ والله

العظيم، قلّي أنت لازم تكون جاية على حمّالة بدنا ندخلك مشفى شو صاير معك؟ قلتلّو هيك هيك صار معي، قلّي أنت صاير معك شي بس خيّي أنا ما بؤمن..! هو شيوعي خريج الاتحاد السوفيتي، قلي أنا ما بؤمن، بهي الحالة... قلّي أنت صاير معك شي مو طبيعي أنت اختصار المرض بهاللحظة هيدي والرجوع عنه بهالسرعة هيدي أنت في شي مو طبيعي صاير معك! قلنالو هيك هيك القصة، طلعنا من عند الدكتور طلعنا لعند الأبونا كان هو جوا سلّمنا عليه أبونا كيفك، قلتلّو أبونا أنا مشيت، قلّي: ولك يا أبني أنا ما قلتلك بدك تمشي، يشهد الله عليّ كأنو شايفني قبل بنهار، قلّي يا ابني أنا ما قلتلّك بكرا بدك تمشي بقوة العدرا، يعني ما أنو تفاجئ او برافو أو شي لأ لأ كأنو عم يحكي عن شي كن فيكون، عن جد انو الموضوع منتهي منّو، يعني هي الشغلتين: الأبونا وقت شفته قلنالو أني انا مشينا ووضعنا جيد والثقة يلي كان عم يحكي فيها أنو انا قلتلّك بدّك تمشي ومشيت والشغلة التانية نقطة الزيت وقت نزلت عرجلي وحسّيت فيها كتير كان شعور كبير، هدول الشغلتين ما بنساهن طول حياتي الاتنين، قعدنا عند الأبونا شربنا فنجان قهوة حملنا حالنا ومشينا، انا ماني قدّيس، أنا عفواً ماني مؤمن أنا عالصلاة بروح قليل، أنا بروح بالست أشهر بالتلات أشهر مرة، وإذا رحنا منروح بالمناسبات.

- الأب زحلاوي: بس في إيمان...

- ايه، كمان حتى إيمان، كإيمان متل ما بيقولوا تقاليد وتعاليم وشغلات من هدول، جد أنا أُعتبر كافر بالنسبة لديني، يعني ما منعرف حالنا كل واحد؟ بس أنا إلي ثقة كبيرة كتير بأبونا، وهو فعلاً قدّيس ولا رح نشوف ولا رح يجي متله معلشي مع احترامي لكل الكهنة بس أنا بعتبر انو مارح يجي متله، يعني يجي إنسان بالكامل للناس ولمحبّة الناس ولاحترام الناس، ضحّى بعمره وما طلب شي، بعمره ما أكل شي، بعمره ما أكل شي بحبه، بعمره ما طلب شي بحبّه... قال والله أنا جاي

عبالي أكلة، بعمره ما قالا، الله يوفقه نحنا ما مننساه، أنا ما بنساه حاططلو صورة عندي كتير بعزّه، كتير ما بنساه، محبتي فيه خاصة كتير، وبعتزّ فيها.

- الأب زحلاوي: شكراً لشهادتك كتير حلوة

- الله يخليلنا ياك، يعني هادا أقل واجب بنعملو وانشاالله نحنا منتمنى... يعني حتى لو ما... أنا بالنسبة الي منصبو قدّيس من زمان.

- الأب زحلاوي: وما عاد حسّيت شي برجليك؟

- لا لا أبداً، والدكتور عصام هلأ إذا شي مرة بدي أرجيك ياه، بيحكيلك بس قلّي ما بعترف أنا مو معقول إني أنا كطبيب وكذا اعترف قلّي بهالحالة المرضى يلّي عندي ببعتون لعند الأبونا، عرفت كيف، بعدين قلّي أنا كافر أنا كافر أنا خريج الاتحاد السوفيتي، بس قلّي صاير معك شي، قلّي عالكومبيوتر صاير معك شي مو طبيعي، أنت لازم تجي لعندي بحمّالة وجاية ماشي معناتا في شي مو طبيعي.

- الأب زحلاوي: استمرار الشفاء عندك ما أثار عنده سؤال؟

- عند الدكتور؟

- الأب زحلاوي: ايه؟

- مبلى، بس هيدي نوع من الكبرياء وكطبيب وعلم وكذا، ما بيحكي فيها، وهلأ مقتنع أنو في شي... بس ما بيحكي فيه.

- الأب زحلاوي: طيب كمان سؤال، صدف ومرقت بشي ظرف كتير قاسي بعدين؟ صحي أو نفسي أو عملي يلي بدّك، وخطر ببالك تطلب من أبونا الياس يساعدك ولا لأ؟

- ما صار معي!

- الأب زحلاوي: ما صار معك

- بس أنا كل ما رحت لهونيك بكل مناسبة بمر هيكي بحيّيه، كل فترة حتى صورته هون بس شوفها هيك بحس بأنس... بمحبة وفراغ لألو...

- الأب زحلاوي: قدّيش إلك ما رحت لهونيك؟

- ما صرلي زمان كنت هونيك!

- الأب زحلاوي: قدّيش؟

- يوم المناولة، يوم الأول قربانة... من شهر

- الأب زحلاوي: ما شفت شو غيّروا بوضع التمثال؟ عرفت هلأ شو وضع التمثال الجديد؟

- لأ الجديد لأ، لقلّك شو صار، رحنا المسا ورحنا متأخرين وفتنا عالقاعة والعالم معنا وطلعنا دغري، ما مرقت لهونيك...

10) **ريمون كاملة**

- ريمون كاملة: أنا ريمون كاملة من سكان الخراب ومن أصحاب أبونا الياس الله يرحمه، حصل معي أني أكلت "سفقة" هوا على عيني، الجفن تبع عيني ارتخى، وصرت روح عدكتور هون بطرطوس حتى دخت... وطلعت عالشام مرتين تلاتة، لعند أحسن دكاترة ولا حدا عطاني حبّة أسبرو، وما عرفوا من شو! حطيته ببالي من الشام وجيت، جيت من الشام وضلّيت رايح لعنده، كان كاسر إيده قلتلّو أنت بدك تطيّبني!

- الأب زحلاوي: من كم سنة مسيو ريمون؟

- ريمون: من كم سنة... قبل ما يموت بسنين، لحددلك أي سنة.

- الأب زحلاوي: هو توفى بـ 2005.

- ريمون: 2005! من 2002 صارت الحادثة، قلتلّو أنت بدّك تطيبني، قلّي "بإذن العدرا"، بإذن العدرا أنت عبكرا بدّك تطيب بإذن العدرا عبكرا بدك تطيب، يبعق بهالدير بإذن العدرا عبكرا بدك تطيب! وطلّعني لفوق وصلاّ عليّ ودهنلي ياها زيت وقلي عبكرا بدك تطيب، ما قلي اليوم! وجيت... نمنا وقمنا وقضينا نهار نفس الشي، وأنا قاعد هون ساعة وناطر! وقلت ليش قلّي بكرا؟ ليش ما قال اليوم؟ وناطر بكرا وإجا بكرا،

طلّعت بالساعة كانت سبعة انا رحت لعنده تسعة، رحت تسعة المسا، وطلّعت كانت سبعة قلت لسا في ساعتين، انا بيني وبين نفسي ناطر الوقت، وقلت لسا ساعتين والله ما كفّيتا وطلعت من تمّي... بقلبي عم قول لسّا ساعتين، ما شفت إلا جفني نفض نفضة... اتنين وعيني عملت هيك، بأقل من ربع جزء من الثانية... وجيت طيّب.

- الأب زحلاوي: شو كنت عم تشكي عالضبط؟

- ريمون: جفني مرتخي ما فيني ارفعه، ما فيني فتح عيني... بدّي روح لعنده المسا قلت خلّيها للصبح لنشوف... نتأكد! شوف الإنسان قدّيش بيضلّ بيشكّ مع إني مؤمن فيه. قمنا الصبح تاني يوم الساعة تمانة وحياتك رحت لعنده، ما بقى فيني أقعد. لقيته نايم قالتلي: لساه نايم، قلتلها: بدي أطلع عليه، قلّها: خليه يجي، ملقح بهالتخت مسكين مغطى بهالشرشف غمرته هو والشرشف وقعدت صرت بوسه، قلتلّو: دخيلك أنا طبت، قلّي: العدرا طيّبتك وإيمانك طيّبك أنا ما إلي علاقة، قلتلّو: أنت بواسطتك أنت يلّي طيّبتني.

أبو رفعت صهري طلع معي عالشام كمان شو؟ ركبته بتوجعه ما فيه عم يمشي، معه عصا صرلو حاملها عشر شهور. وقت يلّي طبت قلتلّو: ما بتآمن أنت؟ قلّي: كيف ما بآمن، قلتلّو: ما شفت شو عمل معي؟ روح لعنده... روح لعنده! أخدتو وراح صلالو دهنلو ياها زيت وإجا تاني يوم... تالت يوم هاد عم يمشي بدون عصا. قلتلّو شوباك؟ قلّي: والله ما عاد حسّيت فيها.

- الأب زحلاوي: وقدّيش إلو عم يعاني من ركبته؟

- سنين، وجع ركبة هاد، ختيار هو كان والله طاب وطاب وطاب ومات وما عاد حمل عصا.

- مظبوط حكالي ياها هو كان نامي عنده غضروف!

- ريمون: طلعنا عالشام، عالفرنسي قلّو بدّك عمليّة، ما رضيان

يعمل عملية، وإجا وطيّبه أبونا الياس، أبونا الياس كانت إيده... الله يرحمه، قدّيس، بدّو يجي يوم العالم كلاّ بدا تكون عم تزوره وتطلب منه.

- الزوجة: أنا بعد ما مات يا أبونا، عمل معي عجيبة... أنا نفس الشي ركبتي كانت كتير كتير عم توجعني، وطلعت عالسقيلبية عملّي جلسة فيها، ما طبت عم توجعني وتوجعني، بعد ما توفّى رحت لعنده وحضنته هيك، وقلتلّو دخيلَك أنت أبو العجايب! أنا كل ما إجي لعندك تلبّيلي طلبي، أنا ركبتي عم توجعني دخيلَك يا أبونا!

- حضنتِ التمثال يعني؟

- الزوجة: إيه حضنت التمثال وقلتلّو دخيلَك يا أبونا...

- الأب زحلاوي: أي سنة هالحادثة هي؟

- الزوجة: عمنوّل، عمنوّل... ما كان ألو أشهر متوفّى، وحفّيت رجلي بالمنشار يلّي تحت، الديسك الديسك، شفتو ما شفتو؟ قلتلو: دخيلك بدّك تطيّبلي ياها وحفيت ركبتي فيها!

- الأب زحلاوي: حفّيتي رجلك بالصاروخ؟

- الزوجة: إيه بالصاروخ الصاروخ الشفرة تبعيتو، وقلتلّو دخيلك، أنا مآمنة فيه أنا، قلتلّو دخيلَك بدّك تشفيلي ركبتي، والحمد لله نشكر الله، الله يرحمه ويجعله بالجنة، ما عاد حسّيت فيها الحمد لله. قلتلّن عمل معي عجيبة أبونا الياس بعد ما توفى طيبلي ركبتي. ولهلأ الحمد لله نشكر الله.

- الأب زحلاوي: وكان إلك زمان؟

- الزوجة: أيه كان إلي شي تقريب سنتين بعاني منها، وأخدت حبوب وما حبوب وهيك شي، ما مشي الحال، هو دخيله لأن إيماني كبير فيه.

- الأب زحلاوي: شو عندكن غير ذكريات عن أبونا الياس؟ يعني هلأ وقت واحد يقولكن أبونا الياس يعقوب شو بيجي لبالكن؟

- ريمون: أنا بدون ما تقلّي بروح لهونيك تقريباً يومياً، وما بيجوز

روح لهونيك مرة إلا بدّي أوقف قدامه وصليلو مرة أبانا ومرة السلام، ما بيجوز إلا بزوره متل ما بزور العدرا دخيلا، وأنا بطلب منه يتوسطلي عند العدرا لشي بدّي ياه، بقلّو أنت وسيطنا أنت بواسطتك... أنت وياها جيران، لهلأ كل ما رحت بدّي زوره! بذكره مرة أبانا ومرة السلام... أبونا الياس هيدا ما مننساه.

- الزوجة: أبداً قدّيس... قدّيس الله يقومه بقداسته...

(انقطاع في الفيديو)

- ريمون: ... ... كل الصفات البشرية الجشعة، شو كان؟ بابه مفتوح بعمره ما سكره، بينام والباب مفتوح! ما بجيبته شي، ما عنده شي، ما بيملك شي، مين ما إجا لعنده بياخد يلّي معه، ما عنده بهالدنيا شي، كان إلا... لا ياكل ولا يشرب عالحاجة، عالضرورة!

- الزوجة: للفقرا كان روح قلبه الفقرا، كان شو ما نعطيه كان يقول بصندوق الفقرا... حطوا بصندوق الفقرا!... انا ما باخد شي لجيبتي لا كان عمادة، لا كان إكليل ولا كان جنازة ولا شي، أبداً صندوق الفقرا...!

- ريمون: والله كأنها العملة كانت بتعضّه، بتعضه كأنها العملة بتعضه، بيتحسّس منها بينمّل جسمه منها ما بيمسك شي بإيده.

- الأب زحلاوي: حلوة هي الكلمة العملة بتعضّه!

- ريمون: عم قلّك تحاول تعطيه "قدّاس"... حاول تعطيه، بيقول: لا لا... ينفض حاله منها، شوف سبحان الله وين بدّك تلاقي واحد هيك؟

- الزوجة: صعب نلاقي متله عن جد!

- ريمون: بالسما بإذن الله بالسما، وبدّو يتقدّس بيوم من الأيام...!

- الزوجة: وعم يتشفّع فينا وعم يصليلنا

- أكيد طالما بعد موته شفاكي!

- الزوجة: ايه ايه أبداً عم يصليلنا

- ريمون: أنا بيصلّيلو مرة أبانا والسلام، وبقلّو والله مانك بحاجتن وأنا متأكد أنك مانك بحاجتن بس لعلّن! لأنك أنت عم تصليلنا وتتشفّع فينا!

- الأب زحلاوي: سيد ريمون انبسطت بوضع التمثال الجديد؟

- ريمون: هلأ؟

- الأب زحلاوي: ايه

- ريمون: صرلي سنتين اسأله كلما اجتمعنا بجنب المجلس بطالب فيه، كتير أمهلوه وكتير... شو بعرفني، إن كان منيح ولا مو منيح المهم حطّوه جوّا، حفظوه أكتر.

- الأب زحلاوي: لأ بس لائق أكتر هلأ!

- ريمون: طبعاً...

- الأب زحلاوي: أنا كنت بفضّل يكون التمثال محطوط فوق، قدّام الهيكل، لأن حياة أبونا الياس كانت ملازمة للعدرا ليل ونهار!

- ريمون: ايه منيح وراء ضهرها لزقوه فيها، حاميته..!

- الأب زحلاوي: هلأ هون أليق من قبل!

- ريمون: طيب هون اختاروه

- هالمقام يلي عمل هالمركز ألو أبونا الياس يعقوب صار معروف بسوريا كلها العالم تجي تحجّ.

- الأب زحلاوي: لأ لأ مو بس بسوريا... بكندا واستراليا في ناس من الساحل ونقلوا خبره هونيك...

- ريمون: صاروا يجوا يحجّوا عنده... بتلاقيُن جايين من الأردن من ما بعرف وين، أبونا الياس أبونا الياس، هالمكان يلي هو هلأ صارت العالم تجي تفوت لعنده برهبة وخشوع.

- الأب زحلاوي: وبإيمان

- ريمون: أبونا الياس حدا فيه يعمله هيك؟ حدا فيه يمجدوه ويصير يخلّي العالم تحترمه هيك، ما حدا فيه، سبحان الله في سر هو.

- الأب زحلاوي: هلأ بحكيلك حادثة حكيتلّن ياها...

(انقطاع في الفيديو)

عطينا شهادتك، أنت كشب شو بيترك بذهنك أبونا الياس؟ كصورة؟

- ابن ريمون كاملة: أبونا الياس كان رفيق الكل الكبير والصغير، يعني على طول كنّا... بحكي عن حالي كنت كل ما أتدايق روح لعنده. وقّف شوي عند العدرا وفوت لعنده أحكي له مشكلتي. بكل رواق وهدوء يقعد ينصحني اعمل هيك وسوّي هيك، الله يرحمه مات، من وقت يلّي مات لتاريخ هالساعة... منروح على أديرة على كنائس من طائفتنا ولا من غير طوائف، بتمنّى إنو شي يوم أحظى هيك بشي تيب يشبهه لأبونا الياس، يعني مع احترامي طبعاً لكل الخوارنة واحترامي للتوب يلي لابسينه... صعب يلتقى متل أبونا الياس..!

- الأب زحلاوي: ايه صعب، نسيج وحده أبونا الياس! حقيقة...

- الابن: وأنا باعتقادي قدّيس، بقول قدّيس ما بقول أبونا، كان رفيق الكل...

- ريمون: كان يعطف عهالولاد الصغار وعالكبار إلو هيبة وإلو احترام وخشوع، لأنن من خلال حياتن معه، كانوا حاسّين هيدا مو إنسان عادي.

11) **الياس مارون كاملة**

- أنا الياس مارون كاملة من مواليد 1943، إجا لعندي أبونا الياس زيارة، كان الطقس ماطر وعواصف قوية كتير! بقى نزلنا بدنا نسكّر البواب يلي عالبيوت البلاستيكية، ما كان يقبل نسكّرُن نزل هو معنا، أخد الانجيل وفات لجوّا وقلّي لا تسكّر لا باب ولا شباك، اتركلي ياها مفتوحة، ويلّي بيصير أنا المسؤول عنه! فتح هالانجيل، شو قري بهالانجيل، يلي مكتوب بهالإنجيل، وفتح الإنجيل، وتركه مفتوح وترك

هالبواب كل شي مفتوح، تاني يوم ما كان في عندي أي ضرر عالبيوت البلاستيكية، وقبال الإنجيل في بير مي، الصبح قمت وإلا تفاجأت المي طالعة من بوز البير.

- لحالا؟

- طبعاً لحالا، علماً أنو العاصفة كان ضررها كبير بالمنطقة وحواليها والمناطق القريبة عليّ كتير كتير جدّاً يعني!

- وأنت ما تآذيت منها؟

- الحمد لله ما طار عندي ورقة بندورة!

- جيرانك تآذوا بالعاصفة؟

- تآذوا جدّاً طار النايلون وخربت بيوت البلاستيك وانعجنت بالحديد!... وأنتي بالنسبة للمرأة شو صار معها؟

- الزوجة: عندي رفيقتي وزميلة، معلمة من صافيتا اسمها ماريت يازجي، تزوجت من فترة وعاشوا سنين ما إجاهن ولاد، حبّوا يتبنّوا ولد، وتبنّوا، وبعدما كبر ووعي، إنو ما هنّن الأب والأم، تمرّد عليهن، صار يعذّبن ويسرقُن، وكتير أعمال بشعة يعملها، حتى على مستوى عصابة، والأم سمعت بالأبونا الياس يعقوب، إجت من صافيتا لهون بشهر العدرا وحكت معي من عند بيت قريب عالكنيسة وقت عرفت أني أنا هون، وقلتلها شو عم تعملي هون؟ قالتلي جاية لعند أبونا الياس حتى يصلّيلي منشان هالولد يهديه ويركن ويرجع لوعيه، رحت معها، وكان الأمر، وصلالها أبونا. مرّت سنين والتقيت فيها وسألتها كيف صار الولد؟ قالت لأ الحمد لله هلأ ركز واستقل وأخذ بيت ومفكّر يتزوّج، وهي نتيجة إيمانها...

- في حادثة تانية؟

- عندي بنتي "وديان"، كان عمرها شي 10 سنين، تقوم عندها كوابيس بالليل وتصرخ هيك وخفنا عليها، قمت أخدتها لعنده. قلتلّو يا أبونا هي البنت هيك عم يصير فيها، قعد صلالها، ما بنسى هالمشهد

ركعت قدّامه وحمل الكاس وصلالها لهالبنت وسقاها مي مقدّسة والحمد لله من وقتها ما عاد شافت وهلأ صارت تخرّجت من الجامعة وأمورها كتير طبيعية... انشالله هو هلأ من السما عم يصلّيلنا انشالله ويبعد عنا الضرر والشر.

12) **الرضيع والدبوس**

سُجّلت هذه الشهادة بالفيديو لأهل الطفل، بحضور السيد رزق بطرس معوض (أبو عقاب)، الذي لعب دور المحاور:

المحاور: رزق بطرس معوّض، مواليد 1946. كلّفنا الأب زحلاوي مشكور، لأنو هو عم يقوم بجمع أرشيف عن حياة أبونا الياس يعقوب، وعن الأعمال اللي قام فيها، خلال حياته. ألف شكر لإلو أنو حضر قبل هذه المرة، من شي شهرين أو أكثر، على بيت السيد فايز بطرس كاملة، تيعمل لقاء مع الحدث العظيم اللي تم مع ابنه، وهالعمل الجميل اللي قام فيه، اللي تم مع الطفل من 24 سنة تقريباً: "بيير"، اللي أبونا الياس على يدّو تمّت هذه الأعجوبة، اللي كان بشكل دائم وبعلمنا نتيجة مرافقتنا لإلو، خلال عشرين سنة ما طلب شي من أمنا السيدة العدرا، ولا تلبّى. وفي أحداث كتيرة، غير هالحدث هدا بالذات، وهلأ منطلب من السيد إنو يرويلنا الحادثة، مضى عليها يمكن 24 سنة. وهلأ "بيير" هالشب الظريف الطيّب، هو موجود، وعم يسمع هالكلام اللي تم واللي صار من خلال هالحدث اللي قام على يد أبونا الياس، فمشكور السيد إنو يرويلنا هالحادثة، والد بيير، ووالدته...

الوالد: أنا بدي عرف عن حالي! أنا فايز بطرس كاملة، قرية الخراب، منطقة الجنينة العقارية. طبعاً الحادث شقين، الشق الأول مع مرتي، والشق التاني معي... الشق الأول ارويه يا سها، كيف نيّمتيه جنبك، كيف كان الدبّوس بخرزة، كيف طلع، للحظة ما طالعو...

الوالدة: أنا سها إدوار جبور، أمه لبيير، كان عمر بيير أربعة أشهر، حطيته أنا عالتخت بالغرفة جوّا، ورجعت أنا عالمطبخ عم اشتغل شي يعني بإيدي. هوّي نايم الصغير يعني، بقى كنت حاطتلّو بالدقونة، حاطتلّو ياها فوق الأفارول، حاطتلّو فيا دبوس صغير أصفر هيك، وفيّو خرزة زرقة وصليب وقونة... هلأ أنا ما عرفت شو يلّي صاير جوّا، لأنو كان نايم وأنا طلعت من الغرفة، بهالوقت عم يندقّ الباب كان، ما سمعت دقة الباب، بعد شوي حسّيت أنو حدا عم يدقّ عالشباك، رحت عالشباك لقيت "رفيق" ابن سلفي، ابن عمّه لبيير، رحت بيقلّي افتحي الباب مرت عمّي افتحي الباب... شباك ليش هيك عم تعمل؟ قلّي أنا واقف عالشباك وبيير عم يختنق عم يتزولع، عم يختنق!... أنا بها اللحظة أكيد ما بقى في عندي أعصاب، ما بقى في عندي اجرين تحملني لوصّل عالغرفة لشوف شو لي صاير. بهالوقت فاق أبوه كان نايم كمان، فتنا عالغرفة اتطلعت عالصبي، عم يتزولع... بدّو يبلع ما فيه عم يبلع. الدقونة فاكك عنّا الدبوس، وقالبين هنّن عالدقونة، وجايين عتمّه. هلأ المبلوع مبلوع منّن، الدبوس ما هوي مفتوح، نازل جاكك بمحل، هو مدايقلو البلع عنده، وعم يدايقه للصغير. نحنا ما عرفنا شولي صاير يعني... أنا انتبهت قلتلّو يا الله كان في شي أنا معلقتلّو ياه بدقّونته، وينُن؟! بهالوقت كان وصل صهره لأبو بيير، أبو حسام "بشارة معوّض"، هوّي عيّطلو، كان معه سيارة، بدنا نسعفه للصبي، شولي صار؟ فقال: وينُن؟ قلتلّو ما بعرف! نكشنا الغرفة، قمنا الفرشة، نفّضنا، كنّسنا الأرض، ما طلع معنا شي... قلتلّو أنا متأكدة أني أنا حاطتلّو ياهن بعد الحمام، بعد ماني محمّمتو! شرّبناه نتفة مي، هلي كان هون مدايقه ببلعُن، مشي الحال، وقت أخد نقطة المي، رجعت الحياة لإلو نتفة... أخد نفس. حطيناه بالسيارة وأخدناه عطرطوس. عند الدكتور سالم قنيزح...

- أبو عقاب: الدكتور سالم قنيزح!

- شو فيه؟ قلنالو هيك، هيك... أنا متأكدة أنو هَو كانوا بصدره معلقين، وأكيد بالعُن، قلي شو بتجنّي، قلتلّو أنا هيك متأكدة. فبقلّي عمره أربعة أشهر بدنا نعرضه لأشعة؟ قلتلّو طيب أنت بتعرف، صوّره!

- أبو عقاب: هيدا دكتور تصوير يعني؟

- إيه طبعاً... أشعة، وقت الي شاف الصور قلّي معك حقّ، مظبوط بالعُن، شو بالعُن؟، قلّي بس ليكي، في الخرزة الزرقة وفي قطعة تانية هَو نازلين، يعني بس ينزلوا بالخروج ما بيأثروا، ما بيعملوا أي إشكال، بس في الدبوس والله يا أم بيير مفتوح ونازل وجاكك عند المصران... شو الحل يا دكتور؟ قال في دكتور بحمص، إذا إساهن عند المري بيسحبُن، ممكن إنو يسحبُن عن طريق البلعوم، بس إذا قطعوا المري... صعبة! إجينا عالبيت، رجعنا طلبنا سيارة...

الوالد: هلأ، إذا بتريدي لإستلم عنّك... قلّي الدكتور سالم قنيزح، ما فينا نعمل شي، لبين ما يشكّ بمكان بالمعدة هالدبوس، ويوقف عن المشي، لأنو مَيمشي بالمعدة مع تقلصات المعدة، وقتا ممكن نعملّو عملية جراحيّة غير هيك مستحيل، جبناه وجينا عالبيت... صار شوشرات واتصالات، ذكرولنا في طبيب بحمص على مستوى إنو بيسحب بطريقة ما إذا بمكان ما، مانو داخل إسّا بقلب المعدة. خدتو بالليل وطلعت على حمص، المستشفى مسكّر تقريباً ولكن فيه ممرضين. سألنا عالدكتور قال ببيته. بيجي ما بيجي! قلتلون بدي احكي معه، حكينا معه، الزلمة ما بيجي، بشكل ما قنعناه إجا. قلنالو قصتنا هيك هيك وفرجيناه الصورة! قلّي ما فينا نسوّي شي، حتى يوقف الدبوس بمكان معين، يشك بمعدته، قلتلّو كيف بدنا نعرف؟ قلي بيصير يبكي، بيصير يروّح دم، منعملّو صورة، منعرف وين واقف الدبوس، وقتا... ما في طريقة بالدنيا غير هيك. قلتلّو باخده عمشفى الأطفال عالشام؟ قلّي أنت حر، وين ما بدّك. أنا اللي بعرفه مقلّك ياه. كان صارت الساعة 11:30 بالليل ونحنا

بالمستشفى. قلنا منروح اليوم... قلنالو في خطر؟ قال ما في خطر. تاني يوم الصبح قلنا منروح عالشام عمشفى الأطفال.

جينا لهون. نمنا لتاني يوم. تاني يوم، بتعرف هون كيف العالم، دري الخوري الياس بصورة ما... شو كانت الساعة إذا بتتذكري يا سها؟

الوالدة: وقت اللي جينا من حمص، وصلنا عالبيت، البيت طبعاً مليان، والله يرحما مرت عمي، قاعدة عالباب يا حرام. ما بتسترجي بقا تتحرك... هنّي مخبرينو كانوا لأبونا الياس. إجينا لقينا أبونا الياس هون... شو فيه؟ شو صاير؟ احكيلي كذا... قلنالو هيك هيك يا أبونا... بهالوقت أنا كنت فايتة بدي ضبّلو غراضو للصغير، بدنا ناخدو عالشام. سمير... كان معه تكسي، قلّو ما بتتحرّك من هون. ما بتعرف أيا ساعة بدنا نمشي. أبونا الياس قال طولوا بالكُن، هلأ... جيبيلي كبّاية مي يا أم بيير... البيت مليان. كان بهديك الغرفة، حاططتو أنا... قلّي الدكتور سالم قنيزح، بدكن تنتبهوا لحركته، يعني بدّك تحاولي تحطّيه عحضنك، بحيث إنو ما يقلب، ما بدنا محل، أنو أيا شكة دبوس بتعملّو شي مشكلة، هدا مصرانو قدّيش بكون رقيق يعني، ومعدته حساسة. قلتلّو لأ هيك ما في عندي مشكلة... حاططتو بحضني، وقت إجا أبونا الياس، قلي سطحيه عهالصوفا. جيبيلي كاسة مي. جبنالو كاسة مي. صلّى عليها، وقلّي اسقيه لهالصبي منها، صرت أنا بالمعلقة، اسقيه هيك كم بلعة...

الوالد: هون، إذا سمحتي، هالعبارة هي، الي رهبتها ما بتزيح من مخيلتي بعمري. وقت الي قلها "بقوة العدرا هلأ بدو ينزل الدبوس... بقوة العدرا هلأ بدو ينزل الدبوس"... حطّيه... عمليلنا فنجان قهوة... إسا ما غلت المي، نعوس الصبي. قلها في شي! إجت فلشيتو، الخرزة والدبوس مطبّق، والخرزة بقلب هالدبوس، ونازلين بالحفاض، قدّيش الزمن؟ ما بيطبّق خمس دقايق. مطبّق الدبوس والخرزة بقلبه، بالصورتين الي عملنالو ياهن، الدبوس مفتوح هيك.

الوالدة: وقت رحنا عند الدكتور سالم، غيرتلّو تحت، كانت نازلة الخرزة والقونة الصغيرة، بس الدبوس لأ... الدبوس نزل عالحفاض ومبكّل... يعني كأنو أيد العدرا دخيلا، دخلت عبطن هالصبي وقفلته منشان إذا نزل ما يدايقه، نزل على الحفاض مسكّر الدبوس، وما كأنّه داخل ببطنه...

- أبو عقاب: وبالصورتين بيّن أنو مفتوح!

الوالد: مفتوح، وبدّو يشك... لا يمكن الطب يتصرف، ما عنده مقدرة حتى يثبت بمكان معين، ليشقّوا... ليشيلوا هالدبوس.

الوالدة: ومفتوح ومحل الي بدو يشك، صاير من تحت!

الوالد: والصورة لازم تضل عند سالم قنيزح إلى الأبد...

أبو عقاب: يعني يا ريت... فينا نحصل على هالصورة؟

الوالد: بقيت، إذا إسا محتفظ فيها، بدك تشوفا على الحيط

الوالدة: أنا بعرف من شي تلات سنين، ناصيف شافا عنده بالعيادة...

الوالد: قلّي، بدنا نجيبها... بس قلي هادي بدا تضل عندي بالعيادة، كل شي وأنا بهالعيادة واللي بيجي بعدي، يشوفوا هالعبرة عن طريق هالكاهن، وكيف صار...

13) **اولغا سكاف**

سجلت الشهادة بنفسي بصوت السيدة أولغا سكاف. إلا أن التسجيل لم يكن موفقاً جداً. فأقتصر مما جاء فيها، على الفقرات التالية:

« كان أب مسالم، رحوم، رجل تقوى، كريم معطاء، عاش فقيراً.

مرة، مررت عليه أنا وزوجة أخي وهي خياطة كان يلبس ثوباً قديماً بالياً لم يكن يستطيع أن يجلب له ثوباً جديداً فقالت له زوجة أخي أنا أريد أن أخيط لك ثوباً جديداً، فقال لها: "ماشي حاله... ساترنا!". لكنها أصرّت وأخاطت له ثوباً جديداً فكان سعيداً جداً، ولم يعرف كيف يصلي ويدعو لها.

مرة كنت عنده فإذا بصديقة أرسلت له صندوق كوسا وبندورة وليمون حامض وتفاح فأخذ قطعة واحدة من كل صندوق، وقال: "هذا يكفيني، ضعوا الصناديق عند الباب فيأتي كل من يحتاج ويأخذ منها".

وحادثة أخرى: جارة لي قدمت له صحن طعام، فأخذ منه لقمة صغيرة لا تكفي طفلاً صغيراً، وقال هذا يكفيني ويشبعني وأعطوا الباقي لمن يحتاج.

مرة قريبة لي وهي أخت زوج ابنتي تزوجت وهي كبيرة في السن ومن المستحيل أن تحبل وتأتي بولد. في يوم من الأيام أتت لزيارتي مع ابنتي فقلت لها: عقبال ما نفرحلك بولد! فقالت هذا مستحيل. فأخذتها لعند الأب الياس وصلّى لها، وفي نفس الليلة حلمت أنها تبكي ورأت الأب الياس يقول لها: "لا تبكي إنك سوف تحبلين وتلدين بنتاً"، وسمع زوجها صوت بكائها وأيقظها وقال لها ما بك تبكين... فقالت له ما رأت... وبالفعل حبلت، وأنجبت فتاة... وما تزال حية حتى الآن.

كان له قصص كثيرة في شفاء مرضى عجز الأطباء عن شفائها. كان يلبّي طلب الجميع ممّن يريدون أن يصلّي لهم في أي وقت من الأوقات سواء في الليل أو في النهار.

هناك حادثة حصلت بعد وفاته، أن أحد الأشخاص وهو علوي أراد أن يصنع له تمثالاً ويضعه على قبره. هذا الشخص لا يعرفه بل سمع عنه كثيراً. بعد أن انتهى من صنع التمثال، جاء به ليضعه فوق القبر فأتى بصاروخ كي يعمل اللمسات الأخيرة على التمثال وإذا بالصاروخ يفتل ويضرب به صدره فظن أن قد تأذى بشكل كبير. وفجأة انقطعت الكهرباء ورأى الصاروخ أسنانه كلها مطوية، وقميصه بالكاد مخدوش... فأتى بصاروخ ثاني وشق قاعدة التمثال وزرع فيه الصاروخ الذي أسنانه مطوية وثبته بصمغ خاص. وإذا نظرت إلى التمثال... تشعر كأن أبونا الياس سوف يتكلّم... »

الأب الياس يتحدث عن نفسه

لقاء أجراه الأب الياس زحلاوي في 2000/10/13

زحلاوي: كيفك اليوم أبونا الياس؟

يعقوب: تمام... الله يقويك.

ز: إنشالله صحتك أحسن؟

ي: نشكر الله أحسن بكتير.

ز: فيك تحكيلي قصتك بالخراب هون، وبتمنى أعرف شي عن طفولتك؟

ي: ما في شي بيستحق الذكر، ولكن طفولة كانت قاسية ومؤلمة، وكلها ألم. وقت كانت أمي حامل فيّي كانت مهدّدة أنو يموت الجنين.
ولدتْ وولِد معي الألم، ما فارقني الألم الجسدي منذ ولادتي لها الوقت، يبدو يمكن كان ربنا بهالأثناء عم يهيّئني لشي هو بدّو ياه، للكهنوت... لخير النفوس! وعشت حياة قاسية بالبيت. وعيت على أب مشلول، فتّحت عينيّ ما كان يقدر يوقّف إلا بالفرشة. وإخواتي كان الكبير فيّن عمره شي 13 سنة، وكان عنّا رزق...

ز: أنتو من أي ضيعة؟

ي: من ضيعة البساتين...

ز: بعيدة من هون؟

ي: شي 7 كم. قرايبينّا كتير ضايقونا، ونبذونا بدّن ياخدوا الرزق... بحال وضع بيّي... وبأثنائها، إخواتي طلعوا بلا علم.

ز: كم أخ عندك؟

ي: شبّين وأنا وبنتين. اضطرّوا يجيبوا بقرة ويعيشوا من وراها، ويطلعلنا شوي من الرزق، يكفي البرغلات وبس. وبهالأثناء كنا نعيش بغرفة واحدة، وبيّي انكسر ضهره، ولا كان معنا نقدر نحكّمه. وبعنا نص أراضينا متل البلاش وبدون ثمرة، وصار معه متل سرطان بالعظم، ما كانوا يفهموا بالسرطان. كنت فيق على أصواته وقوم على أصواته. بغرفة وحدة، وهالغرفة منها مطبخ، ومنها كل شي... لذلك لحدّ هلّق أصوات بيّي المتألم بأذني، بتطنّ ليلاً نهاراً، وصورته كمتألّم مريض عم أتخيلها يومياً. والله عطاني أم مصليّة، أمام هالأمر، ما كانت تترك مسبحتها من إيدها.

ز: شو كان اسم أمك؟

ي: لطيفة، وأبوي مطانيوس. وبهالأثناء، إخواتي اضطرّوا يشتغلوا بكل أنواع الشغل. كانوا صغار، حتى نقدر نأمّن حالنا، وطلعوا بدون علم. ما قدروا يتعلّموا... حتى كنّا بعض أحيان نمر بمراحل جوع. بهالأمر هادا قدرت أنا شوي أنطلق على الحياة، وصلت الصف الخامس الابتدائي. بالبساتين، كان عنّا مدرسة ابتدائي. بعد الخامس ما عدت انقبلت لأن ما في سادس. اضطررت يستأجرولي غرفة ببانياس، عند عيلة، وبيدّعوا أنّو كانوا قرايبينّا. كانت الصانعة كتير قاسية، تطلع تشلّي لمبة الكهرباء حتى ما أصرف كهرباء بالليل. اضطريت جيب ضو كاز. بعض الأحيان ما كان يلتقى معي أجرة الطريق إلى البساتين، أمشي من بانياس إلى البساتين. وكنت أرجع لعند أهلي يومي الخميس والجمعة، والسبت بكّير أنزل. كنت أنزل مشي بعض أحيان وأطلع مشي.

ز: قديش المسافة بين بانياس والبساتين؟

ي: في شي 17 كم. كنت أمشيها وما خاف.

ز: بالليل ولاّ بالنهار؟

ي: بالنهار، أمشيها ما خاف، بس بعض أحيان كنت خاف وقت مر بدغلة... أي أشجار أو شي. وما كان في هالبناء. كان من بانياس للبساتين تقريباً ما في ولا بيت، كلّه سماء وماء. وكان شجر كتير وسواقي. ما كانت تغيرت معالم الطرق.

ز: ومين كان يطبخلك بهالأسبوع؟

ي: كنت عيش على النواشف، على السندويش.

ز: وأهل البيت ما يعزموك؟

ي: لا، بالآخر هلق بقلّك. أهل البيت بعض أحيان يبعتولي صحن، بعض أحيان كنت أرفضه. صار الفار يشاركني بالخبزات. البيت مهجور تقريباً. ما جنبي إلا جار واحد، حطّولي الخبزات عندن، شالحينُن كيف ما كان، وصحن الصانعة كيف ما كان. يمر عليّن بعض أحيان (بزّاق) شيل محلّو تآكل، بالآخر دريوا هنّن، ما نهان عليون، صاروا يحطولي هنّن (ما كان في برادات) مع خبزاتُن، وبالآخر آخر شهر صاروا يتحسّسوا معي. بعدين شافوا أني عم أدفعلن خمس ليرات بالشهر، وخمس ليرات قليل. راحوا حطوا معي اتنين، اتنين بالغرفة عذبوني كتير.

ز: اتنين من عمرك؟

ي: من عمري.

ز: شو كان عمرك وقتا أبونا؟

ي: أنا كان عمري 13 سنة.

ز: 13 سنة! وكام سنة ضلّيت بهالوضع؟

ي: ضليت... تركت بانياس سنة، وطلعت استأجرت غرفة بضهر صفرا،

كمان بنفس الحالة، ضلّيت من السابع للحادي عشر مستأجر غرفة لحالي بضهر صفرا.

ز: لأن في كان مدرسة ثانوية؟

ي: كان في مدرسة إعدادية وثانوية. بأثناءها المطران كان خوري (انطون طربيه) قبلني ببلاش، مقابل أني كنت وزّع الصحف على الصفوف، وكنت نوعاً ما، بعد ما وزّع الصحف المرافق العامة نظّفها.

ز: شو يعني توزّع الصحف؟

ي: صحائف المدرّسين. لكل صف كان في صحيفة يكتبوا عليها، وسكّر الأبواب وأفتحها، وبعض أحيان كنت كنّس المدرسة، وقت الآذن ما يكون موجود، لقاء قسطي السنوي. ما كنت تعلّمت لولا هيك. بأثناءها هون كمان هون عشت حياة قاسية، كنت بالأربع وعشرين ساعة كنت آكل وقعة.

ز: شو تاكل؟ كمان نواشف؟

ي: أكتر شي الصبح، كنت آكل بسكوت، راحة، كعك، والمسا خبز، زيتون، زعتر. يعني هالأمور هيدي، حتى صفّيت بالحادي عشر، اجتني الدعوة للكهنوت. واللي خلاني صير كاهن، قرفت من المجتمع والحياة، يعني صفّى الأمور عندي كالزبل، ما إلها قيمة. بحياتي ما كنت أشتهي الأكل، ما كنت أشتهي الشرب، ما كنت أشتهي المال. صفّى عندي نوع من التجرّد الاختياري، وصفّى عندي المال عدوّ.

ز: أبونا، وقت كنت تروح عند أهلك، ما كنت تشعر أنو خليني ضل عند أهلي، شو بدي بالدرس أنا، عم انحرم أمي وأهلي؟

ي: بس كنت لا مفر منه، إذا بدي أدرس بدي عيش، إذا ما درست شو بدي عيش، كيف بدي آكل؟

ز: وأمك كانت تتحمل بسهولة الغربة عنك؟

ي: أمي، يا حرام، شو بإيدها؟ ما بإيدها شي. بيّي توفى بال 1956.

ز: شو كان عمرك أنت؟

ي: كان عمري 10 سنين، أنا مواليد 1945، يعني بيّي توفّى بأول 1956، كانون الثاني 1956. بأثناءها، أمي شو كانت تعمل حرام؟ كان عنا دجاج، تجمعلي البيضات، تبيعلي هنّن تتعطيني مصروف الأسبوع. كان خيي هداك عسكري (قيصر بيّو لهالشب). وأختي صارت تخبز بالفرن بالضيعة تنأمّن خبزاتنا.

ز: شو كان عمرا أختك؟

ي: شي 30 سنة.

ز: واستمرت فترة طويلة تخبز بالفرن؟

ي: استمرت شي سنة سنتين تخبز، تاخد آجارها تنعيش. آخر شي أختي تجوزت. الثانية أخذها شب كتير كويّس آدمي، على بركات الله، وانطلقنا بالحياة. كانت تبيعلي البيضات تآخد مصروفي. كان يطلعوا حق الخبزات وشي معلّبة، معلبتين تلاتة.

ز: متل شو... المعلبات؟

ي: معلبات متل سردين، طون لحمة، اللحمة كانت غالية ما آخدها، كنت آخد سردين وطون. أكتر شي وبطاطا. كنت أكتر شي ركّز.

ز: وصحتك تتحمل هالأكل؟

ي: كنت امرض ما حدا يدرى فيني. وكانت الغرفة ما فيها قزاز، ما فيها شبابيك، ما فيها تدفئة، كنت بالليل أبرد، وما كان في تخت، نام عالأرض، حط الفرشة عالأرض بالغرفة اللي قاعد فيها. وبأثناءها، وقت الحادي عشر، اجتني الدعوة، المطران أيوب، على أساس بدّن يرفضوني السلطة الكهنوتية، في راهبة اسمها "مير روزالي" قالت: لا أنا بدي أتوسم فيه الخير، وأنا بدي اقبله على نفقتي الخاصة.

ز: كانوا مقررين يفصلوك؟

ي: كانوا مقررين ما يقبلوني مشان صحتي، لأني ضعيف. قالتلن لأ ولو

كان ضعيف يمكن هذا بضعفه يقوّي كتير من الضعفاء، لأ أنا بدي أتعهّده. والمطران اقتنع بهالفكرة، كان مدير الإكليريكية، المطران أيوب اطلّع فيني، قلّي بدّي أقبلك، واطلّع بالموجودين بعد ما رحت قلّن: هادا يوم من الأيام بدو يكون خوري خوري.

ز: سور روزالي كيف كشفتك؟

ي: كانت كتير لها فضل عليّ هالراهبة. كنت أمشي تتحشّر فيي عالطريق، ويمكن خلتني حب الخوارنة والراهبات. "مرحبا يا شب، وين رايح يا شب، تعى تشوف كيف عم تعيش أنت؟" يعني الوحيد من رجال الدين يللي سألني كيف عم بتعيش هيّ. بعض أحيان شوفها تنطر تيفلّوا الطلاب، تعيّطلي.

ز: هيّ وين كان مركزها؟

ي: بضهر صفرا، بدير الراهبات، عالطريق العام.

ز: كانت هيّ المسؤولة؟

ي: هيّ المسؤولة. تعيّطلي، تعطيني سندويشة، سندويشة لحمة، بالجمعة تعطيني سندويشة لحمة. آخر شي حبيتها لهالراهبة، حتى تخليني أتردد، كنت بالعاشر، لعندها، قالت ما بتربيلي هالأرانب، بعطيك المفتاح، بتحشلون؟ هي لقتا كبيرة أنو تعطيني سندويشة، قالتلك إذا طعمالي هالأرانب بيصير مناسبة لأعطيه، وكان الأمر. بأثناءها دخلت الإكليريكية، ضلّيت فيها للبكالوريا. بالبكالوريا نقلوني على لبنان، بلبنان كمان تعذّبت.

ز: مين كان بوقتها مدير الإكليريكية؟

ي: كان الخوري (المطران) يوسف بشارة، وكان الريس أنطون دهمان.

ز: وكان الجو مرتاح بالإكليريكية؟

ي: كان نظرتن للسوري: احتقار، وعلى طول يعيرونيي: اجا السوري، وراح السوري.

ز: بأنو دير كنت بلبنان؟

ي: بدير "كرم سدّة" زحلة بعيد عن طرابلس شي 20 كم. كنت أتألم من هالشي، روح للريّس، ما كان يعير الأمور الأهمية بس المطران يوسف بشارة، مطران انطلياس حالياً، قبضا بكل ما فيّا، وهذا خلاني حبّه، ولهلّق ما زال صديقي، على طول بتردّد عليه وبيتردّد عليّ. ومرة دافع عن السوريين، وقلّن هذا السوري يلّي عم تحتقروه أشطر واحد معكم بالإكليريكية، لحد هلّق روحيّاً واجتماعياً ما قدرنا نحط عليه ملاحظة. بأثناءها بالإكليريكية كمان عشت، بعض أحيان ما يكون معي... ثيابي كانوا يعيروني بتيابي كان كلسات أبيض بنطلون أحمر والقميص... يعني ما في تناسب باللبس، وقت لبست الغمباز كان غير شكل، والغمباز عطاني ياه خوري، غمباز عتيق، كان للمطران يوم كان خوري، رحت دبلجته كيف ما كان ولبسته، ما كان معي بأثناءها حق الغمباز. بأثناءها كمان، يعطوني مصروفي كان المطران يعطيني يساعدني 50 ليرة بالشهر.

ز: المطران يوسف بشارة؟

ي: لأ، المطران، أنطون، كان خوري. كان هو ومامير روزالي يعطوني 25 ليرة بالشهر. هالـ 25 ليرة كانت أجرة الطريق روحة جيّة، وبعض أحيان يشتركوا هودي برحلات، اتمارض، أنو أنا مريض. ما بقدر روح عالرحلة يعملوا الغدا مشترك، لأني ما كان معي أدفع. ولا بكسر نفسي للريّس قللو عطيني، عمري ما كسرت نفسي لإنسان قلتلّو عطيني، أنا بحاجة. لوقت رسامتي الكهنوتية، أول ما قدموني للرسامة هنّن بشكل غير عن كل الإكليريكية، للشدياقية والشماسية والكهنوت.

ز: شو يعني الشدياقيّة؟

ي: هي درجة صغيرة بالكنيسة بتأهّل الخوري كخادم، أنّو يطلع عالمذبح، يمسك المبخرة، يتقدّم يمسك العصا للأسقف، يوقف جنبه عالمذبح، بس ما بيحقّلو يناول.

ز: هالكلمة منين جاية؟

ي: الشدياق – قندلفت "الخادم" بالسريانية. بعد منّا كان بدي ارتسم بلبنان، ليش؟ لأنو ما كان معي أعمل حفلة رسامة، ولا معي حق الكاس. لذلك مير روزالي هيّ قدمتلي الكاس، انسرق حالياً وقت خلعوا الكنيسة، وكنت بدّي اتركو للخوري يلي بدو يجي بعد مني فقير لأعطي ياه. لذلك الكاس يللي هديتني ياه، الله يطول عمرك، حلّ محله. هلق بس اترك، بدّي اتركه لخوري فقير بدّو يتوصل للكهنوت.

ز: كم سنة قعدت بالإكليريكية بلبنان أبونا؟

ي: أربع خمس سنين بعد البكالوريا، ورجعت لهون. برجعتي عيّنوني بضهر صفرا مسؤول عن الإكليريكية، كنت ساعد المطران أنطون بإدارتها، وكان المطران بأثناءها يوسف سلامة عمل معي عقد على أساس يعطيني بالشهر 50 ليرة سوري.

ز: أي سنة هي كانت؟

ي: سنة 1972، وآكل وأشرب بالإكليريكية. ضلّيت من 1972 للـ 1976، كنت ما ينهان عليّ بالإكليريكية شوف فيا ظلم. شوف الإكليريكيّين ما عم ياخدوا شي من حقّن، وما حدا عم يساعدُن مادياً، والأكل على قدّن. كانت الراهبة هيدي روزالي تمر عليّون من وقت لآخر، كانت إلُن أم، الضعاف فيون كانوا ابتدائي تحمّمون تجبلون تياب، تشحدلون تياب، لذلك كمان كانت تعتني فيون، تعملون أكلة طيبة، تجبلون ياها، يعني ثبّتت من هالدعوات الي وصلت حوالي 20٪ و30٪، وهون المطران كان كتير انضباطي، كتير كان بقلبه رحمة لألون، ولكن المطران ما يعطي شي. آخر شي اختلفت أنا والمطران على مبدأ، أنو طلعت على ضيعة اسمها ربلة وضيعة اسمها المشرفة، لقيت خوريّين مقعدين والمطران مانع عنّن المساعدة، لأنو ما عم يقدروا يقدسوا... مقعدين. طلعت لعند المطران وقلتلّو: مطاوعك ضميرك سيّدنا تعمل هالشي؟

ز: شو كان اسمه هالمطران؟

ي: يوسف سلامة. كيف بطاوعك ضميرك تعمل هالشي؟ قللي: شو دخلك؟ قلتلّو: لأ دخلني. قللي: أنت بتسكت وخلص، شوف بعينك وسكوت، إنت مانك مطران حتى تحل الأمور، قللي أنا بعرف أكتر منك. قلتلّو هيدا خيي الكاهن، معقول ينترك هيك، عم يموت من الجوع. قللي: عمرك شفت خوري مات من الجوع؟ قلتلّو: عمرك شفت كلب مات من الجوع؟ كانت قاسية ولهلق بتندّم عهالكلمة. قللي: قوم طلاع برّا. بأثناءها قدمتلّو استقالة من الإكليريكية، وكان ثورة بالإكليريكية، بالأبرشية، لفصل المدبريّة عن حلب، اللاذقية عن حلب، هو شد عدمجا ما بدو يفصلا، انضم إلي المونسنيور رستم وصار يحارب بهالقضية.

ز: المرحوم خليل رستم؟

ي: خليل رستم. والكهنة الشباب، كل واحد منّن كان يطمح لمصلحة خاصة، مو لمصلحة الأبرشية.

ز: وين كان موجود وقتا المرحوم خليل رستم؟

ي: كان ببانياس، خوري بانياس. كل خوري هيكي كان عم يطمح لهالشي، كان يفكر إذا انفصلت والمطران اللي بدو يجي، بدّو يكسب من وراه غنيمة، لذلك حارب منشان هالقضية، ما رغبةً فيّا. بأثناءها بدّي حاسبه، قللي إلك سنة إنت، هالـ 50 ليرة مقابل أكلك، وكنت مخباهن، بدي أعمل تواليت للبيت عنا لأهلي ومطبخ، أحسن ما نضل بغرفة واحدة نأكل ونشرب ونطبخ، وكان لسّانا بغرفة واحدة ما تغيّر علينا شي، وكان عندي أخت عم ساعدها، عزباء، ما تجوزت وقت اللي صرت خوري، رهنت حياتا من شاني على أساس تبقى معي. بأثناءها أكلُن عليّ وأكل المساعدات. وضلّيت سنة 1976 قاعد ببيتي، بس خوري رستم هون ساعدني تركلي البساتين والمراح، أتصرّف فيّا كأني خوري رعية، هو كان خوري الرعية.

ز: بس مرة بذكر حكيتلّي عن طريقة خروجك من الإكليركية، صار صدام بينك وبين المطران. يا ريت ترويلنا ياها.

ي: إيه، صار صدام. وقت بدّي أخرج من الإكليريكية، قلتلّو سيدنا وقّف إذا بتريد عايزك، قدمتلّو الاستقالة وناولتو ياها، اطلّع بالمطران انطون، قللو هادا ما فيه روح الله، هادا خوري متمرّد، لذلك عاد عقد مجمع باللاذقية بدّو يحاول يوقفني، ورحت أنا عالمجمع، طلبني، وقدّام العلمانيين بعد ما سمعوا قضيتي.

ز: مين العلمانيين؟

ي: العلمانيين كانوا عقيد بالجيش اسمه ابراهيم يوسف، واحد اسمه صديق يعقوب، كان في لجنة الوقف باللاذقية ستة... سبعة.

ز: المطران شكّلن يعني لمحاكمتك؟

ي: المطران شكّلون لمحاكمتي.

ز: ليش ايمتى كانوا يشكلوا لجنة علمانيين؟

ي: دخّل العلمانيين لحتالي إذا أخذ حكم، العلمانيّين ما يلوموه. بس سمعوا كلامي قالولو يا سيدنا بصراحة، الحق عليك بالمية 9999... وما معك جنس من الحق. وهادا الخوري منعرفه... على قدّه وكويّس وفاضل، ولولا فاضل كان ترك. وبأثناءها كنت تركت... البرادو فتحلي الباب بـ "ليون"، والمطران عقيقي قللي أنا باخدك لعندي عالأردن، بسلمك رعية الأردن، والمطران إكليموس شلحت الله يرحمه قللي باخدك على بيت "يسوع العامل" بخليك تكون خوري هونيك، وبخلّيك ترعى الراهبات اللي أنا مؤسّسا. وبأثناءها ضليت سنة 1976 للـ 1977، إجا المطران جورج أبي صادر. طلبني، رحت لعنده، قللي بدّي حطك جنبي، بدّي حطك سكرتير، ويمكن أعملك بالمستقبل نائب خاص لإلي، وبدي أنا ردلّك اعتبارك بشكل أعمق، قلتلّو اعتباري الشعب ردّه والله ردّه، ما في حاجة حدا يردّلي ياه.

ز: هي السنة اللي كنت فيها... كيف عشت فيها؟

ي: كمان تألمت فيها، صارتلي واسطة، درّست ساعات ديانة وساعات تاريخ بمدرسة. كنت ساكن بالبساتين عند أختي، لأنو أمي كانت توفت... عطتك عمرا.

ز: أنو سنة توفّت؟

ي: توفّت سنة 1970، قبل ما ارتسم بست شهور، توفّت بمرض، انفجار بالدماغ... وكانت صدمة كبيرة لإلي.

ز: شو كان عمرها؟

ي: كان عمرا 67 سنة، بس حرام، سنة 1978 استلمت الرعية هون، وكانت بأثناءها أنو أختي تجي معي، فوجئت بسرطان نهاها خلال 6 شهور، أختي يومتا، الله يطول عمرك، رحت لعندك عالشام، عطيتني مكتوب للجامعة الأميركية، كان مدير الجامعة منذر قزيلي، يا حرام، عطاني غرفة وضلت 12 يوم بمستشفى الجامعة ما أخدوا مني فرنك، لولا هيك ما قدرت، لما اكتشفوا السرطان بعت وراي قللي يا أبونا عجّل خود أختك، إذا ماتت هون بتخرب بيتك، وكانت الحوادث اللبنانية بخضمها.

ز: هي أي سنة؟

ي: سنة 1979، جبتا وحطيتا بالبساتين، عطيتك عمرا، وكانت صدمة أنا إلي تانية أني صفيت هون بدّي عيل حالي بحالي. يعني الوحدة ضلّت مستمرة، كيف الله دخيله! اعتبرت أنو عم يخليني كون لحالي حتى ما يكون إلي عون غيره، وما اتكل إلا عليه، ما عخليقة بشرية، ولا أتأمل بخليقة بشرية، ولا قرابة دموية. هون أنا عدت سنة 1978، جيت عالخراب.

ز: المطران جورج أبي صادر عيّنك هون؟

ي: عيّنّي هون.

ز: بس عفواً، إنت مدة سنة كنت منقطع، كيف عشت بهالسنة هي؟

ي: درّست ساعات ديانة بالمدرسة الثانوية، يوقّف راتبي بالشهر 100 ليرة، 75 ليرة حسب الساعات، كان الله يدبر.

ز: وين كنت تقدّس؟

ي: كنت قدّس بالبساتين، بالكنيسة، للشعب، وما كأنّه فارق عليّ، كأني كان عندي رعيّة.

ز: وكان المطران بعده أيوب؟

ي: لأ، كان سلامة. وقت ترك سلامة وإجا أيوب، فوراً عينّي بالخراب، عطاني رعية الخراب، والخراب شو كانت؟ كانت عدد نفوس الرعية 63 عيلة منشورة على 8 كم، كنت بدّي اقطعها كلاّ مشي، ما عندي وسيلة نقل، ولا كان في بيت هون، كان في غرفة. غرفة ولا مي ولا كهربا.

ز: بعدا موجودة هالغرفة؟

ي: إيه الغرفتين هون جنب بعضن. عملت غرفة منّن منامة، وغرفة استقبال، بس كيف بدي نام؟ كيف بدي استقبل؟ ما عندي شي. ما كان في مي ولا كهربا ولا تواليت. بالليل كنت أطلع هون بين الليمون، هالأرض كانت كلها ليمون، وهذا كان كلو شجر سرو محاوط بأسلاك شائكة، يمكن البسينة ما كنت تقدر تدخل، ولا كان بجنبي سكن مطلقاً عمسافة كيلومتر غرب وشرق وقبلي وشمال أقرب بيت لختيارية اتنين إذا متّ... ما أشعر فيّون، ولا كان في تلفون.

ز: وكنت لحالك هون؟

ي: لحالي.

ز: حكيتلي عن الطريقة يلي تركت فيها الإكليريكية، أنو كان في خلاف حدث بينك وبين المطران من حيث تعاملك مع الإكليركيين. إنت هلأ بحديثك قفزت فوق الخلاف، بتمنى لو ترويلنا ياه، إذا بتتذكره منيح.

ي: خلاني معُن أنو دايماً كان قاسي، ما كان كريم، كان بخيل شوي، بالوقت نفسه ما يعطي الإكليريكيّي حقّها. يمكن لو عطاهم حقّهم كانوا صاروا أحسن من هيك، صحيح عاشوا الفقر، وتعوّدوا على الفقر والتجرد، ولكن ما عمل شي بعد ما صاروا، اللي توصل خوري صار، واللي ما توصل صار عنده نقمة على الكنيسة، لذلك كان في 3 إكليريكيين كانوا على أمل أنو يتابعوا لاهوت، طردُن، ما عرف يتفاهم معُن. واحد اسمه رامي الياس هلاّ عند الآباء اليسوعية دكتور بعلم النفس، وواحد اسمه جهاد ناصيف هلأ رجع صار خوري اللاذقية بعد ما ترك المطران، وخوري تاني اسمه ابراهيم سلوم كمان راح، واتنين إكليريكيّي غيرهم تركوا وراحوا لغير طائفة. طلعت أنا قلتلّو: طيب، إذا كان هالشباب راحت، والختيارية بدو يموت، مين بدو يرعى الإكليريكية؟ قللي: الروح القدس. قلتلّو: الروح القدس! وينو الروح القدس؟ أنا قلتلّو وينو الروح القدس، وين هيدي؟ قدام الكهنة بطرطوس. قلتلّو فإذن منشيّد كنايس، منشيّد أحجار، ولكن البشر ما عم نهتمّ فيا، ولذلك والإكليريكي عنّا لا يعامَل إنسانياً، كيف بدّو يتعامل كهنوتياً على أنو رجل الله أو خادم النفوس، هذا مصير إنسان بدّو يضع نفسه في خدمة الكنيسة. أنا برأيي الخوري ما بدّو يكون مترفّه، ولكن يعيش أدنى من الشعب، يحافظ على كرامته، ليش فلان ترك وفلان ترك... قللي هذا الشي ما بخصّك، قلتلّو هذا أخدوه الآباء اليسوعيين، وهذا دشر بالطريق، حتالي أوجدلو ربنا خوري سفّره على ألمانيا وبعدين شو بقي، مين لسّا بقي؟ قللي هذا الشي ما بيعنيك، متمرّد، متمرّد، متمرّد... قلتلّو: فإذن أنا بقدّم استقالتي عن الإكليريكية في حال هالإكليريكيين ما بيرجعوا، وفي حال ما بينعطى معاش محترم للكاهن وخاصة المتزوج، يلي إذا مات خوريته بدّا تصفّي بالشارع هي وولادا. وحياتك بأثناءها عطيته

الاستقالة، وحاول بشتى الطرق أنو يرجعني بواسطة السفير البابوي، شكاني للسفير حتى يرجعني، رحت لعند السفير وشرحتلو وضعي، السفير كان هيك ناصح ضخم، ما بعرف شو اسمه.

ز: أي سنة كانت هي؟

ي: سنة 1976. بأثناءها السفير البابوي لزمه يدفعلي قداديس. قلتلّو ما تلزمه يدفعلي قداديس، بتصعب عليّ روح قلّو عطيني قداديس لأنّو خلص أنا ما بدي منّو شي. أنا إذا بيلتقى ببيتي خبز كافي، ما في خوف إني موت من الجوع. قللي على كل حال أنا رح شوف مطرانك وأحكي معه وبقلّك الموضوع رح ينحل، وكان بأثناءها فجر جديد للطائفة إنو فصلوا الأبرشية، وعملوا أبرشية قائمة بذاتا وعيّنوا مطران عليّا ورحبنا فيه.

ز: بس رويتلي أنت أنك أنت قمت بالحملة.

ي: إيه أنا قمت بالحملة.

ز: يا ريت ترويلنا ياها.

ي: أنا قمت، أنا والمونسنيور خليل رستم، صرنا نعمل عرائض نمضيّا من الشعب، لفصل الأبرشية، وبأنّو يكون عنّا مطران سوري يهتم بأمرنا، يعرف جرحنا، بيعرف شو أمراضنا، مستقل عن حلب، ومضّيناها كل الأبرشية، وكان الأمر كذلك، ورفعنا العرائض لبكركي. رحنا على بكركي، أنا وياه، التقى فينا خوري.

ز: إنت وأبونا رستم؟

ي: أنا وأبونا رستم، وتاني مرة انضم إلون الخوري مخاييل موراني راح، بس يمكن هداك كان مدسوس من قبل جهة معينة، من المطران سلامة كان صاحبه كتير، وحياتك وصلنا لبكركي. استقبلنا المطران مخاييل ضومط، كان هو حامل الراية ليساعدنا، وكان البطرك خريش يوجهنا مشان هالأمر لفصل الأبرشية. لذلك بأثناءها قال:

ابشروا خير إنشاالله بدّو يصير شي، وخلّوكن مستمرين بهالشي. وقت انفصلت الأبرشية، حللنا لهالشي. أنا بعد ما انفصلت الأبرشية لازم اتصالح مع المطران سلامة... أثناء الاستقبال رحت بسته، وغمرني ومسكني هيك من دينيّي وضمني لصدره. قللي أنا بعرفك، طيّب وروحاني وكنت حبّك أكتر من كل الكهنة، وما زلت بحبّك، ولكن ما منّك هالشي، يمكن ناس غرّرت فيك. قلتلّو: لأ، ما الناس غرّرت فيني، هدا مندفع من ذاتي، ولا حدا إلو تأثير عليّ بهالمجال. قللي: الله يوفقك، وهي صار عندكن مطران، والله يهنّيكن، قلتلّو: شكراً. وبأثناءها، رد إجا زارني، بعد ما انفصلت الأبرشية، كان مارق عم يفتش عالخوري أنطون، لقاني هون بالدير، قللي: هون قاعد لحالك؟ كيف عايش؟ قلتلو عايش، فوتّو عالغرفة اللي عايش فيا، ما كان إلي 6 شهور فيا. اطلّع هيك، ابتسم، وباسني وضل رايح. هذا هو بالنسبة للأبرشية.

ز: هلق خلينا نحكي عن الخراب. وقت إجيت أنت، الأوضاع تبعك...

ي: إجيت أنا، كيف بدي أمّن حالي؟ في الراهبة روزالي قدمتلي صوفاية، كانوا يحطوها بالكوريدور عندن صوفاية حديد، وقدمتلي 3 كراسي معها حديد.

ز: ما كان في شي قبل؟

ي: ما كان في شي.

ز: يعني عيّنوك وتركوك هيك؟

ي: هيك، قللي تعا نام بضهر صفرا، أو مستأجرين نحنا بطرطوس، بتنام معنا، وبتجي كل سبت وأحد بتقدّس. قلتلو: لأ، الراعي بدو يقيم برعيته، وإذا ما قام الراعي برعيته ما في خدمة، ولا في تهيئة نفوس وخدمة نفوس.

ز: قديش كنت عم تاخد راتب وقتا؟

ي: 125 ليرة كانوا يعطونا بالشهر. هوني كان عندي طربيزتين قديمين، كانوا عند الراهبات يحطوّن بالممشى، وتخت حديد كمان جابتلي ياه الراهبة، وفرشة وبطانية. ما كان في لحاف، ضليت سنتين بدون لحاف، كنت أبرد كتير، وبعض أحيان لما يصير برد كتير آخد البطانية وفرشة سفنج، وفوت نام بالسكرستيا. ضليت شي 6-7 شهور بالشتوية نام بالسكرستيا، وسكّر الكنيسة. أيام نام قدام المذبح، كنت انبسط بالربيع وقت نام قدام المذبح، لأنو نايم بحضرة الله متل العصفور القاعد بعشّه.

ز: وقت اللي يكون عندك مأتم مثلاً، ما تتشوّش بالليل؟

ي: كنت بعض أحيان أشعر برهبة، وحتى أول شهر جيت فيه ما أشعر أني نايم لحالي، لأني من صغري وأنا بنام لحالي، بعزلة لحالي، بغرفة لحالي، ما فرق عليّ شي. ولكن يقلولي: يا أبونا ما بتخاف يجي حدا يقتلك؟ قللن: شو إلو مأرب فيي ليقتلني، بدّو مصاري ما معي، شو بدّو يسرق من هالبيت ليسرق، بيتي أفقر من بيته. بعدين ما عندي إلا غمباز واحد، بدو ياخده ياخده. وقدمتلي غاز وجرة الراهبة روزالي، ما كان في غاز ولا جرة. كنت أطبخ برّا عالحطب، إجت مرة راحت لمتلي آخر شي من أخوية من ضهر صفرا حقّ جرة غاز وغاز بعينة واحدة، وعطتني طنجرة و3 صحون و6 معالق، وبقيت فيُن.

ز: المي من وين تجيبا؟

ي: كنت أنطر ليدوّر الموتور هوني، ما كان في غيره.

ز: قديش كان بعيد من هون؟

ي: عند هالتوتة. أنطر ليدور الموتور، عبّي سطل مي، آخدو للجلي ولغسيل وجهي، ولمسح الأرض. وطبخ ما كنت أطبخ، كمان عالبطاطا.

ز: حمل هالمي ما كان يتعبك؟

ي: كان يتعبني كتير كتير، كانوا يجعوني كتاي بعض الأحيان، لا سطل

ولا تنين ولا تلاتة، أيام عشر سطولة بالنهار. وبعض أحيان ياما نام عطشان، ما يكون عندي مي لأشرب، كل الليل يفحم قلبي، قوم الصبح ميّت من عطشي، ومع ذلك قبلت بهالوضع، هالحياة كنت بقدر عيشا. إجت الرعية قال منوجدلك عيلة تاكل عندا وتدفعلا راتب، كتر ما ألحّت، قعدت عندا شهرين بس.

ز: قبل ما الرعية تقول بدنا نخليك تاكل عند عيلة، شو كنت تاكل هون؟

ي: أنا ساعتا فرضت على حالي الحياة القاسية، وكنت بقدر عيش... ما عيش حياة قاسية، حبيت الحياة القاسية، قلت أنا بدّي خلّص هالرعية بالحياة القاسية يلي ولدت فيّا وبدّي ضلّ استمر عيشا.

ز: طيب شو كنت تاكل؟

ي: كنت أكتر شي بطاطا... كنت آكل بطاطا مسلوقة، وانزل سلّق عشب من تحت سجر الليمون.

ز: عشب، شو تعمل فيه؟

ي: آكله! متل "هندبة شي من هالنوع... حشيش آكله"، وخبز. وبالوقت نفسه، كنت آكل معلبات: سردين، طون. وكنت نظظ حياتي وآكل مرتديلا أو لحمة. بعض الأحيان، كنت - معليشيه - حطّ الأكل تيعفّن ما آكله، كنت صوم. كل 24 ساعة آكل وقعة، أيام كل 48 ساعة آكل وقعة. كنت صوم عن رعيتي، خاصة إذا وقعت مشكلة أو إنسان مرض، مرض بخطر، وبدو يموت ومعيل... كنت صوم عنه يوم أو تنين، بلا أكل وبلا شرب، حتالي فكّ مشكلته أو ينجى من الموت أو يشفى. وكنت مرتبط برعيتي ارتباط كامل، أترك الأبواب مفتوحة، لأنو اللي ما بيملك شي، ما بيخاف أنو يرحلو شي. وآليت على نفسي، منذ دخولي الرعية، ما بدّي حط فرنك بجيبتي، كل شي بيجيني بدّي وزعه، وعلى هالأساس يجي بعض أحيان يمرق نهار ما معي إلا حق ربطة خبز. وكيف كان ربنا يغمرني بالنعمة ما بعرف... ما بعرف؟ وبعدين آليت على نفسي بدّي حب كل الناس، ما

بس المسيحيين، حتى العلوية لهلأ بحبّوني وبحبّون، كنت زورن متل ما زور ولاد رعيتي وساعد الفقرا منن قبل ما ساعد الفقرا ولاد رعيتي. ما كنت ميّزن أبداً مطلقاً، وأكتر شي كنت حب الفقرا فيّون والضعاف والمساكين. ضلّيت بهالحالة شي 3 سنين بهالحياة، عاد الله بعتلنا محسن عملنا هالتلات غرف الباقيين، وصار من وقت لوقت، ربنا فتحا لعملنا الدير.

ز: بهالأثناء إنت مرضت، صار عندك انحراف بالعمود الفقري اضطريت تعمل عمليات.

ي: هلأ خلينا نسلّم عالآنسات...

(توقّف عن التصوير)

دخول الكنيسة...

ي: المي ضلّت لـ 1984 تأجت، وأنا بهالحالة.

ز: قلتلي مرة أنّو كنت تحطّ على كتافك.

ي: هيدي ما استمرت كتير، لمدة بسيطة.

ز: تحمل تنكتين على كتافك؟

ي: أحمل تنكتين، ضهري كتير وجعني، عاد لأ صرت اعتل سطل واحد.

ز: كويس، بس وجع الضهر هاد ساء وتفاقم.

ي: أكيد، وأنا ما كنت عارف أنو معي انحراف، بعدين لظهر. بعدين... نسيتك بشغلة، وقت كنت مستأجر عند هيدي العيلة ببانياس، عاطيني غرفة، كانت إجريّي ما أقدر مدّن، كان التخت صغير، لمّ إجريّي لمدة متقوقع، وكان هذا سبب الانحراف، كان جسمي لسّا بطريق النمو، كان هذا ساعد، وما فيني نام على أرض بلاط، هذا كان شوي ساعد.

ز: إيمتى بدأ يظهر عندك الانحراف؟

ي: بدي يظهر بالـ 1980.

ز: واستمر لإيمتى؟

ي: ضل لحتى عملت العملية، ما دريت فيه.

ز: بأي سنة عملت العملية؟

ي: عملت العملية سنة 1983.

ز: من 80 للـ 83 ما صار عندك وجع ضهر؟

ي: كتير، بس روح على لبنان، يضربوني إبر بالعمود الفقري على أساس بدّي مساج، وهالإبرة كانت كل شهر تغنيني عن المساج. آخر شي، صدفة جاي الخوري بولس سليمان، كان جايب كروب "group" على اللاذقية، معه طبيب فرنسي، كان شاطر كتير بالعمود الفقري، المطران بعتني لعنده. المطران يشوفني عم بعمل حركات بكتافي غير طبيعية، قال ما بيصير تستمر بهالحركة، بدنا نشوف إذا عصبي أو غير عصبي. طلب مني صورة، هو شاف الصورة قللو لأبونا بول: بتقول للمطران فوراً يعملّو العملية بصورة مستعجلة، وإذا ما عملا يمكن ينشلّ بين يوم والتاني. جايي العمود الفقري على شكل S، أي زحطة يجي قاعد بدو ينكسر العمود الفقري بتنقطع الدودة... شلل كامل. بأثناءها المطران كتب لألمانيا أوجدلي تخت في بلومفيلد. بأثناءها ما بعرف ألماني، كان في الخوري جهاد بعتني لعنده، نزّلني عنده ببيت الطلبة 3 أسابيع، برّمني على أصحابه، ونزّهني بالأول وبالآخر دخّلني المستشفى... وهوني تعب معي كتير.

ز: بأنو مدينة كنت؟

ي: هو كان قاعد بميونخ، وأنا بمدينة بلومفيلد، بتبعد شي 800 كم عن ميونخ. كان يروح لعندي بالشهر مرة، أو بالشهرين مرة، حسب ظروفه. آخر شي اشترى سيارة وصار يروح بالسيارة. ضليت بلومفيلد شي 3 أشهر، عملولي العملية. كانت عملية صعبة كتير وقاسية، وعلى أساس ما كان إلها نفع أوّل ما عملتا، بس تألمت آلم لا جعل الإنسان يدوقه،

ولكن بهالآلام - ما بعرف - ما كنت أشعر باليأس، كنت كأني شعران بالسعادة، بالفرح... فرحان ما بعرف ليش! ورغم أني عم بتألّم ليل نهار، عظام تنّشر نشر... ويطّعم فيا، سيخ بضهري، ضليت 3 أسابيع عقالب متل التابوت ملزق فيّي تلزيق، وبعد منّو لفّوني بجبصين 6 كغ للـ 10 كغ، ضل 6 شهور.

ز: منين لوين الجبصين؟

ي: من رقبتي لنص فخادي، وكنت نام وقوم فيه، كان يحكّ عالعظم، شوف الدم ينزل أنا وماشي ينقّط عالأرض، يعني يلي بيضيع غرفتي، كان يلحق بقع الدم. وبعض أحيان كان يعفّن يسبّبلي آلام، يجوا يقوّروا ويكووا عالكهربا محل الجرح، ما بيقدروا يضمدوه. ضل 6 شهور، شلنا الجبصين، ولبسوني كورسات 6 شهور. بعد الكورسات جيت على الشام على سورية، الطبيب اللي عملّي العملية بألمانيا رد إجا على سورية. بسورية شو عملوا، عملّي العملية التانية هون، بأثناءها العملية التانية تحملتا المطرانية. وهونيك تحملتا المساعدات اللي جابولي هي من ألمانيا، أما الكورسات ما كان معي حقّه، الخوري الألماني اللي نازل عنده وصّى برعيته أنو في خوري سوري بحاجة لمساعدة. لقيتا هيدي كمان صعبة كتير وقت اللي لمّولي الصينية ضمن المطرانية... ولكن ما لقيتا صعبة، اعتبرت حالي متل الفقرا يلي كنت أنا اجمعلن الصينية بالقداس حتّالي ساعدن، أو اتبرّعلن بصينية العيد تساعدون، أو ببادريتي تساعدون، قبلتا، قلت أنا واحد منُن.

ز: قلت كلمة هلّق: البادرية، شو يعني؟

ي: هيدي بيسمّوا فلس العبادة، هيدي من كل عيلة بيطلع عليا 100 ليرة بالسنة، بيقدموها للخوري، هيدي معيشته. بزيادة عن دخل بطرشيله، ما لا علاقة بدخل البطرشيل، وصواني الأعياد الكبيرة،

بيسمّوها بادرية (راتب سنوي). بأثناءها أكتر شي انزعجت وقت كنت مر بالشارع، تجي مرا تفتح جزدانا وتعطيني 5 ماركات، أو مارك، أو ماركين... ارفضُن، تبتسم وتضل ماشية، أو بعض منن يلحّ عليّ، يحطلّي ياهون على إيدي ويضل ماشي. الخوري وصّاهن أنّو الخوري بدّو مساعدة. وأنا كل ما يجيني أعطيّن للخوري قلّو خود عطوني هنّن بالطريق، بس رجاءً إذا بتقلّن بالقداس أنو ما يعطوني بالطريق، بعدين قلتلّو: لأ ما تقلون معليش، هيدي اعتبرتا إماتة وكسر نفس بالنسبة للكبرياء عندي أنا، وعند أي إنسان، معليشي قبلتها... قلت بعتبر حالي من هالفقرا يللي عم يتسوّلوا بالطرقات. كمان لازم عيش حياتن، بشعر أنو هدول كمان عم يتألموا. وقت بمدّوا إيدون وما حدا بيعطيّن، كمان صعبة الواحد مد إيده وما عطيته، ومن وقتا آليت على نفسي أن لا أملك شيء، كل شي بيجيني للفقرا.

ز: كم عملية عملت أبونا؟

ي: سبع عمليات، عملت عمليتين بألمانيا، عمليتين تشويه (أربعة)، عملت عملية رئة (خمسة)، عملية أخرى بالورك (ستة)، وبأصابيعي عمليات لا تُعد ولا تحصى، بالإضافة إلى تكسير بإيديّ وأضلاع، هودي مو محسوبين، هودي بيجوا تكملة، ولكن نشكر الله، لهلأّ - عمري 55 سنة - لهلأّ الألم ما فارقني، لأن أنا وقاعد عم بتألّم، وقت بطلع لقدّس، قبل بعض أحيان بقول ما رح فيني قدّس، بس أنا بلبس البدلة متل كأني شب ابن 20 سنة أو إنسان رياضي، ما بشعر إلا لخلّص القداس. أي عمل رسولي بقوم فيه ما بشعر بتعب، بس خلّص بقول أنا: ربنا... يمكن بهالألم عم بيأثّر بالناس فيي. لا علمي جذب الناس، ولا فكري جذب الناس، ولا جمالي ولا كبر حجمي ولا عائلتي، يمكن آلامي هي اللي أثّرت بالناس. الألم اللي عشته هو اللي عطاني هالصبغة، تالناس تقبلني، تأقدر دخلاّ كلمة الله.

ز: أبونا الياس، إنت قبل ما تصير خوري، كنت شايف كيف وضع الكهنة بالكنيسة، وعلاقتن مع الناس ومع السلطة الكنسية، وأكيد وقت صرت خوري اختطّيت لنفسك نهج، قد يكون مغاير للنهج السائد، ممكن تحكيلنا عن هالنهج هادا؟

ي: أنا قلت إذا بدي صير خوري متل هالناس، بكون متل كأنو واحد صار أستاذ مدرسة، أو أي وظيفة، وهودي بيمضوا سنة وبيتركوا، أما أنا إذا بدي صير خوري، بدي انهج نهج مغاير، حتى يوماً من الأيام يلي بدو يصير خوري يتشبّه فيّي، وهادي ما من عندي، أثّرت فيي حياة كتير من الكهنة القديسين، أثّر فيّي مثلاً خوري آرس، قريت مرة حياته موجزة، أثّر فيي خوري أنطون شفرييه، كان كمان سبب انطلاقتي بالتعامل مع الناس وبحياتي الكهنوتية، وبتعمقي بالإنجيل، أثّر فيي فرنسيس الأسيزي، كمان طالعت حياته، أثّر فيّي هذا اللي طلعو جروحات المسيح بإيديه الأب "بيو"، والقديسة تريزا الطفل يسوع. كتير أثروا فيّي... يعني من تريزا أخدت قيمة الألم، من خوري آرس أخدت الفقر، أخدت نسيان الذات، نكران الذات، من الأب أنطون شفرييه أخدت الفقر والتعبّد للقربان، القربان ساعدني كتير بحياتي، لولاه يمكن ما بقيت دقيقتين بالرعية، والعدرا، كانوا هودي سلواي الوحيد اللي عيش فيا خلوة.

ز: طيّب، كيف ترجمت هالخط الجديد بواقع حياتك وقت عيّنوك بهالرعية هون؟

ي: آليت على فكري أني بدّي إنسى ذاتي كلياً، وما بدي فكّر بذاتي، لا بأكلي، لا بلبسي، لا بمسكني. بدّي فكّر كيف بدّي دخّل الكلمة لهالناس، وبدّي خلّص نفسي معُن. هذا كان دايماً تفكيري، لذلك قبل كل شي، عشت معُن متل مانون عايشين. مع الفقير عشت الفقر، مع المتجرّد عشت التجرد، ما كنت أقبل عزيمة أبداً مطلقاً، ولا ولائم.

ز: ولليوم؟

ي: ولليوم، إلا بمناسبة عمادة. بحفلة كوكتيل ضيافة أو حفلة إكليل، ما بطلع... بعدين بروح بهنّي.

ز: طيب وإذا عزمك واحد فقير بتروح؟

ي: أوف... بحب إني آكل معه، بحب آكل معه وأقعد معه مطوّلاً، ليش؟ خلّي يشعر بدعم، ويقولو أبونا بياكل عند هدا ما بياكل عند هاد، ما حدا بيحكي، بيقولو يصطفل، هدا أسلوبه الخاص. وبعدين ما عشت متطلب، ولا مرة شكيت الفقر قدام الناس. إني دائماً أنا بألف خير، ولا مرة عرفوا إني غني، يقولوا الخوري طيّب..،ما عم ياخود منّنا، طيب كيف عم يعيش.

ز: كنت ما تاخد شي أبداً؟

ي: من وقت ما دخلت الرعية ما أخدت شي!

ز: ولا تزال؟

ي: وما زلت، ألغيت كل شي بيسمّوه دخل بطرشيل، عمادة، إكليل، دفن، حتى قداس إذا حدا بدّو يقدّس لميت. عملت صندوق فقرا على الباب، بدّك تقدّس لميّتك، هالميّة ليرة حق لحمة عن روحه... حطّا بالصندوق، بيحطّا بالصندوق، أما العمادة بقلّو اهدي الطفل أو خليّا بجيبتك. إكليل، إنت كمان بحاجة هالقرش بدك تعطيني ياه، اصرفه على حالك أو على ولادك أو على مستقبلك أو على ابنك.

ز: طيب هذا كان نهج جديد. الخوارنة ما انزعجوا منك؟

ي: كتير انزعجوا مني. آخر شي الله لا يشلاّ فيه، بكرا هذا إذا مرض مين بدو يقيمه، إنشالله بتركوا ما حدا بيلقو، بعدين صاروا ينزعجوا أكتر شي بالنعوات، يوزعولن ظروفة، أنا أرفض، يصير الخوري الياس مضرب مثل، الخوري الياس ما عم ياخد، كنت دايقن، حتى بعض منن ما يتمنى إني أطلع على نعوة، أو على مناسبة، وأنا كنت

أتحاشى النعوات، ما روح إلا يجوا ياخدوني بالقوة، على النعوة، أهل الميت، وما اطلع، إلا لما ما يكون في خوري.

ز: ما حاولوا يضغطوا عالمطران ليضغط عليك؟

ي: قللي المطران: إنت مفتول، فوضوي، بتترك بوابك فتح، لمرة انسرقوا اللحف، جيت على الغرفة... هنّي 3 تخوتة و3 لحف، ما لقيت لا اللحف ولا المخدات إلا الفرش.

ز: لكن صرت غني صار عندك 3 تخوتة و3 لحف...!

ي: إيه... ما لقيت غيرن، وحتى تختي رايح كله!

ز: آخدين الفرشة منّو؟

ي: لأ... الأغطية. عاد شلت البرادي، كان برد، وتغطيت بالبرادي كل الليل. ولمرة جيت كمان تاني مرة، قبل ما جيب 3 تخوتة. كان عندي غرفة واحدة، كان في شب من بيت عطية، كامل عطية، ما بعرف إذا بتعرفه.

ز: إيه... إيه من الشام هادا.

ي: من الشام. مين دلّه يعطي عندي رياضة... إجا لعندي، وتارك الباب فتح، ما كان عندي إلا غرفة واحدة وتخت... نعسان الزلمة، تلفان من التعب، قلع ونام بالتخت وتغطى، وجيت أنا الساعة 9-10 بالليل. اطلعت لقيت زلمة نايم فيا، ما بعرفه، جاية ليعمل رياضة روحية، وحياتك فتت قعدت بالصالون، ضليت قاعد بالصالون لتاني يوم الصبح، حتى فاق، فاق قللي: وين الخوري؟ قلتلو: أنا الخوري، قللي: وين نمت؟ قلتلو: ما نمت، سهران عليك لحتى تفيق، مشان ما حدا هيك يزعجك. قام كأنه ما في شي، غسّل وتروّق وراح. عرفت كيف؟

ز: ما اعتذر منك؟

ي: ما عرف شو صاير، وما كنت قللو أنا. تاني مرة إجا عليّ سكران، جاية من السهرة الإنجيلية، كمان ما كان عندي إلا هالغرفتين، لقيت سكران نايم قدام الكنيسة، معه بطحتين عرق، عم يشرب وسكران،

وقام عليّ... بدي مصاري، هربت منّه، فتت عالبيت، وقفلت الباب وراي. مرة إجا واحد شلحني، بالليل شي الساعة 11، دخل عليّ، ملتّم، مسدسه ع جنبه، قللي أنا بدي نام عندك، قلتلو أهلا وسهلا، متعشّى؟ قللي لأ... قلتلو فإذن لجبلك لقمة تاكل، قلت بيكشف عن وجهه، بعرف شو عيونه، شو كذا، قعد أكل، بعد ما أكل قللي بصراحة، أنا ما بدي مصاري، قللي، لأ... قلتلو وقف تجبلك لحاف، نزلت تجبلو لحاف، لقيت أبو يوسف واقف عالباب، كان أبو يوسف جاي وراي. وقت اللي شاف عالباب، قللي أنا ما بدي لحاف، بدي مصاري، عطيتو لحاف لأبو يوسف، قللي بدي أعرف شو بدو هاد، قلتلو معليش أبو يوسف اتركه، فتحتلّو الجارور، معي 700 ليرة ما معي غيرن. بتاخدا، إن كنّو عينك فيا، صحتين على قلبك، بس أن ما عينك فيا، اللي بتريدو منها، قلي لا أنت بتعطيني، قلت بركي هذا معتّر ومقطوع فيه الدرب، شلت عطيتو 500 ليرة، يعني بعد ما أخد المصريات مشي الحال... يعني حاولت امتص حقده وعنفه، والأسلوب اللي جايي فيه، قلت أنا بصراحة لو المحبة بتفرّغ القلب من الحقد، الشرير إذا بتحبه بتفرّغلو الحقد من قلبه. كمان أخدتا درس لألي كيف بدي أتعامل مع الناس، تعرضت لصدمات كتيرة، وعديت لعنات الناس بالأول، بركات من السماء.

ز: ليش التقى من يلعنك؟

ي: بس بعض أحيان، من غير طايفة، مثلاً وقّف موقف ضد بنت مسيحية بدا تاخد علوي، اسمع عم يلعنوني بأدني ولكن طنّش، وحتى بعض الناس نعتوني بالضعف إنو اتنين يتقاتلوا على دونم أرض، وكل واحد ما عنده إلا هالدونم. هدا يقلّو إلي، وهدا يقلّو إلي، ما أقدر آخد كلمة فصل. إن حكمت لصالح هذا يزعل، وإن ما حكمت لصالح هذا يزعل. ادخل بيناتن بشكل حوار، وطوّل الحوار، قول أنا: إذا

طال الحوار الأيام بتحل الأمور، طالما في محاكم بين بعضن. كانوا يقولوا: أبونا يا ريت من أول يقول كلمة ويمشي، ولو زعل منّه هداك بيرجع يرضى، كان عندي أسلوب أني ما بدي خلي حدا يزعل مني، وبدي حب الجميع، وبعض أحيان الضيعة صارت هون من كل قرنة عصا، كل واحد إلو طباعه وسلوكيته، وإذا بدّك تاخد موقف صارم مع شخص بعنف، بدك تخسره. كل يوم بتتقاتل أنت وشخص، لأنو العقول كانت ضعيفة. أول ما تنسموا الهوا، وكانوا عايشين بفقر، لذلك تقسيم العقارات بالأول خلقتلي متاعب كتير، ولكن الكل كانوا يحترموني. ما عمره، صرلي هلق 21 سنة بالرعية، استحليت واحد قب بوجهي، أو نتر بوجهي، أو قللي كلمة تجرح شعوري أو كرامتي. أبداً، والكبار والصغار بيبوسوا إيدي، وصرت خاف من ذاتي، يجوا بعض أحيان مرضى صليلون يطيبوا، صاروا ينعتوني بالقديس، بآخر شي كنت قللو: يا رب مرقني بمراحل ضعف، حتالي أشعر، مشان ما أتكبّر، واعتبرت أنو الألم هو شوكة الجسد، بهالشي. وداهمتني التجارب كتير، لاحقني الشيطان كتير، وكنت أشعر بوجوده بتحسّس، يتخيلّي أنا ونايم بالليل، معليش... بعض أحيان يقلق راحتي، يدقّ البواب بعض أحيان عليّ بالليل، قوم افتح... ما في حدا! حتى مرة كان موجود عندي ناس من محردة، واحد اسمه أبو هيثم شيخ الشباب واتنين معه، ما شفنا إلا الباب انلبط بقوة، طلعنا لبرّا، ما في حدا ولا في سكن. ومرة الشباب عندي سهرانين، بها الشي، كان واحد اسمه نضال دوارة، عصام عصفورة، والياس حربا، سهرانين بهالنواحي، كمان انضربوا البواب والشبابيك بقوة، ما عرفوا مين، قلتلن: معتادين على هالصوت، ما تخافوا، صلبوا إيدكن عوجهكن، وماشي الحال. بس ما قلتلن: هذا شيطان، وما شيطان. وجرّبني بأمور كتيرة، وتجيني التجربة: "إنت لحالك، ما بتعرف إذا بتموت هلأ بتطلع ريحتك، ما حدا بيعرف فيك، ليش ما بترجع؟ ليش إنت ما بكون عندك سيارة؟

ليش إنت ما بكون عندك ناس تخدمك؟ ليش ما تجوّزت جبت ولاد؟" يعني بصير تجيني هالتجارب، ولكن بضحك عليا، وباخدا بابتسامة، وبتمرّ متل كأنو برغش وعم يغطّ عليّ وبكشّو. ولكن التجارب ما فارقتني من وقت ما دخلت... صرت خوري لهالتاريخ، ولكن كيف انتصرت على هالتجارب؟ بالصلاة والصوم. قبل ما يصير معي جلطة، كنت صوم كتير. بعض أحيان كنت أترك الأكل يعفّن بالبراد. ما آكله، وزّعه. كل شي يجيني إعانة وزعه. حتى يتخّ وكبّه، تجي راهبة تطبخلي، لبنانية كانت بضهر صفرا، هي وستّ بضهر صفرا اسما ميليا جبور، وجعن قلبن عليّ، يجوا يطبخولي طبخة بالأسبوع ويروحوا، يحطوا الطبخة تاني أسبوع يجوا يلاقوا الطبخة ذاتا، يقول: قليلة يا عمي، يا أبونا؟ ليش عم تعذّبنا ونطبخ؟ ليش ما عم تاكل إنت؟ وبعض أحيان، انبسط وقت يمرّ ناس، ويفضّولي البرّاد، كتير انبسط، وكتير بنبسط وقت حدا يضيفني، إذا بدي آكل ما فيني آكل لحالي، ما بقدر، وقف عالطريق، إذا حدا مارق بعرفه لجيبه ياكل معي، وكنت أشعر بغيري كتير، وقت كنت عم باكل لحمة، كأني عم آكل من جسمي، وكنت أطلب اللحمة، ليش؟ كنت قول في فقرا كتير ما عم تاكل لحمة، لمرّة قاعدين عم نشوي سمك، وعندي 3-4 كهنة من لبنان، إجا فقير، كنت أنا جوّا، قال شو هالسمكات ريحتن طيبة، الله يباركلكن! كنّن الظاهر ما قالوله تفضل، مين عطاه (5) ورقات وراح، ولك يا عمي سمعت حديث، قال فقير هيك ضل رايح، قلت: ما طعميتوه سمك؟ قال لأ! فوراً حطيتلّو سمكة برغيف خبز، وضليت راكض وراه لمفرق الروضة لهونيك، شافني قللي أبونا ليش راكض وراي؟ قلتلو حبيبي نسينا ما عطيوك السمكات هودي تتغداين. وبأثناءها صرت ارتبط بالفقير كتير، عملت صندوق للفقرا، كل التقدمات اللي بتجيني شخصية، خاصة فيي كرّسها للفقراء، صفّيت كل سنة عم إكسي 260 طالب يتيم، فقير. ولولا عشت الفقر... *(انقطاع في التسجيل).*

ز: المنطقة هون كيف تطورت، وهالبناء كيف صار؟

ي: كنت زور العلويّي بيت بيت، والمسيحيي بيت بيت، حتى صاروا يطلعوني على حل مشاكلُن، كلّن مسيحيي وعلويّي.

ز: المسيحيين شو طوايفُن هون؟

ي: المسيحيين هون أرثوذكس وموارنة، في عيلة كاثوليك وعيلة سريان كاثوليك، وما تبقى علويي. وما بس يطلعوني، كلّن يحترموني، حتى الأرثوذكس أعمل سهرات إنجيلية ببيوتُن، حتى منعوني الكهنة ومطارنة (الأرثوذكس). العلويي حتى إذا مات ميت، أمشي قدام الميت إلى جانب الشيخ، من سنتين بعد ما بنوا جوامع ما بقى... ما عادوا دعوني لهالشي...

ز: ليش قبل وين كانت تصير الصلاة عالميت؟

ي: عالتربة، عالمقبرة، ما يدخلوه عالجامع.

ز: وكنت تشارك بالصلاة؟

ي: كنت شارك بالصلاة، وقّف جانب الشيخ وشارك بالصلاة أبداً.

ز: وكنت تصلّي شي؟

ي: ما بيقروا من كتاب، حافظها عالغايب الشيخ، وكنت ردّد وراه، ويشعروا أني عم ردّد وراه، ينبسطوا، عرفت كيف، أني أنا عم صلي صلاتُن عن نفسه، ما صلاتي أنا.

ز: بتتذكر بعض عبارات من هالصلوات؟

ي: إنا لله وإنا إليه راجعون، الله أكبر... يعني هيك، كلمات إسلامية، آيات قرآنية، يرددوها... كنت صلّي معُن، وكان ينبسط الشيخ، وكمان بعض منُن كان يدعوني على أعراسُن، على أفراحُن.

ز: كانوا يدعوك لشي مرضى عندُن؟

ي: إيه، أبداً، يجيبولي المرضى لهون، بصليلُن.

ز: ما يدعوك لعندن للبيت؟

ي: عالبيت، روح لعندُن عالبيت، صليلُن على مي، يرشوها بالبيوت، حتى العلويين، حتى بيجيني من اللاذقية، من بانياس، من حمص، من الشام، من كل المحلات بيجوني مرضى بصليلُن. بعدين يطيبوا، ما بطيبوا، ما بعرف! أنا بصليلُن، والعناية الإلهية هي... بس الشي اللي كنت أتألم وقت أسمع الناس تحكي عني، يقولوا قدّيس، قلّن رجاءً. كنت بعض أحيان مر بمراحل ضعف قدّامن، حتى ما أخسر نعمُن إذا متت، ما عاد يصلّولي، يقولوا خلص ما بحاجة لصلاة، عرفت كيف، ما بحاجة بقى لصلاة، ما لازم نصلّيلو، مشان حتى يضلّوا يتذكروني بالصلاة. وبالوقت نفسه، إنجازات البيت، كيف إجت البناء؟ ما بعرف! ما شوف إلا محسنين تجي تحط مصاري وتروح، ويصير البناء. يعني بدأت بهالغرفة يلي نمت فيا (غرفتين)، انتهيت بـ 560 متر مساحة. إجاني مرتين حق سيارة، إجا خوري ألماني زميلك جوزيف موزر، قللي بتألم كيف بدك تموت ما بتطوّل إنت، رح ابعتلك حق سيارة. إنت بعتّو شهر لعندي، قعد هون، بعتلي 570 ألف سوري، على يد - هذا سنة 1990 - عن طريق أبونا بولس سليمان... بيروح بيتقاتل هو والمطران مشان شراء بيت، بياخدوا نصّا تنينُن، وتقاتلت بعدين أنا والخوري بولس كيف، بقى بدو يحاسبني بشمسيّات حديد عملُن، ومجموعة تواليت ما بيضللي شي، وقت اللي كتبلي أبونا يوسف أنو باعتلك مبلغ، ما بقى فيّون يخبّوا تنينُن... اضطر أبونا بولس أن يبني الطابق التاني، قلتلّو أنا حق هالسيارة ما بدي اتفنطز فيا، قللي جبلك سيارة، قلتلّو لأ، بدي إبني فيّا طابق تاني، حتى الخوري يلي بيجي بعد مني يلاقي غرفة ينام فيا، ويلاقي الرعية غرفة لولادن، وتاني هون مساعدات خيرية من محسنين، عن طريق المخيمات، عن طريق الكروبات اللي بتمرّ، حتى توصّلنا لهون، وبعدين دخّلت كل هالوقت كل دخل بطرشيلي، دخّلته مشان البناء.

ز: عم تقول بطرشيلي! بالوقت ذاته قلت كنت ترفض تاخد مصاري؟

ي: شو بطرشيلي؟ صواني القداس، عيد الميلاد، عيد الفصح، راس السنة، وعيد الغطاس، هَو للخوري، أنا عمري ما خدتُن، طول عمري بقدّمُن إمّا للفقراء وقت ما يكون في بناء، وإذا ما في بناء، لتكميل بناء الكنيسة، أو بيت الوقف.

ز: بس وين كانوا المصاري تنحط؟

ي: يلمّوها بالصينية.

ز: في وكلاء عندك؟

ي: في 4 وكلاء، كتير أمينين، المال كان بين إيديّن، ومع هيدا وكلّه، أنا معي دفتر وهنّن معُن دفتر، وبعدين ما بخلّي الوكيل أكتر من 3 سنوات، بغيره بحطّ بداله، ما بخليّون يشلّشوا! لأنو إذا شلّشوا بتصير فوضى، وعاد بيتحكّموا بالخوري والكنيسة. أنا متفاهم أنا وهنّي، اللي بدي يا بيصير، ولا مرة قالولي لأ، حرام، لا هنّي ولا الرعية، يعني الخوري بيحكي مية كلمة، أنا إذا بحكي كلمة واحدة بدّا تتنفّذ حتى لو كانت غلط، وبيعرفوا إنها غلط.

ز: بتغلط إنت؟

ي: لسّا ما غلطت قدّامن، إسّا لهلأّ نشكر الله ما غلطت، وبعدين صادق معُن وواضح، ما بوعد بشي وما بعملو، وماني مبطّن قدّامُن، بيعرفوا شو في بداخلي وشو في بخارجي، شو معي وشو عليّ، وبيعرفوا أني ما معي، وهذا هاجسن، أنّو منين إنت بدك تعيش، منين بدّو يجيك، ما رح نقبل معك هيك، وحتى الخوارنة والمطران يقللي الخوري يلي بدو يجي بعد منك، بدّو يضل يسبلّك ليموت. قلتلّو على كل حال لبعض الخوارنة، يا أبونا، إذا رحت إنت على مقبرة وقلتلّن للموتى أنتو أوادم، بردّوا عليك، قلّي لأ. وإذا سبّيتُن بيردّوا عليك، قلتلّو أنا متل الموتى ما بأثّر فيني لا المدح ولا الذم. بعد ما موت سيّان، أنسى

ما ورائي، يسبّوني معليش، أنا خلّصت ضميري وهيدي قناعتي. وهلأّ مجبور كل خوري بدّو يجي بعد مني، بدّو يعيش هالحياة، وحتى أثناء النعوات لغيت كل شي بسمّوه دعوة خوارنة. خوري الرعية هو لحاله اللي بطالعه بس.

ز: والمطران؟

ي: المطران ما بيجي، ما بيعطوه، إجى مرتين ما عطوه، وحتى إذا دعوه ما بيجي، بيجي بعزّي، بيعرف أنا هيك قناعتي الشخصية، لذلك بالموت ما بيروح، بيتحاشى هالشي، ما بيجي، حتى بالرعايا المجاورة كمان ما بيروح، لمرة عم يوزعوا ظروفة للخوارنة، عند الأرثوذكس، إجو عليّ، قلتلّن لأ شكراً، في واحد أرثوذكسي، شو ببالكُن ليغيّر طابيته متل خوارنتنا عاد بياخدوا، إيه لأ هيدا ما بياخد، وهذا اللي خلاّ الناس توثق فيي. لما عملت الجلطة، شكّلوا وفد من الأهالي وراحوا عند المطران، قالولو سيدنا ما منقبل أبداً مطلقاً تخسر عليه فرنك، لأنو هذا عم يخدمنا ما عم ياخد ولا فرنك، ومنعرف هذا ما معه شي، ولا يملك شي وما عم ياخد شي، لذلك إذا بتكلف عملية القلب من الليرة للمليون نحنا دافعينا.

ز: أي سنة صارت معك الجلطة أبونا؟

ي: سنة 1995، المطران هون انبسط.

ز: كيف حسّيت بالجلطة وقتا؟

ي: أنا وقاعد عرقت بس، وحال تمّي مي، وصار معي حرارة، جبت الدكتور، فحصني قلّي التهاب.

ز: كنت أنا موجود وقتا، قال كريب.

ي: كريب، التهابات، وروح امشي، وقدّست الأحد 4-5 قداديس وما كأنو في شي. بعد منو بدي آخد مخيم، قلت بعمل تخطيط القلب، قبل ما أعمل المخيم، وإذ في جلطة من الباب الواسع. قال فوراً لازم تنام،

المطران بدّو يبعتني على لبنان، إجى أمين فرع الحزب باللاذقية، بعتلي سيارة صحية.

ز: مين هو؟

ي: محسن الخيّر، طبيب قلبية، وإجا خططلي هو، وإجى أطباء كتير، كل واحد يعرف يجي يخططلي، يقولوا بركي تخطيط هالطبيب مو مظبوط، تخطيطنا مظبوط. ولهلأّ فيي، وكأني ما فيني جلطة، بطلع 100 درجة، بمشي، بروح، بجي ولا كأنو في شي، ولا بشعر، ولا مرة شعرت إني مهدد بالموت، مسلّم للعناية الإلهية ذاتي، جاهز، شو بدّو أنا جاهز، لأني ما ني خايف على شي.

ز: آخر فحص عملتو إمتى كان؟

ي: من شي 7 شهور، وقللي الدكتور "البركة، حيّرت الطب"، الطبيب أحمد حبيب، قللي يا أبونا شكور ربنا، كأنو ما في شي، خليك عم تمشي، عمول نشاط متل ما إنت عم تنشط، وحتى زرت أماكن أثرية... كنايس، وصوّرتا، واضطريت أن انزل وادي 7 كم كلّه حجار وصخور، وإطلعه، الشباب اللي معي تعبوا وأنا ما تعبت. وهذا يعتبر كأنه جهد.

ز: وقت رحت على مار الياس كمان؟

ي: كمان نزلت 197 درجة وطلعتا، وطلعت درج سيدة صيدنايا ونزلته كمان ما تعبت، كله بالوقت نفسه، إذن ربنا هيك بدّو، أنا ربنا بدّو يساعدني طالما بدّو ياني، بس ينتهي الدور بيقلّنا "ستوب". أكيد وما بوجهك، إنت أثّرت فيي كتير كتير، مجرّد التعرف عليك. تعرفت عليك سنة 72.

ز: قبل ما تحكي عني هلأ... اتركني على جنب! كمّلي قصة البناء هون والمزار تبع العدرا!

ي: البناء هون، القاعة، إجا لعندي الخوري فرنسيس (يسوعي)، إلو

عشرين سنة بيخيّم عندي، إجى قلي يا عمي 20 سنة وما بتاخد منّا شي، قلتلّو لا منك ولا من غيرك، قلّي طيب ولا تقدمة بسيطة، قلتلو لأ. قلي طيب شو رأيك إذا منساهم معك بالبناء، منعمل هالفرندا قاعة، وإذا جينا بمسير منقدر ننام، قلتلو إنت حرّ. بيروح أول دفعة بيجبلي 500 ألف وتاني دفعة جبلي 300 ألف... (800 ألف) سوري، وطلب من راهب صاحبه من حلب، بول دياب، جبلي 150 ألف (صاروا بحدود المليون)، خلصت القاعة، بمفتاحا كلفت مليون (جاهزة). الطابق التاني كمان الله بعتلي محسن سوري مسيحي آدمي، كمان تبرع بـ 300 ألف... والمطران لأوّل مرة تحرك بعد هالجهاد كله على أساس بدو يكون إلو شقة هون بالمستقبل، أنا خدتا فرصة، قلتلّو سيدنا إذا بدك تعمل شقة بتعملا على حسابك، قام راح تبرع كمان بـ 300 ألف، البناء عالعظم كلف 300، والإكساء هلأّ بكلف 300 بيمشي الحال. أما معبد العدرا...

ز: لحظة، كساء البناء أنا شايفو من أشهر هيك، عندك مصاري تكمل؟

ي: أنا ناطر، شو بيجيني، حتّالي "شلّح حنا ولبّس يوسف"... معبد العدرا، المطران معليشي، بدأت بمعبد العدرا سنة 1990، وسنة 90 كان إلو حدث بحياتي، كنت مريض بإجري، كنت مسير، بأثناءها، متل هلأ، لسّا أصعب من هيك، طلعلي دمامل بين إصبعين، وبأثناءها قرروا أطباء هون بدّن قص مشط الرجل، هو الخوري بول سليمان قللي طلاع بدلّك على أطباء بالشام شاطرين، طلعت... شفنا أول طبيب، اسمه أنطوان جمّال، حرام وقت اللي بدّي ادفعله مصاري جنّ، قللي: له يا أبونا عم تهينّي، أنا بدي آخد من خوري؟ قللي يا أبونا بتخاف؟ قلتلّو لأ. قللي بصراحة بدك تلحق حالك مباشرة، بدّك تجرف اللحم للعظم وجلسات عالكهربا وجبصين، وإلا الإجر بدّا بتر. قلتلو وشو هالشغلة يعني! قللي شو هالشغلة؟ صار يضحك!... قلّي الخوري بول شو رأيك إذا منروح لعند دكتور خيّاطة؟

ز: بسام خياطة

ي: شو هالشب... نظيف ومرتّب! استقبلنا استقبال... سقانا قهوة... ما قلنالو شو قال جمّال... نفس كلام جمّال. في دكتور كمان طبيب جلدي، سهيل دياب، كمان نفس الشي قللي، قلتلّو فإذن أنا رح طبّب حالي وارجع، وأنا تشييد كفرسيتا أنا اللي بديتلّن فيه بأثناءها، أنا جبتلّن الرخص، أنا اشتريتلّن الأرض، أنا اللي أمنتلّن 700 طن إسمنت، 120 طن حديد، كان كلّه ممنوع، نزلتلّن الورش عندي تاكل وتشرب مجاناً، أفرض الأكل عالرعية، على أساس عمل اجتماعي، وضلّيت 3 سنين 260 طفل معاق، 3 شهور الصيفية، ع 3 سنوات، مصروفن على رعيتي، أكلُن وشربُن ومنامتُن، حتى ترويقتُن، بأثناءها كان تدشينها. ما كنت بعرف ميرنا، سمعان فيا بالاسم، في صداقة بيني وبينك، تلفنتلّك وإذ بيقلولي أبونا الياس ببيروت، قلتلّو للخوري بولس بتبعت معي حدا لعندا عالصوفانية، قللي ليش؟ ولك ياعمّي روح إنت على بانياس خلص حالك، قلتلّو لأ بدي روح عند ميرنا، بحب اتعرّف عليا، بعت معي ست أرمنية، ما بعرف شو اسمها، شو ظريفة، مسكتني بإيدي، تعكّزت عليا

ز: أم فيليب...

ي: أم فيليب، بتسلملي عليّا أمانة، أخدتلي تكسي، وصلنا، ما فين أطلع عالدرج، حطت إيدا تحت باطي، وطلعت الدرجات، لابس كلاش من الاسفنج اللي بيتحمّموا فيه، وحاطط ورق بينُن، وألم، فتت، لقيت... اتخيل عالطريق شو هي ميرنا، وكيف هالبيت، وكيف عايشة؟ لقيت ولد صغير راكب عبسكليت وعم يبرم داير مدار هالبركة، ولد صغير، وولد قاعد، فتت أنا... في هيك بزاوية كرة فيا صورة، ودرج. قعدت عالدرج، صليت المسبحة، شي خلصت، قلتلا يا أم فيليب، قال خلصت يا أبونا، حاكيلي ميرنا، فاتت قالتلا أبونا الياس بدو ياك، آه، أبونا الياس يعقوب،

قلتلا أنا صديقه لأبونا الياس، قالتلي بيحكيلي عنك، شو بدك؟ قعدت جنبي، كلها عاطفة، قلتلا القصة كذا، بدي نتفة زيت، قالتلي تكرم عينك، فاتت عطتني قطنة ما فيا زيت، قلتلا ما فيا زيت، قالتلي وقف شوي، غابت شي خمس دقايق... القطنة مغمسة زيت، شمّيته لقيته زيت عطري، قلت أنا حتماً الزيت نازل من أيديا بأثناءها وجابيته. حطيتا بين صابيعي ولفّيتا بشاشة، وقلتلا تفضلي يا أم فيليب، لقيت هيك صورة زغيرة للعدرا، سحبتا، حاطط الصورة بإيدي وواقفين بدنا ننطر تكسي، إجري كأنك غاطّا ببرميل مي وشايلا، شعرت فيا، فيا مي، اطلّعت... العرق عم ينبع من الجلد، وعم ينزل عالأرض، وشعرت ببرودة، كنت حط إجري بميّة السخنة ما أشعر فيا، وميّة الباردة ما أشعر فيا، شعرت شي سخن بإيدي، فتحت إيدي وإذ بها هالصورة هيك صغيرة، بلشت تقذف بالزيت هيك قذف قذف قذف، لابس غمباز أبيض، من جوا السوتيان كله، أنا ما بقى عم طلّع برجلي، عم طلّع بالصورة. العمى، شفت حالي حركت صابيع رجليي، معقولي عم حرّك صابيع رجليي ورجلي وارمة! فتحتلي باب السيارة ومسكتني لطلعت، وهي ركبت من ورا، الشوفير رح يجنّ، يطلّع بإيدي يشوف الصورة. وصلنا، بدي غيّر إطار العوينات، قلتلا يا أم فيليب، لروح على بانياس وأرجع صعبة عليّ، وقفيلي شي نتفة لغيّر إطار العوينات، واحد اسمه نصري، حوّلت لعنده، حطيت الصورة على البيرو عنده، بدي غيّر العوينات، بلّشت هالناس تجي تتفرّج عالصورة وياخدوا زيت، أخدناها ورحنا عند أبونا بول، قللي شو هالصورة هيدي؟ شفت ميرنا؟ قلتلو إيه، ودهنت زيت، قللي إنشاالله خير، قللي شو هالصورة؟ عطيني هي، عطيني هي، بدي أعطيا لكلود: يا كلود، هلأ بدك تديّنّي مليون ليرة، هي أبونا لح يعطيك الصورة. ولك يا عمي اتركلي الصورة، شو بدي أعطي الصورة. قللي لأ اتركها... تركناها ورجعنا.

ز: كيف شكله كلود؟

ي: هيك مجسم قصير. رحنا، ورجعت على المطرانية، كان المونسنيور خليل، قللي وين، وين كنت؟ هلأ وقت تبرم عإجرك، خبرني أبونا بول بدّك تعمل عملية، خليك هون وأنا بقلّو للمطران يدبّر خوري، قلتلّو لأ، بطّلت أعمل عملية، قللي كيف بتبطّل تعمل عملية؟ ما شي، قللي وين كنت؟ قلتلّو عند ميرنا، شو عم تعمل، قللي جبت زيت - هو الله يرحمه ما كان يقبض هالشغلة! - المطران حميد قللي إنشاالله خير يا خوري الياس. طلعت أنا عطوني غرفة، نمت فيا، العمى بالليل ما كان فيني حط الشرشف على إجري...
حطّيته... معقولة ياعمّي..!

« انتهت المقابلة »

اختبار الإكليريكيين في سيدة البحار في الخراب في السبعينيات من القرن الماضي...

ويبدو أمام النافذة المطران أنطوان طربيه وكان كاهناً، والمونسينيور جهاد ناصيف وكان إكليريكياً.

كنيسة السيدة من الداخل في "قرية البساتين"، مسقط رأس الأب الياس يعقوب

أيقونة سيدة الانتقال في كنيسة السيدة في "البساتين"

الأب الياس يعقوب في أحد المؤتمرات الكنسية

مع المطران يوسف منيّر

مع أخيه قيصر يعقوب

الغرفة التي سكن فيها سنوات طويلة من الداخل والخارج

واجهة مدخل كنيسة "البساتين" قرية الأب الياس

في قريته "البساتين" بمناسبة قربانة سامي – ابن أخيه قيصر – الذي يسير أمامه وإلى يمينه هاشم. وفي المقدمة الراهبة أنطوانيت إحدى راهبات العائلة المقدسة في بانياس.

الأب الياس في تطواف كنسي

مزار سيدة البحار في بلدة الخراب، وخلفه مبنى للأساقفة والكهنة واستضافة الشبيبة، الذي كان للأب الشهيد فرانس فان درلخت صديق الأب الياس، الفضل الأكبر في إنشائه

الأب الياس يعقوب في الاحتفال بالمناولة الأولى.

الأب الياس يرتشف الدم الكريم من الكأس المقدسة

أثناء سيامة الأب غاندي مهنا وكان الأب الياس يعقوب عرابه بالكهنوت

الأب غاندي مهنا يساعده في ارتداء البطرشيل قبل الصلاة

ميرنا خلال إحدى زياراتها للأب الياس يعقوب

أثناء إحدى الرياضات الروحية، ويبدو خلفه صديقه الأب الشهيد فرانس فان درلخت

في عرس لطيفة ابنة أخيه قيصر في كنيسة سيدة البحار عام 2000

مع المطران أنطوان طربيه في أحد القداديس

يلقي كلمة بالشبيبة في أحد المخيمات

هاشم يعقوب ابن أخيه قيصر

مع الإكليريكيين (الأب بسام نعمة – الأب طنوس أبو مراد) وابنة أخيه ليديا

الأب الياس... والأب الياس

مع شبيبة الأب فرانس فان درلخت اليسوعي وشبيبة البساتين عام 1984

مع الأب ابراهيم يونس رئيس دير الغسانية – ليديا

مع الأب غاندي مهنا، الأب بسام نعمة، إكليريكي من فرنسا، السيد فراس نعمة، الأب حبيب

مع أحد الإكليريكيين الفرنسيين والسيد فراس نعمة من بلدة "أيّو" من ريف حماه

السيد سهيل مخ وعائلته، في ضيافة الأب الياس يعقوب

المطران أنطوان طربيه خلال مرضه الأخير في ضيافة الأب الياس يعقوب

جوقة الفرح في زيارة لمزار سيدة البحار وضريح الأب الياس يعقوب

الخوري الياس يعقوب
توفي ١٤-١٢-٢٠٠٥

الخوري الياس يعقوب
توفي ١٤-١٢-٢٠٠٥م

تمثال الأب الياس يعقوب من تنفيذ النحات مهند سليمان، وقد وضع في قاعدته القرص "الصاروخ"، الذي ارتدّ فجأة إلى صدره، وتوقف عن الدوران، دون أن يصاب بأذى.

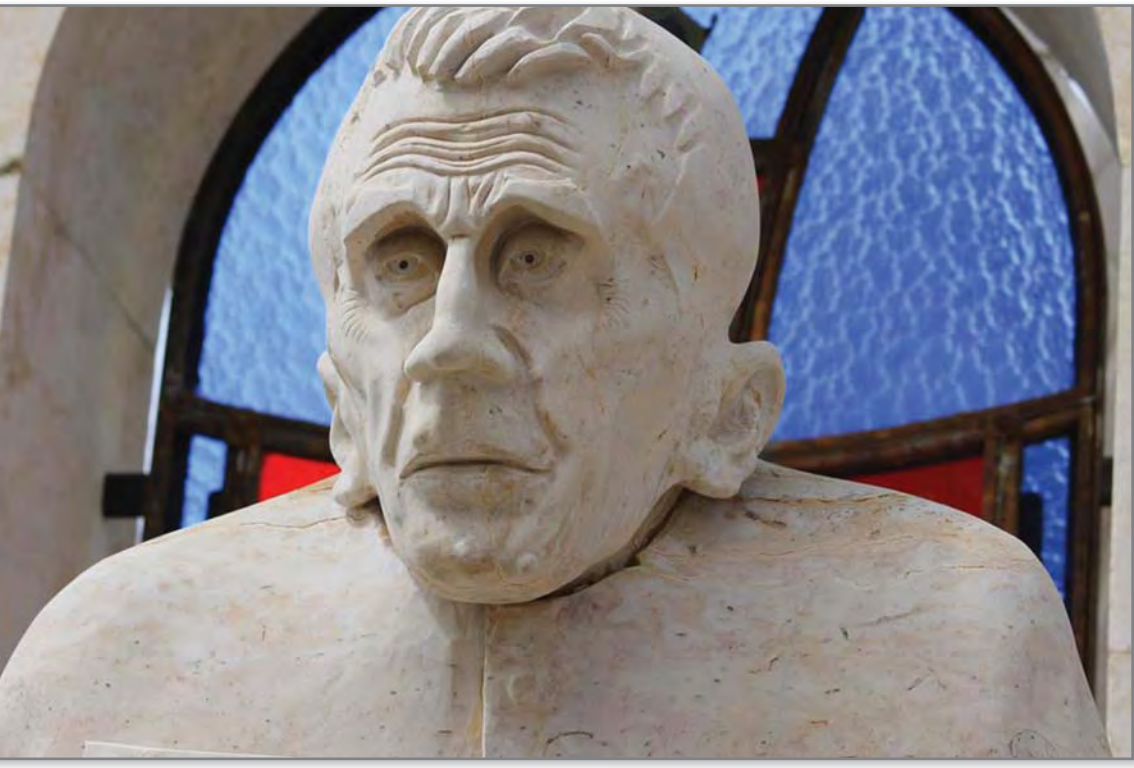

أتراه يتساءل: من الذي كسر هذا القرص ولماذا؟

الخوري الياس يعقوب
توفي ١٤-١٢-٢٠٠٥م

خواطر حول الكهنوت للأب الياس يعقوب

كل حياتي وخبرتي الكهنوتية

متى يترك الكاهن مجالاً للنفوس تقترب منه وتسأل عنه

- أن يكون بسيطاً في مسكنه - طعامه - لباسه - حياته .

1. **لا يكون تاركاً. ولا أحد يشعر به بما يعيش والإماتات التي يقوم بها. إن جاعَ أن يجوع لنفسه. إن عطش، إن مرض...**
2. **أن لا يملك شيئاً ليكون أهلاً للخدمة. لا شيء من حوله من الزمنيات. من لا يملك شيئاً، لا يخاف أن يُسرق منه شيء.**

اختبرتُ ذلك وجدت فيها غنى. ومع ذلك الله لا يدعني أحتاج أبداً. لذلك لم أوصد باباً، ولا قفلت مكتباً وخزانة. برّادي يفرغ وفجأة يمتلئ. لا أدري من يضع لي ذلك. وإن وجدتُ شيئاً مسروقاً أشكر الله، لأن شخصاً يكون بحاجة ماسة إليه، يخجل أن يطلبه. كنتُ أفرح عندما أعطي ويُطلب مني.

3. **لن أكذب على الرعية، إن وعدتُ وفيتُ بوعدي. ولا أقوم بعمل لا أستطيع القيام به، وإذا لم أستطع أعتذر أو أُجبرت بالاعتذار من الآخرين، غنى لي يريحني نفسياً. وهذا قادني أن أرى ضعفي أمام كهنوتي. من يسعى إلى الكمال، ليقتل الكاهن الكبرياء فيه. عليه بالتواضع والاعتراف بالخطأ، لأنه يميت فيه أمياله، ويؤدي به إلى أن يربح الجميع.**

الأمانة بالخدمة:

- آليت على نفسي، منذ استلامي الرعية أن أكون أميناً لدعوتي وللنفوس. لا أترك قضية إلا وأنزل فيها، حتى ولو لم أستطع معالجتها، ولو كلفني جهداً. وإذا لم أستطع أفتش عن إنسان له تأثير بالمجتمع والرعية، ثم أتنحى وأصلي من أجل هؤلاء...
- حاولت دائماً أن أشعر أنه ليس فيَّ شيء يستحق الذكر، ضعيف جسداً وعلماً، "عبد يهوه"، مشوه... لذلك تأملتُ يوماً:

1. الإنسان القوي يعتدُّ بعضلاته... أنا لستُ قوياً.
2. الإنسان الغني يعتدُّ بماله... أنا فقير.
3. الإنسان الرفيع يعتدُّ بحسبه... أنا لست من هؤلاء.

أما الكاهن بماذا يفتخر؟

لذلك قررت أن أكون فقيراً، كي لا أستطيع أن أعتدَّ أو أعتمدَ إلاّ على الله وحده.

لذلك حاولت أن أعيش لغيري، لا لنفسي، أن لا أعيش لذاتي، أن أقتل الأنا فيَّ.

الأنا كم قتلت كثيراً من الكهنة، ودمّرت رسالتهم لأنها ملأتهم من المجد الباطل، وأفرغتهم من الله، فأخذوا الكهنوت وظيفة. لذلك اعتبرت نفسي كأني لا شيء، واخترت التواضع. وما رضيت أن أستخدم خادماً أو أحد أقربائي ليساعدني. كنت أتضايق عندما يأتي أحد ليعتني بي (أتضايق داخلياً). وعندما المطران يرسل من النساء التقيّات من يطبخ لي، كنت أترك الطعام في البراد أو أوزّعه على الفقراء.

حياة الخفاء والعيش بمفردي، كم أحببتها. جعلت حياة الله تسري بداخلي كنهر ماء. لذلك فرضت على ذاتي إماتات، الله يعلمها فقط. لذلك خدمت نفسي بنفسي. لا يهمني الطعام. أتناول ما تصل إليه يدي،

حتى ولو لقمة خبز وبُقول ومعلّبات أو غير ذلك. كان طعامي بسيطاً، فليس همي الطعام والشراب.

همي أبناء الرعية أن يأتوا إلى الكنيسة. وكان لي عذاباً، رافقني سنيناً وأياماً. كم سهرتُ له وصلّيت، صمتُ وتقشّفت. عندما كنت أكتشف خطيئة مميتة عند الرعية، كانت تسبّب لي جهداً وتعهداً وصوماً وصلاة، لأني أعلم أن الشيطان يحاول أن يحطم رسالتي.

مشاكل الرعية

تختلف من رعية إلى أخرى، الكاهن أمام هذه الأمور عليه أن يكون واعياً لا يهمل شيئاً، ويسعى أن يصلح. ولكن ليكن حذراً، عليه أن يكون بحراً يستوعب، ورحوماً أمام الخاطئ، يقف موقف المسيح، حتى ولو وصم بالعار.

الشيء الذي كان يعذبني: عدم محبة أبناء رعيتي لبعضهم، المُزارع طيب وسخي وكريم وويفي، لكنه حسود، عندما يحين الموسم، وتغلّ الأرض، ويبدأ القطاف، تتفتح العيون على بعضهم، ويبدأ القيل والقال عند البعض. قد يؤدي إلى تجنّب أحدهم الآخر بدون سبب، كم عانيت من ذلك الله يعلم.

قسمة الأرض: كم سبّبت لي ألماً، كثيراً ما كانت المساحة لا قيمة لها ولكن نفوذ وحسد وأنانية، قسمتها كم قسمت بين الأخ وأخيه وقد يُستخدم بيع الضمائر وشهادات الزور، صرفت فيها جهداً عندما أفشل أعود إلى المذبح لأحرك الضمائر وأتوعدها بالقصاص المستوجب.

المزارعون الجدد الأجراء: جلبوا معهم فساد الأخلاق، كلفني صلاة وإماتات كثيرة وعدم النوم لذلك كنت ألهب الخطأة بكلام لاذع، لأن آذانهم صماء... لا يريدون أن يسمعوا.

المعرفة

آليت على نفسي أن أعرف رعيتي فرداً فرداً، أن أنادي كل شخص باسمه، أن أكتشف ما فيهم، أن أراعي الفروق بينهم، بالعلم والفعل والتربية، أن أعالج كل فرد على قدر طاقته لا فوقها.

لا أصغي للثرثار كثير الكلام، لا... أترك له مجالاً يراجع فيه ما في جوفه من حقد وبعدها أسعى لإصلاحه. أمام هذا اكتشفت أن لا أيأس، بل أعيش الأمل. كان الحل لي أن أذهب إلى القربان أصلي لمن لا يجد الإصلاح. أصوم عنهم، لأن الشيطان هو في رعيتي. وهذا الروح النجس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة وعدم النوم.

الصمت

على الكاهن أن لا يكثر الكلام، لأن كثير الكلام فارغ من الداخل يزعزع الآخر، ويبين كطنين البرغش والذباب على المسمع.

الكاهن عليه أن يسمع غيره لمدة 5 دقائق قبل أن يجاوب، أن يفكر قبل الكلام، لا شيء يكشف الكاهن إلا زلات لسانه، لأن زلة اللسان تفقد صاحبها السيطرة على ذاته، وتخسّره الأصدقاء.

اكتشفت ذلك من خلال خبرتي الكهنوتية. علمت أن النهر الجوفي مياهه عذبة وتتلون. بعكس المياه السطحية، لأن الشارب يرى ما فيها من أوساخ. كذلك الكاهن الذي يرى الناس داخله، ولا يصعب عليهم كشفه مهما كان غامضاً يعرفونه فيبتعدون عنه لأنه لا شيء يجذب الناس للكاهن إلا الوضوح والبساطة.

الكاهن الذي يحكي كثيراً، لا يستطيع أن يحفظ السر، ولا يكون عنده شيء مستور، لا بد أن يزل لسانه ويتكلم على بعض أبناء الرعية بالسوء، ويُشهّر بهم، فيصبح مكروهاً ويفقد ثقة الناس به.

بعض الكهنة يذمُ فريقاً من أبناء رعيته ويمدح الآخر، شيء خطر... إنه لا يحب أحداً، لأن من يطلق لسانه على الناس بالجيد والرديء،

ليس أهلاً لنعمة الله، ولا يكون أهلاً للخدمة. وأنا لا أستطيع أن أستوعب كيف أن والداً يحب ابناً ويكره الآخر.

محبة النفوس

أن يحب كل فرد بالرعية، أن يكون مع الضعيف والمظلوم والفقير (ولا يترك الغني يستملك الفقير بماله) وكم كنت أشعر بالفرح، عندما أخدم الأغنياء دون لقاء، وأقدّم لهم هدية مقابل إكرامهم لي، وحتى لو استدنت المال لأوفيهم ما قدّموه لي.

الكاهن الذي يهتم بفئة ويترك فئة، يأتي وقت يخسر الجميع.

أن يلتزم ليلاً ونهاراً. وكم يكون سعيداً، إن مات في العمل بالرعية.

أن يسهر ولا ينام عن العمل، لأن الشيطان يحاول أن يهدم عمله وعمل الرب.

القناعة

كنت أضيع عندما كنت أحلم بأمور زمنية. عندما وعيت ضحكت على نفسي، لذلك طلبت في البدء من يخدمني في رسالتي - تأمين الطعام - الكسوة... لأني بعد لم أعرف ما هو الكاهن. هذا كان سنة بعد سيامتي، لذلك أدركت بعد ذلك أن أكتشف حياة الله فيَّ.

لذلك أحببتُ الوحدة والهدوء. والسكينة كانت لي مرآة، رأيت فيها وجهي الداخلي. لذلك القناعة كانت لي لذة وسعادة. والوحدة، اكتشفت فيها الله، عندما عشت الفقر.

الكاهن عندما يملك المال، لا بد له من أن يُجَرّب، فالكاهن يجب أن لا يشغل نفسه وفكره بشيء، لا المال ولا حب بشري، لأنه من يفكر بشيء لا يرتاح حتى يبلغ إليه. فالكاهن الفقير لا يرهبه شيء، لأنه يملأه غنى. ويدرك دائماً أن العالم زائل، والإنسان لا بد من أن يتخلى عن كل شيء، ويخرج عرياناً إلا من أعماله. لذا عليه أن لا يدع أي رابط زمني يربطه، هذا هو طريق الكاهن.

لو سئل الكاهن عن ملك الأغنياء... زائل

السلطة... متقلبة

عادات متأصلة فيه... عبد

لذلك يجب أن لا يأمره الفلس والجنس والخبز.

لا يكون ملك الجميع ما لم يكن ملك الرب. عندئذ ينظر بعين الله، ويفكر بعقله، ويعمل بيده.

لا يكون ملكاً للغير، ما لم يكن حراً من الغير.

من خلال الخدمة

أستخف بالكاهن: الذي يتكلم عن نفسه.

الذي بكثرة الكلام، يصطحب الناس.

الذي يفتش عن المركز الأول.

الذي يُحكى عنه كثيراً.

الذي يصل مع انتفاء غيره ويؤلف شعبية.

الذي يحب نفسه.

الذي يتقرب من السلطات الروحية، ويتزلفها على حساب إخوته الكهنة.

الذي يتطلب وينعق كالضفدع.

الذي يقتني شيئاً خاصاً فيه.

جميلة حياة الراهب والراهبة، عمال بدون أجرة وبدون ملكية، شغلهم يبقى الله والنفوس. لذلك كانت لهم هذه الحياة قداسة. أغنوا واغتنوا، لذلك كم تكون السلطة ملهمة، عندما تعيش هذه الحياة، وتهيئ الكهنة للعيش عليها.

عندما كنت لا أملك شيئاً، كنت أشعر بالسعادة، لأني لا أجد ما أشتري، فأكتفي بما هو ضروري لحياتي.

رغم أني فقير، أبقى أملك أكثر من كثيرين من الفقراء. كم من الفقراء تعرضوا للجوع ويموتون سّراً به. أما الكاهن، مهما يكن فقيراً، لا خوف عليه، لأن الرعية حوله، يأكل متى يريد. لذلك آليت على نفسي أن يكون عملي مجانياً لقاء خدمتي في الرعية. وإذا أخذت شيئاً خارجاً عن ذلك، لا أحتفظ به، بل أوزّعه على الفقراء ومن لا قوت لهم. وأدّخر ما يكفي أجرة السيارات، للعمل الرسولي.

الاعتراف وقيمة الاعتراف عند الكاهن

أحببت كرسي الاعتراف، يوم كنت مساعد كاهن في بدء رسالتي. كانت لي، إعداداً للمستقبل، لأكون ذا غيرة على النفوس، من خلال كرسي الاعتراف، شعرت بشرِّ الخطيئة وعدد الخطأة، كم للشيطان من حصة له في العالم، وكيف يقاوم الله، علمت كم هي (النفوس) متعطّشة لله. علمت كم تعاني النفوس من الألم.

هناك الحسد - الأنانية - الكبرياء - الزنى - محبة الشهوة - الكسل - العالم - الجهل الديني.

كنت مراراً أدمع، عندما أرى نفوساً عبدة للزنى. أحرّض المعترف لينال النعمة، وأكمل عنه وفاء القانون. كنت أسمع وأصغي وأفكر وأحكم وأصلي في قلبي. لا أعطيه قانوناً كبيراً، ولكن أجمع في مخيلتي ما يحتاج إليه، أعود وأقدم عنه إماتات لله.

كان عذابي الأول أن أبناء الرعية لا يحبّون الاعتراف، رغم النداء والإلحاح. كانوا يقدمون لي عذراً غير مقبول لم أقتنع به. عرفت أن المرض كان الكسل وعدم العادة. لذلك قبل موسم الأعياد بثلاثة أيام، أذهب إلى الرعية بيتاً بيتاً، أعرفهم فرداً فرداً أو بالمزارع. كانت الرعية تعترف بجملتها. يبقى فردان أو عشرة، أحمل لهم القربان في صدري وأذهب إلى البيت بشكل زيارة والمعايدة، آخذه وأعرّفه وأعطيه القربان. ونشكر الله أنه في كل عيد، لم

يبق شخص واحد إلا سهواً دون اعتراف. ومن كان غائباً، أسحبه من المقعد في الكنيسة، وأعرّفه وأذكر أنّ الجميع يسمعون لي بفرح وابتسامة، ويلبّون.

الكاهن عليه أن يعرف

أولاً: أن يحذر النَاس: لا يسلّم قلبه لكل إنسان، الناس قد يكونوا ذئاب خاطفة، طبعاً ليس كلهم، أقسام منهم:

1. يتقرب من الكاهن للحصول على مصلحة، وخدمة خاصة، ومنفعة خاصة، وخصوصاً إن كان الوقف غنياً.
2. البعض للحصول على وجاهة.
3. بعضهم للاستغلال.

الشجرة تُعرف من ثمارها، وعندما يجد أمثال هؤلاء، لا يتهاون معهم، ولا يستخدم العنف، بل يتخذ موقفاً يضع لهم حدّاً فيه، ويتجاهل ما يزعمونه، ويشعرهم أنه يعرف كل شيء.

قد يوجد حسد بين صفوفهم، عليه أن يكون حكيماً، لكي لا يخسر قسماً منهم.

الناس كثيراً ما يتّفقون على الكاهن. عليه أن يكون حكيماً (صالحاً لكل شيء).

من خلال الزيارات:

أن لا تكون طويلة، ولا للتسلية والعزائم فقط، وإنما للرسالة، وقد تطول أو تقصر.

من نظرة واحدة، يجب أن يعرف كيفية استقبال الناس له، من خلال وجوههم. عليه أن يستعمل الفطنة ويكون حساساً. من نظرة إلى الوجه والعين، يقرأ ما في القلب، وهذا لا يأتي إلا بعد وقت يكون قد صرفه بالصلاة والتأمل، ونال قسطاً من الروحانية.

اختبرت ذلك في الرعية. عرفتها، عرفت ما فيها لارتباطي فيها، كنت

أشعر، وأنا بعيد عنها، بما يصيبها، لكثرة ما كنت أصلي لأجلها. فمن أجل كل بيت وكل فرد، كنت أقضي الساعات أفكر بهم، وأعدّ حبات المسبحة على عددهم، لذلك كان المريض المشرف على الموت، كنت آتي إليه من مسافات بعيدة بدافع غامض لا أعرف ما هو، وكيف كنت ألمس ذلك!...

إنه إلهام من الله، فالبعض منهم، بعد المناولة، يسلم الروح.

وحدتي في الرعية كانت لي غذاء. عندما كنت أهاجم من التجارب، كانت لي دافعاً لأستعيد حياة الله فيَّ، صليت للعذراء مريم وخوري آرس، شعرت بعد ذلك أني مقبول لدى الله.

كنت سريع الغضب. ولكن رغم غضبي، لم أستطع أن أحقد وأخفي ابتسامتي.

وقفت أمام من يظلمني، صامتاً. لا متطلّب من السلطة الروحية ولا الزمنية. فطناً بإدارة الرعية.

أما أراضي الأوقاف فأمر مهمل، ولا أعتني بها، لأني لا أحب أن أقتني شيئاً.

كانت حياة الله في وحدتي تجري فيَّ كنهرٍ دافق...

كم كلّفني الانتصار على ذاتي، للتغلب على التجارب، طلبت من مرشدي الروحي، فقال لي صلّ هذه الصلاة "أيتها البريئة من الخطيئة، ساعديني على مقاومة التجارب". فصرت قبل كل صلاة وقداس، أتلوها، حتى شعرت بعد ذلك بالانتصار، وقد كلّفني ذلك سهراً وتعباً وصوماً وصلاة ومطالعة.

فالصلاة والإماتة والصوم، كانت الدواء الوحيد لي. فعندما أصوم 24 ساعة، أجد نفسي قوياً.

كانت العذراء سلوى وحدتي، ألجأ إليها في صعابي، فأغرف من قلبها المحبة، أرتوي منه في عطشي، أكمّل النقص الذي فيّ، أدعوها أثناء تقلّبي بالفراش.

فالكاهن الذي لا يصلّي ولا يصوم عن رعيته، لا يقوم بواجبه الكهنوتي تماماً.

الألــم

عندما يعيش الكاهن الألم، الصليب يصبح خفيفاً. قد يُتّهم ويُهان. يشعر بالتعزية عندما ينظر إلى الصليب اختبرت ذلك مراراً.

الصلبان الجسدية: قد يحاول الشيطان أن يضرب الكاهن بجسده، ليقطع عليه الطريق، ليمنعه أن يقدم ضعفه عن ارتداد الخطأة برعيته. فلقد أجريت /6/ عمليات جراحية بجسدي. شعرت أن يد سمعان معي. لذلك كنت أتحمل دون أن أشعر بالألم. أما الله، شعرت فيه يعضدني من خلال الحياة التي كنت أعيشها، فالصليب نعمة لإظهار محبة الله لي.

صليب البشر: البشر قد تلعن الكاهن. ليعلم أنها بركات من السماء، عليه أن يتأمل فيها، ليعرف قدر نفسه.

عليه أن يحذر من تعلق نفسه وتفكيره باهتمامات العالم، لأنها تقتل فيه حياة الله، ويصبح فارغاً. لا شيء يسد فراغه... لا المناصب... ولا مديح الناس... فيبقى الندم حليفه.

بعد الخبرة، التقيت بأناس ندموا في آخر حياتهم، لأنهم لم يحبّوا الله، ولم يعيشوا حياة صالحة. ومن ثم أجد إنسان ندم لأنه أحب الله.

في ديري لم يكن شيء خاص لي، بل ملك كل من يدخل الدير. كنت أجوع لأطعم الآخرين. وكم كنت أتمنى يوماً وأفرح فيه، عندما لا أجد بديري شيئاً آكله لذاتي.

كنت أتضايق من العطاء لأقربائي وإخوتي، أتهرب منهم لأني ما أملكه وما يُقدّم لي شخصياً، لا لكوني أنا فلان...! بل لأني كاهن أمثّل الرعية. ولكن كنت، إذا أعطيت فقيراً، أشعر بسعادة لا حدود لها.

ألخص حياة الكاهن من خلال الخبرة:

مقاوم للخطيئة - محب - يملك كل الفضائل - يعرف أن يتهرب من الخطيئة - رجل صلاة - يضع أمام عينه الحياة الأبدية وزوال هذه الحياة.

اختباري:

إن السعادة الكهنوتية تقوم بالوحدة: الوحدة تجعل الكاهن يسعى إلى أن يفلح أرضه أي نفسه، لئلا تظل يابسة، كما يسعى الفلاح لفلح أرضه. النعمة لا تدخل بالنفوس إلا بعد انفتاحها، بعد شعورها بالشوق إلى الله. وهذا الشوق، لكي يولد، لا بد من الخلوة إلى النفس لمعرفة الذات. فهذه النعمة تروي كلمة الله، فتجعلها تنبت كحبة الحنطة.

لا شيء يجلب الناس إلا الطهارة، والكاهن بواسطتها، يتقرب من الناس والنفوس، مثل النملة التي تدّخر الزاد للشتاء. فلذلك على كل مسيحي أن يسعى، طيلة حياته على الأرض، إلى الأعمال الصالحة لليوم الأخير.

متى عاش الكاهن حياة الله جرت فيه الحياة الإلهية كنهر لا ينضب.

كيف يعرف الكاهن والرسول والمدعو، أنه مقبول لدى الرب وقريب منه؟

عندما يمتحن بالتجارب المختلفة. بالتجارب يفهم من دعاه الله إليه، أن القلب لا راحة له إلا في الله. لذا يسعى كي تكون صورة الله واضحة أمامه لا تغيب، ومتى وضحت صورة الله له، يسكن الله فيه.

فكل ما يطلبه يجده الرسول، ولا شيء مستحيل عليه.

الكاهن من هو؟ الراهب من هو؟ الراهبة من هي؟

الكاهن منارة تهتدي عليها النفوس إلى الله... وكذلك الراهب والراهبة.

أنا بحاجة إليك

أراك تبحث عني، تطاردني، متى ابتعدت عنك، صوت ما زال يدوّي في آذاني، صورته أمامي في كل حين. في وسط العالم المملوء بالضجيج، ضباب العالم وماديته تحجبك عني، صعوبة تخنق أخي الإنسان، لذلك أنا آتٍ إليك.

أهّلني لأدخل إلى نفسي لأجد ما فيها.

متى لا نشعر بوجودك؟ عندما نهتم بنفوسنا.

ولكنك تبقى معنا وتخلّصنا رغم تمرّدنا لأنك صادق بوعدك.

تقول لي من أنت، اسأل نفسك؟

بعد أن سألت نفسي رأيت أعمالي تقف حاجزاً بيني وبينك... تمنعني من الوصول إليك...

إني أصرخ بعدما أنظر إلى ذاتي، وعرفت ما فيَّ من ميول وخطايا.

أن أصرخ: إلهي، إلهي، لماذا تركتني...؟

قلبي يتوق إليك كالعطشان في الصحراء...

عندما أتذكر خطايا الشباب أصرخ إليك. أنا مع النفوس بحاجة إليك.

يجاوبني صوت: لا تخف. تنقصك محبتي، ومعرفتي. نعم غيابك عني جعل العالم يجرفني، فأقع في دنيا الأوهام.

اختبرت نفسي وذاتي، عندما ابتعدت عنك. عرفت أن الشرف فيَّ، لا يبرّره إلا حبّك الإلهي.

كم أطلّت عليَّ روحك. وإن يدك أنهضتني مراراً، وشدّتني بقوة. والعالم غدّار لا تدوم صداقته.

أدركت أنه لن يبقى لي إلاّ أنت ويدك. ومهما طالت بنا الحياة، تبقى أنت المرجع والميناء الذي نرتاح فيه.

صوتك عذب، طعمك لذيذ، وجودك أمان، دخولك راحة.

لو رفضت قبولي:

أنا حشري آتٍ إليك بإتياني... بضعفي... بشهواتي.

أعدك اليوم في ختام الرياضة أن أميت فيَّ عهد الشباب المنحرف، الشهواني، أنا مستعد لأدخل معك في العمل في معترك الحياة، أتبعك وأتحمل كل شيء في سبيلك. ساعدني لأجعل صوتك فيَّ، بك اعتصمت، لن أتزعزع إلى الأبد.

في 1987/8/2 رياضة الشباب أمام القربان

خـواطـر

يحب الكاهن أن يقف أمامها من خلال خبرتي الكهنوتية

أمام الأفكار الدنسة:

- **من يعلّق قلبه بأشياء زائلة، يعيش بدنيا الأوهام، كمن يحلم حلماً ويصحو وليس في يده شيء.**
- **من يعلّق قلبه بهذه الأمور، مثل هرّة لحست قطعة شحم على مبرد، فنزفت دمها دون أن تدري، كذلك الإنسان يذهب وراء شهوته التي تقوده إلى الموت.**
- **النفس الطاهرة موضع لسرور السماء، وقريبة من الله، ولها دالة عليه، لن يرفض الله لها طلباً.**
- **الشيء الوحيد الذي يهزم الشيطان قلة الأكل والنوم، والصلاة. والذي يريد أن يخلّص نفسه، يجب أن يسعى سعي الغني البخيل وراء الدرهم.**
- **لا شيء يشبع النفس إلا الله وحده. ولا شيء يسد جوعها إلا القربان المقدس، ومن يردُ نفساً عن الخطيئة، يخلّص نفسه.**
- **مكان وجود قديس بالرعية، هنالك يكون الله.**
- **ما أجمل الصلاة بعد التعب. إنها تريح النفس بعد التعب، إنها تكبّر القلب، وتجعل الإنسان يشعر بنشوة ولذّة لا حدود لها. وهي تترك صاحبها يتّحد بالله ونِعم الاتحاد، حيث يشعر الإنسان أن الله يعيش بداخله. فالصلاة تجعل الوقت يمر بسرعة لا يشعر الإنسان بفراغه.**

من ينظر إلى إشباع شهواته، لا يفرح بجمال الحياة، ويشبه الخلد الذي يحضّر لنفسه بيتاً تحت الأرض، لا يستطيع أن يعيش بالنور.

- متى يسقط الإنسان في الخطيئة: عندما يبدأ يهتم بنفسه، بأكله، بكسوته،

طوبى لمن يتألم ولو دقيقة واحدة باليوم مع يسوع.

الألم:

قد شعرتُ فيه بالتعزية كنتُ أقدّمه عن خلاص النفوس بالرعية، ولقد لمستُ نجاحاً في عيد من الأعياد.

فمن يحبّ الله، يطلب الألم ويرضى بالصليب كيفما كان نوعه، لأن من يوافق الصليب، يخفّ حمله. طوبى للنفس التي تُجرَّب، لا شكّ أنها قريبة من الله، وصاحبها يرى نفسه صغيراً، بحاجة إلى الله. محبّة الله كالسيل الذي يجرف الحصى، كذلك يجرف نواقص المحبّ أثناء مروره خارجاً عن الرب. ليس شيء بثابت. فالقوة تضمحل، والجمال يفنى، والمال يزول، والعمر ينقص.

ما أشقى الإنسان الذي يتعلّق بأمور تافهة، وتستعبده أشياء إلى الأبد كالزنى.

يجب أن نعلّق قلبنا بالله، لنحصل على السعادة. فالأم تتعذّب إذا فقدت وحيدها، أو زوجها، وتكون شقيّة. ولكن هل فكرت بشقاء المعذّبين بجهنّم إلى الأبد؟

الإنسان المسيحي الذي يعيش بدون أن يؤمن، أعمى، لا عين له ولا قلب، ووجوده عدم.

كيف كنت أصلي

كنت أكره أن أردّد الكلام. ولكن كنت أحبّ أن أفكّر بالله، وأصغي إلى الأصوات البعيدة في الطبيعة، وفي سكون الليل وفجر الصباح، وأسبّح الرب معها. فأكتشف الربّ وأسمعه وأرتاح.

وأمام العذراء، أنظر إلى صورتها، وأجسّدها أمامي. فنظرة منها تعرف بها ما أريد... وكم حقّقت لي ما كان يبدو مستحيلاً!

الدنس:

النفس الدنسة كلب على الطريق، مائت من عدة أيام، ورائحته كريهة.

من يفقد طهارة جسده، يشبه ذلك، لأنه يسيء إلى نفسه، وإلى الناس، وإلى الله.

لو استرشدت عندي فتاة كانت قد سقطت بالخطيئة (الدنس) عدة مرات. بعد الحصول على التوبة، امتلأت عيونها بالدموع وقالت: لم أعد أتصور الخطيئة، بعد حصولي على النعمة.

لو فهم الإنسان قيمة النفس الطاهرة، لما ارتكب خطيئة واحدة مميتة. وما أجمل أن يميت الكاهن جسده ليربح نفسه.

أدركت أن من يعيش الطهارة، يشرق عليه نور. يستطيع أن يفهم صاحب هذا الإشراق، الدواء الوحيد للانتصار على الميول الجسدية: قلة الأكل - قلة النوم - الصلاة. كنت أترك الطعام في البراد لكي يعفّن وأفتح البرّاد لأقول للنفس والجسد كل إذا شئت...

الطهارة لا يُستغنى عنها، فهي كنز ثمين، من وجدها حذارِ أن يخسرها.

من امتلك الله في قلبه، يكون وديعاً لا يستطيع أن يجرح إنساناً، ولو ظهر أنه ضعيف الشخصية. وهذا ما كنت أوصف فيه.

متى أحبّ الإنسان الله، وكان طاهراً، له سلطان على قلب الله، ولا يستطيع إلا أن يفعل إرادة الله.

الله دائماً أمام الشر. وعندما يتفاقم على الأرض، يحاول أن يبيد العالم. ولكن تقف أمامه نفس طاهرة، وتسكّن غضبه، وتجعل القلب الإلهي يعود ثانية، ويتفجّر حبّاً على الصليب، فيتلاشى الشر.

ما أجمل النفوس التي ترضي الله. إنها قريبة منه بحفظ الطهارة: الصلاة - الاعتراف - القربان - المطالعة الروحية.

الصلاة تجعل القلب مركزاً لله.

الاعتراف: يحافظ على هذا القلب، درعاً لله.

القربان: يحرق فيه الخطيئة ويضرمه بالحب الإلهي.

المطالعة: تغذّي المخيلة وتعطي قوة للعمل.

الدنس دائماً يرى نفسه صغيراً في عين نفسه، ومنبوذاً من الآخرين.

الحروب والجوع والوباء والزلازل يسبّبها الدنَس. الله لا يستهان به ولا يسمح أن تشوّه صورته.

الدنس: دائماً قلق، يكره الحياة، يخاف من الموت ويرعبه.

الله لا يطرح الإنسان في الجحيم، نحن بأيدينا نطرح أنفسنا به.

كل نفس تخطأ تموت، والخاطئ يخسر الله بذنبه. القربان يجدّد النفس بالمسيح.

القربان:

إنه يجمّل النفس بكل المحاسن، يفعل فينا كالرياح بالنسبة إلى النار.

علينا أن نزور يسوع فيه - حائط الكنيسة لا يحجبنا عنه. إن مررنا بقربها. لنتوقف لنعرف أنه حاضر هنا.

النفس الباردة يلهبها ويملؤها ينبوع السعادة. كم هو جميل النهوض الساعة الرابعة للصلاة حين يوجد أناس لا يفكّرون إلا بنومهم وأكلهم، الويل لمن لا يفعل غير ذلك.

الساعة:

تعدّ على اللاعب ساعات لعبه، والآكل ساعات طعامه، والنائم ساعات نومه والوقت يمضي بسرعة.

ما أجمل الكاهن الذي يصرف بعض الساعات لخلاص نفسه وخلاص الآخرين.

طالما هناك نهار، على الكاهن ألا يرتاح. والنوم له في الليل وليس بالنهار.

كان بعض الناس ينزعجون مني، عندما ألحّ عليهم للقيام بالواجبات الدينية. البعض كان يستخفّ بي، والآخر يزعجني. ولكن شخصياً كنت أرتاح وأشعر أني أزحت عن كاهلي حملاً.

أثناء زياراتي، كان حديثي دوماً عن الله وعن تقصير المؤمن بالصلاة. والشعب، عندما أدخل، يشعر أني أجلب له كلمة الحياة. يشعرون أني موجود ويشعرون بوجود كاهن لأني لم أصرف وقتاً جانبياً يغاير رسالة الكاهن.

الأغنياء:

كانت المشكلة التي تعترضني لقائي مع البيوت الغنية.

العائلات: كانت عائلات ممزّقة مقسّمة على بعضها. الغني لا يرتاح أبداً وهذا ما لمسته من خبرتي. لذلك كنت أشعر تسابق الأولاد على أكل والدهم. الأخوات في عراك مع بعضهم البعض، للتسابق في التقرب من الأخ المليء الناجح، يكثر القيل والقال، وتبدأ الشكوى: إن أخي أعطى أختي، ولم يعطني... لذلك كان جهدي لكي يسالموا بعضهم، ويزوروا بعضهم بعضاً، وينزعوا الشر والأنانية من قلوبهم.

رحماك يا رب لعيون لا تعرف الشبع.

توصّلت لوقت كنت أشعر بضيق لا أكاد أتنفّس الصعداء فيه، بل أختنق، وأشعر أنّ العالم مطبق عليّ. أحسّ أني أزرع ولم أحصد. أتعب ولا أجد ثمراً، كأن الربّ غير راضي عني، فالشيطان يخنقني بالأحلام والأصوات والضوضاء والضجيج، والبعض يعيّرني حيناً عندما يناديني باسمي. أسمعه وأحسّ بوقع خطواته حولي، ففكّرت أن أغيّر الرعية. ربما يأتي كاهن بعدي تنال رعيتي الخلاص على يده... أطلعت مرشدي الروحي، وهو يسوعي كنت أحبّه كثيراً وصديق لي، دكتور في علم النفس.

دعاني، عندما أحسّ بذلك، أن أنظر إلى الصليب مليّاً وأعانقه، وبالفعل، فعلت فتبدّد كلّ شيء، وبالوقت نفسه كانت النفوس دائماً متعلّقة بي، وتنظر إليّ، إنها ترى الله بي. هذا ما جعلني أقبل الحالة التي كنت فيها، وأقدّم ذاتي يومياً لله عن رعيتي.

كانت العذراء مؤنسة لي في غربتي ووحدتي. أشعر بالتعزية عندما أنظر إلى صورتها. تارة كنت أشعر بها تنظر إليّ بعين تريد مني بعض الشيء.

وتارة أشعر بها تنظر وكأنها تخترق قلبي ونفسي. عند ذلك أشعر بفرح داخلي لا أستطيع أن أعبّر عنه. فما كان بوسعي إلا أن أنطرح أمام صورتها كثيراً. ياما قضيت الليل منطرحاً حتى الصباح. كنت أشعر بالفرح، عندما أصلّي مسبحتها.

لولا هذا الألم لم ألقَ أي نجاح في رسالتي الكهنوتية.

تارة أرى عينها إلى الأعالي، إلى السماء، لترفع ما أطلبه منها إلى الله.

إلا أني كنت أحبّ العزلة، وأتمنّى أن أكون ليل نهار بمفردي. وهنا كان يطيب لي أن أتحدّث مع الله، أفكّر، أتأمّل، أقرأ تاريخ نفسي في حياة قدّيس. أحبّ المطالعة التاريخية، خاصة تاريخ الكنيسة، لأبث الأقران كم على الكاهن أن يعمل ويسعى، ويكون قدّيساً ليحافظ على كنيسة المسيح التي مُزّقت من جرّاء ضعف إيمان المسيحيّين، واهتمام الكهنة بأنفسهم وتفضيلهم مصالحهم على الغاية التي دُعوا من أجلها. لذلك كنت أحبّ الكاهن وأفتح قلبي إلى كلّ كاهن، وأحبّ أن أساعده، وأتقرّب منه وأصلّي لأجل الكهنة عامة.

عندما كنت أُزار من أقربائي، كنت أشعر بالألم وأتمنى أن يتركوا سريعاً. أعطيهم ما يفضل عن النفوس والفقراء، وأشعرهم أنهم مثل غيرهم. البيت ليس ملكي، وأنا لم أعمل كاهن، لأكون لهم مورد رزق

وبقرة حلوب. وأحبّ أن لا يأتوا إليَّ إلا عند الضرورة وإن حضروا مثلهم مثل غيرهم، لا بل غيرهم أفضل منهم. وأن ما يأكلونه، ليس لهم، وأن هذا من حق النفوس، ولم يأتِ لكوني أنا فلان. إذن باعتباري كاهناً، هذا من حق أبناء الكنيسة عامة...

كم من الكهنة كانوا يفتخرون أنهم هيأوا ما يلي: طبيباً من أبناء إخوتهم. مهندساً - محامياً. ولكن ما استفادت منهم النفوس؟

كنت أرى بعض الكهنة، بيوتهم لعائلاتهم. أقول في نفسي: هذا الطعام ليس من حقهّم، وإنما من حقّ الكنيسة. هؤلاء الكهنة سارقون.

اصطدمت مع الكهنة من حسدهم لي. من كان يحسدني هو الذي كنت أحبّه كثيراً، وأفتح له قلبي وبيتي.

مراراً وصموني مع الأسقف بالفوضوي. لأنّ بيتي للجميع مفتوح، ولا أوصد باباً.

أعود فأرى كلّ شيء قد بُدِّد، وهذا كان يفرحني.

كنت لا أعبأ بذلك، خاصة بعض الكهنة كان يضايقني كثيراً، عندما كان يقول لي شيئاً، وأمام الأسقف يقول العكس، ليبرّر نفسه. وكثيراً ما كان هو الذي يأكل من زادي، ويحارب أعمالي هذه.

أدركت أنّ هذا غنى لي... كنت أعود إلى البيت، أرى طعاماً لم أعرف من أين؟ وزيتون ومؤن أخرى... مراراً كنت أعود إلى البيت، فلم أجد قطعة خبز لآكلها، فأنام بدون طعام أو عشاء.

البراد يفرغ والخزانة تفرغ، وبعد ساعات أعود فيكون كلّ شيء عاد كما يرام وكما كان. فالبراد عاد ممتلئاً والخزانة والطاولة أيضاً. حتى تعجّبَ بعض الإخوة، طلاب الكهنوت، وأيقنوا أن الأخذ لا يقوم إلاّ على العطاء.

كنت أوصم بالإهانة من بعض الكهنة، عندما البعض يحدّثهم عني. إنه تقي، ورع، فاضل. يعمل عجائب... كذا... فيقولون كيف يعظ؟ إنه غير مثقّف... على كل حال أعماله كلّها غلط...

سوف يندم عليها. ومرة رشقني أحد الكهنة، وسابقاً كان من المقربين لي. انقلب عليَّ عدوّاً، بعد أن كان صديقاً... وقال إنك غير متعلم... كنت أحبّ ذلك الكاهن، عندما يكلمني عن ذلك، لأنه يجعلني أفهم كهنوتي أكثر، وأشعر بضعفي، وأسعى لأكون كاملاً.

الخطيئة (الدنس):

عبودية، من سقط فيها، عليه أن يتحرّر منها لئلا تأسره. من يرتكب الخطيئة هو عبد لها.

على الإنسان المسيحي دوماً أن يعيش المسيح، لئلاّ تجرفه أعماله.

من يتبع الرب يسوع، لا يمشي بالظلام، الله يبقى له نور.

الخطيئة ضررها الأول: أنها تعمي القلب والعين، ومن اعتاد عليها يكون مثل إنسان فقد رشده، يصنعها بدون وعي.

شر الخطيئة: هي تعيد الإنسان لنفسه. الإنسان الخاطئ لا يرى إلا نفسه، ويغمض عينيه عمّا يحيط به، كالأعمى لا يرى شيئاً. المسيح قال فيه: مثال الغني الجاهل...

في هذا العالم للأسف: يوجد كثير يعيشون لنفوسهم، وجهدهم إشباع أميالهم. شغلهم الشاغل ماذا نأكل أو نعمل؟ لا يفكّرون أنّ الحياة قصيرة، لذلك كانت الخطيئة نتيجة عدم وعي الإنسان للأمور.

كلّما حاول الإنسان أن يهتم بنفسه، وأعار جسده الأهمية المفرطة، ثارت عليه غرائزه وشهواته وعاد قلقاً، ما أشد نكران الجميل وعدم التبصّر بالأمور الروحية.

الإنسان المسيحي، إن لم يخرج من ذاته ويمت عن شهواته، يجرّب دوماً ويظلّ العذاب يراوده.

القدّيسون وأجدادكم، كانوا يميتون أجسادهم ليربحوا نفوسهم.

الخطيئة هي فقدان لسلام داخلي.

إن أردت أن تحمي السلام في داخلك، قاوم شهواتك وأميالك بمقدار ما تستطيع.

إن لم تحرم نفسك من أشياء تحبّها، كيف تتغلّب على شر يبدو لك خيراً في ظاهره؟

لا سلام في ذاته للمسيحي المهتمّ بأمور هذه الأرض، نفسه وأمله فيها.

إن أردت أن لا تخاف الموت، عش النعمة والطهارة، لأنّ الخاطئ دوماً يخاف من الموت، لأنّ خطاياه تخجله بأن يقف بحضرة الله، فيخسر الله بذنبه.

الله لا يلقينا في النار، نحن نرمي أنفسنا فيها.

ما أكثر الذين يجاهدون لجمع كل شيء بعصرنا ولا يشبعون، وهدفهم زيادة ثروتهم.

غداً يتركون هذه الأرض، وغيرهم يأكل ثمرها وثمر تعبهم. وتكون حياته قبضة من الطحين تنتثر في الهواء، ولن يبقى لها أثر.

الإنسان فانٍ وكل شيء باقٍ.

لذلك انزع الخطيئة من قلبك أيها المسيحي، أنت مدعو لتحقّق دعوة الله، وتكون نوراً وملحاً...

الطهارة نعمة، والخطيئة عذاب وقلق. ومتى عِشتَ الطهارة، وجدت الراحة، فحافظ عليها، فتبصر أنّ الحياة مفيدة.

وإن كلّ شيء باطل ما عدا حبّ الله. والحياة باطلة وزائلة. ولا اتكال عليها، بل على الله. اترك الطمع واتباع شهوات الجسد، تمنى العمر الطويل ولكن بعيشة صالحة.

ما أجمل أن يصرف الإنسان ذاته وقلبه وعينيه عن حب المنظورات والتوقف عليها.

ردّد في فكرك: العين لا تشبع من النظر، والأذن من السمع، والقلب لا يجد الاستقرار إلا بمحبّة الله.

لأنه قال: من يتبعني لا يمشي في الظلام، بل يكون له نور الحياة. آمين.

الكاهن عندما يعرف دعوته والمرتبة التي خصّه بها الله، لا بدّ له من أن يعيش عيشة فاضلة مقدّسة، وأن يشرّف هذه المرتبة ليس بثيابه وزخرفة حلّته، وأن لا يأخذها كوظيفة، بل بالأعمال الصالحة. لذلك يجب ألاّ يكون أقل نقاوة من المذبح.

هو صانع الله، الله طوع يديه يجعله ينزل على الأرض متى يريد، لذلك قبل كل شيء:

لأن الكاهن يجب أن يكون مباركاً، لأنه يدعو ابنه ويجعله حاضراً بكلمة واحدة "هذا هو جسدي". لذلك يجب أن لا يدنّس القلب، وعاء فكر الله، يجب أن يكون موضع حبّه.

الأيدي يجب أن تكون نقيّة، لئلا تدنّس جسد الرب.

لذلك الكاهن لسان حال الله، يجعله مقدّساً ومحبوباً، لذا عليه أن لا ينجّس اسمه.

خلاصة القول: أن يكون الكاهن مجرّداً من الأرض عن كل عاطفة بشرية.

من يُدعى ومن يدعو

الكاهن هو ملك الله. الله يدعوه ويختار له الدرجة، دون أن يختار لنفسه هو.

لذلك عندما يتقرّب إلى الكهنوت، هو في فكر الله يريده لرسالة ما... وأنا شعرت بذلك بإلهام باطني، وتم اختياري بواسطة كهنة عايشتهم، وكانوا مثلاً حياً أحببت الكاهن من خلالهم.

لذلك من يختار الكهنوت من دون أن يُدعى، ويكون خالياً من الكمال، يكون سارقاً لهذه الدعوة. والله لا يسمح لأحد أن يسرقه، لذلك

نجد هؤلاء في ثلاثة أصناف:

1. الفئة الأولى: سرعان ما يضرب بالسيرة الرديئة.
2. الفئة الثانية: الربح لنيل الجاه والعظمة.
3. الفئة الثالثة: طريق معوج.

و خلاصة القول: الكهنة الذين يطمعون في الكرامات العالمية، ويسعون وراء الخيرات الأرضية، هم خالون من دعوة إلهيّة، فهم لصوص بنظر المسيح. لذلك كم يكون الكاهن طاهراً ليستحقّ أن يمسك جسد الرب. لأنّ من يدخل هيكل الرب بقلب دنس، يدنّس المذبح والعزة الإلهية.

ما يُطلَب من الكاهن، لا يُطلَب من العلماني: أن يكون في التعمّق بالإنجيل أفضل من الناس عامة.

يجب أن ينطق بالفهم وعقله بالحكمة. **فعندما الكهنة يعيشون الإنجيل يتغير وجه الأرض.** وهذا موجود في أعمال الرسل: عندما عاش الرسل حياة الرب، لازموا الناس بالفقر والطاعة، وسلّموا أموالهم في سبيل خلاص نفوسهم، وأماتوا شهواتهم لتحيا نفوسهم. وعندما عاش الكهنة حياة زمنية مادية، تمزّقت الكنيسة.

الكاهن والفقر:

لا شيء يضر الكاهن إلا محبّة المال وجمعها، لأنه يضرّ نفسه، ويضرّ النفوس بمثاله الرديء.

ما أقبح الكاهن الذي يكون مأجوراً، ويتوخّى من خدمته الكسب، يصلّي ويقدّس لأجل المال. يخدم الآخرين لقاء منفعة ما.

الكاهن وأقرباؤه:

لا يوجد شر في الأرض أكثر من شر شنيع، وهو عندما يوزّع الكاهن ما أعدّ للفقراء والنفوس على أقربائه.

إن أراد الكاهن أن يربح نفسه، فليبتعد عن أقربائه ويتعلّق بالمسيح.

للكاهن الحقّ أن يأكل من المذبح، ولكن لا يجب أن يتّخذ منه ما يتنزّه ويتنعّم به، ويشتري ويتاجر ويغني به أقرباءه.

شاهدتُ مرة فقيراً يطلب مساعدة على باب أحد الأديار، كان من أقرباء بعض الأساقفة. لأنه كان قد عاش على حساب الكنيسة.

الكاهن الذي يطعم أقرباءه من مال المذبح يجوع أقرباؤه بعد موته.

الكاهن والزواج:

حمل الكاهن ثقيل جداً، فكيف يستطيع أن يحمل معه الزواج؟ حملان لا أظن أنه يستطيع النهوض بهما.

الزواج يعارض وظائف الكاهن:

تقدمته لله الذبيحة الطاهرة، ولكي يستطيع أن يأكل جسد الرب يومياً، كانت العفّة ضرورية.

فالفرق بين الكاهن والشعب: إذا كان الفريقان متزوجين. أين الشهادة الحيّة والإماتات؟

الكاهن يجب أن تكون سيرته تفوق سيرة العلماني، لأنه كما يكون الكاهن يكون الشعب.

لا يوجد في الأرض شيء أشرف من الكاهن:

- يصيّر الناس صدّيقين ويخلق القدّيسين.
- الكاهن أفضل من الملاك لأنه يحوّل الخبز والخمر إلى جسد الرب ودمه.

الله طوع يديه: بكلمة منه ينحدر من السماء إلى المذبح. لذلك الكاهن شبيه بالآب الذي أرسل ابنه إلى العالم.

كذلك ينبغي للكاهن أن يكون طاهراً نقياً، كمن يسكن في السماء، لأن الله منحه سرّاً لا يمنح للملائكة.

في سر التوبة اتّحاد الكاهن مع المسيح، اتّحاداً يفوق العقل، لأنه يصبح كالمسيح، إذا حلّك من خطاياك، تُغفر حالاً.

هذا جسدي فيصبح جسده. إذاً فالكاهن مسيح آخر.

لا يخلص أحد بدون الكاهن...

متى تلاشى الكهنوت... ماتت القيم.

الفهرس

إهداء 5

تنبيه 6

ماذا في هذا الكتاب - الشهادة؟ 7

الأب الياس يعقوب كما عرفته 7

1- شهادة الأب الياس يعقوب 11

2- تقرير الدكتور بسام خياطة 17

شهادات مكتوبة غير مؤرّخة 37

1) المطران حميد موراني 39

2) الدكتور رياض طه 40

3) الدكتور بشار الأحمد 42

4) السيد هاشم مطانيوس يعقوب 43

5) الشماس عقاب الياس معوض 67

6) الخورأسقف جهاد ناصيف 86

7) السيد غسان حنا 89

8) السيد جريس داغر 92

9) الصيدلي وسام عازر 93

10) نضال يوسف سكاف 93

11) السيد خليل معوّض 94

شهادات مكتوبة ومؤرّخة 95

1) هدى اسافو 97

2) السيد جمال يوسف 100

3) الأب طنوس أبو مراد 102

4) السيد سهيل مخ 108

5) الأب يوحنا جاموس 110
6) الدكتور خليل بريقع 112
7) النحات مهند سليمان 114
8) الآنسة ريتا جارالله 116
9) الخوري غاندي مهنا 119
10) الدكتور الياس ديب 123
11) المونسينيور أنطوان الياس ديب 124
12) الأب جورج كيروز 126
13) الأخ الناسك توفيق عجيب، ناسك براد 129
14) السيد رزق بطرس معوّض 131
15) السيدة الدكتورة نزهة الياس 132

شهادات مسجّلة ومصوّرة 135

1) مخائيل لحود (أبو يعقوب) 137
2) رزق بطرس معوّض (أبو عقاب) 138
3) يوسف رزق 140
4) هالة مسوح 141
5) السيد سهيل مخ 143

شهادات مسجلة ومصورة عن حالات شفاء وحوادث خارقة 145

1) سمير مارون كاملة 147
2) سوزي سمير كاملة 148
3) ابتسام سلوم (أم فادي) 150
4) مخائيل لحود (ابو يعقوب) "السمك" 152
5) سعد لحود (أبو جورج) 153
6) سجيع الياس معوّض 154
7) إيهاب رزق معوض 161
8) يوسف جرجس معوض 165

9) صحفي في جريدة الثورة 170
10) ريمون كاملة 174
11) السيد الياس مارون كاملة 179
12) الرضيع والدبوس 181
13) اولغا سكاف 185

الأب الياس يتحدث عن نفسه 187

خواطر حول الكهنوت للأب الياس يعقوب..... 223

كل حياتي وخبرتي الكهنوتية 225

الأمانة بالخدمة 224
أما الكاهن بماذا يفتخر؟ 224
مشاكل الرعية 225
المعرفة 226
الصمت 226
محبة النفوس..... 227
القناعة..... 227
من خلال الخدمة 228
الاعتراف وقيمة الاعتراف عند الكاهن..... 229
الكاهن عليه أن يعرِف..... 230
من خلال الزيارات..... 230
الألـــــم..... 232
صليب البشر 232
ألخص حياة الكاهن من خلال الخبرة 232
اختباري 233
أنا بحاجة إليك 233
لو رفضت قبولي 234

خواطر 237
أمام الأفكار الدنسة 235
الألـــــم 236
كيف كنت أصلي 236
الدنس 237
القربان 238
الساعة 238
الأغنياء 239
العائلات 239
رحماك يا رب لعيون لا تعرف الشبع 239
لولا هذا الألم لم ألقَ أي نجاح في رسالتي الكهنوتية 240
الخطيئة (الدنس) 242
الخطيئة هي فقدان لسلام داخلي 242
الفهرس 249